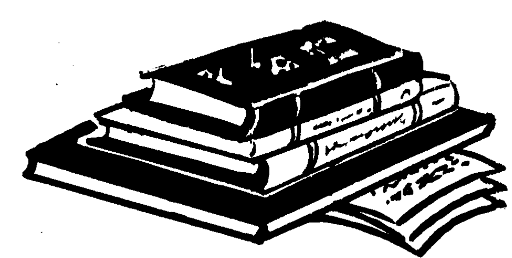
هديّة مجّاناً
مع مجلة منار الإسلام
العدد الخامس - السنة الحادية عشرة

دولة الإمارات العربية المتحدة
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف

مؤلفات في الميزان

أنور الجندي

مؤلفات في الميزان



فهرست

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستحق الحمد والصلاة والسلام الاتمان الأكملان على سيدنا ورسولنا محمد مؤثل العز والمجد وعلى آله الطيبين الطاهرين ينابيع السعد وعلى صحبه نجوم هدا الدين الغر الميامين الذين هزم الله بهم وعلى أيديهم كل خصم ألد أما بعد :

ما إن أشرق نور الاسلام في بطحاء البلد الأمين حتى ناصبه العداء أناس كان أحرى بهم أن يحلوه سويداء قلوبهم وحنايا ضلوعهم ، ولم يدع هؤلاء سبيلا لمحاربة هذا الدين الا سلكوه : من اغراء وترغيب الى وعيد وتهديد وترهيب . ثم تخطى القوم حدود الكلام فأقدموا على التعذيب قاتم الألوان يُصب على رؤوس المؤمنين .

وعلى الرغم من هذا كله فقد استمرت مسيرة الدعوة قوية مندفعة لايقف أمامها شيء إلا جرفته وأنى لتلك الهياكل الخواء أن تقف أمام العزم الرباني الصارم والايمان الصادق الأصيل .

وأذن الله بالهجرة وفارق المسلمون مراتع الصبا ومرابع الشباب طمعا في ثواب الله وابتغاء رضوانه و في سبيل هذا المطلب النبيل يرخص الغالي ويُستسهل الصعب .

وأغاظ المشركين أن يروا معذبي الأمس يبنون دولتهم ، فانتهزوا أول فرصة لقتال هذه الدولة الناشئة طمعا في استئصالها قبل أن يشتد عودها فعادوا يجرون أذيال الخيبة ويجللهم الخزي والعار .

و في مجتمع المدينة المنورة دخلت اليهودية المحرفة حلبة الصراع مع الاسلام وسعت الى هزيمته في ساح الفكر فلم يحالفها الحظ ثم غلب اليهود طبعُهم فلجؤوا الى التآمر تارة بمحاولة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتارة بتحريض العرب على حرب الاسلام وأي شيء أفضل من أن يجد اليهود من يخططون له ويدفعونه ليحارب بالنيابة عنهم ، وكانت حصيلة جهود هؤلاء خزيا وندامة للأعداء وعلوا ورفعة للاسلام وأهله تحقيقا لوعده تعالى «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» .

فالعداوة للاسلام قديمة ولقد قيل ان التاريخ يعيد نفسه ، وتمضي الايام فإذا بالصليبية الدولية تندفع من معاقلها البعيدة مغيرة على العالم الاسلامي تريد اجتياحه طمعا في القضاء عليه . ويتمكن هؤلاء الصليبيون أن يطؤوا بأقدامهم الملوثة مسرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أولى القبلتين

وثالث الحرمين ويخوضون في الدماء الى الركب حقيقة لامجازا ويحتلون أجزاء كبيرة من أرض المسلمين حتى حسب ضعاف الايمان أن لاسبيل لاخراج هؤلاء الدخلاء أبدا . ولكن شأن هذه الأمة عجيب عجيب ، فكلما اشتدت عليها الكروب وضـاق عليهـا الخناق وظن اعداؤها أنهم قادرون عليها وأن أمرها قد انتهى انبعثت من جديد بعد أن يهيأ الله لها أسباب الانبعاث فإذا بها تنفض الغبار وتخلع ما لحقها من عار واذا بالأعداء أثرا بعد عين . وهذا أمر ملاحظ على مدى التاريخ .

وغبرت عصور واذا بالصليبية تطل بقرونها على بلاد المسلمين من جديد في ثوب الاستعمار الحديث تضليلا وتمويها ولكن ثوب الرياء يشف عما دونه . وتصدى المسلمون في كل مكان للغارة الجديدة وازدانت أرض المسلمين بمواكب المجاهدين تبرز شخوصهم وتتراءى هنا وهناك تشعل الارض وتفجرها براكين تحت أقدام الدخلاء . وهنا تنبه الاعداء لأمر خطير بعد أن عكفوا على الدراسة والبحث منقبين عن السر الذي تكمن فيه قوة هذه الامة حتى يعملوا على انتزاعه منها . فوجدوا أنه الاسلام وأيقنوا أنه لن تقوم لهم قائمة ما دام القرآن الكريم يعمر الصدور وما دامت محبة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم تثير لواعج الحب وتقدح زناد العزم كلما ألمت بهذه الأمة الملمات . فأبعدوا المدافع عن الساحات وجندوا الأقلام والأفكار وصبوا جهدهم كله لعزل هذه الأمة عن دينها بعد أن علموا أنه سبب قوتها ومصدر عزتها وسيادتها .

وأعلنت حرب ثقـافيـة ماكرة حل فيها دوي الأفكار محل دوي القنابل ، وصريف الأقـلام وتصـارعها محل زحف الدبابات وهدير محركاتها . وكان لابد لهؤلاء الأعداء من التشكيك في أصول الاسلام الكبرى ومقدساته العظمى ليتم لهم ما يتمنـون ، فتشكلت فيـالق وجيـوش من حملة الاقـلام المـدمـرة من المستشرقين ، فهذا جيش للتشكيك في كتاب الله تعالى المعجز وهذا جيش آخر للتشكيك في شخصية رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهذا جيش ثالث للتشكيـك في السنـة الشريفـة ومكـانتها وصحة نقلها . وهنا كتيبة للطعن في الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وهناك كتيبة للطعن في أئمة الدين أصحاب المذاهب الاربعة والحط من شأنهم .

ولما رأى هؤلاء المستشرقون أن عامة المسلمين ينظرون الى كتاباتهم بعين الريبة ويقفون منها موقف الحذر وأن تطاولهم على مقدسات المسلمين أثار حفيظة الكثيرين فكّروا في وسيلة تنفذ خلالها أفكارهم بنعومة ومن غير أن تثير ضجة وحساسية فرأوا ان الاعتماد على أناس من بني جلدتنا خير وسيلة تحقق هذا الغرض فما كان منهم الا أن تعهدوا بعض أبنائنا فغذوهم بلبانهم حتى شبوا منها وعليها واذا بهؤلاء الابناء ناطقين بما يريد الاعداء المربون بل ربما كانوا

أشـد عداوة وأجرأ على قول الباطل من سادتهم وأساتذتهم . وهكذا وجد فينا أقوام ألسنتهم ألسنة العرب وقلوبهم قلوب مستعجمة ينفذون ارادة الاعداء بأمانة بلهاء ويحملون عنهم عبء محاربة الاسلام ثقافيا لابعاد المسلمين عن دينهم فتضيع ذاتيتهم ويفقدوا كيانهم .

وكان لسكوت ذوي الغيرة والحمية وبعض أهل العلم دور كبير في تشجيع ربـائب الاستعمار وأذنابه على التمادي في الغي حتى وصلوا الى ما لم يكونوا يحلمون به .

لكن الخير لاينقطع في أمة الرسول الخاتم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقـد تصـدى كثـيرون للرد على ربائب الاستعمار وتلامذة الاستشراق وبينوا افتراءاتهم وأباطيلهم .

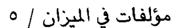
وقد قام الاستاذ الفاضل أنور الجندي - مستفيدا من الردود الكثيرة التي كتبت ونشرت - بإعداد مقالات لمجلة منار الاسلام التي تصدرها وزارة الشؤون الاسـلاميـة والاوقـاف في دولة الامـارات العـربيـة المتحـدة فند فيها مزاعم المستغربين ودجلهم ورد على ما أثاروه من شبه .

وعملا بتوجيهات سمو رئيس الدولة الشيخ زايد بن سلطان حفظه الله فقد قامت الوزارة بجمـع هذه المقـالات وطبعهـا في كتـاب مستقل تعميما للفائدة مساهمة منها في مواجهة موجة التشكيك التي تعاظم مدها في الآونة الاخيرة . ومن الواجب أن نبين أن كل واحد منا بمقدوره أن يساهم في الوقوف أمام هؤلاء المخربين . يقف العالم بالبيان والتعليم والحاكم بالقرارات والتدابير ، والعامي بالمقاطعة والنفور .. وهكذا .

وإننا في هذه الدولة الفتية بقيادة صاحب السمو لن نألو جهدا بإذن الله تعالى في الدفاع عن حياض هذا الدين والذب عنه وليس من المقبول أبدا أن يكون الاعداء أكثر اندفاعا في باطلهم من المسلمين في الدفاع عن حقهم .

وختاما نسأل الله عزوجل أن يرد المسلمين الى دينهم وأن يحقق مزيدا من الخير لهذه الدولة وأن يجعلنا دائما في خدمة هذا الدين فذلك هو الشرف العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

وزارة الشؤون الاسلامية
والاوقاف



عثمان ، وعلي وبنوه

صدر كتاب (الفتنة الكبرى) في جزئين : الأول عن عثمان (رضي الله عنه) ، والثاني عن (علي وبنـوه) ، وقـد استهدف الكتاب إحداث فتنة كبرى حقيقية في مفاهيم الاسلام ، باثارة التشكيك والدس ومغالطة الحقائق واذاعة الروايات الباطلة .

ولقد كان هدف صدور كتاب الفتنة الكبرى واضحا : وهو اثارة الشبهات حول صيحة العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ، وقيام الحكومة الاسلامية .

فقد رأى الاستشراق أن يطرح أمام هذا «الأزهري» ، صاحب الأسلوب الموسيقي الجميل ، شبهات معينة لاذاعتها ، ونصوصا معينة لعرضها ، وتشكيكات معينة لتقديمها ، في داخل عرض واسع مرن ، يقدم السموم في اطار من العبارات البراقة ، والكلمات الرقيقة ، فتخفى على السذج والبسطاء غايتها .

أهداف أساسية :

ولقد كانت هناك مسائل أساسية أريد طرحها ، واقناع القارىء المسلم بها ، من خلال هذه الكتب المتوالية - بالاضافة الى الفتنة الكبرى - وهي : «مرآة الاسلام (١) ، والشيخان ، والوعد الحق» ، ولكنها برزت بصورة واضحة في كتاب الفتنة الكبرى وهي :

أولا : وهو العمل الهام الخطير ، الذي برز في مختلف هذه الكتابات واستغرق أغلب الكتابات : انتقاص الصحابة الكرام والتشنيع عليهم ، واثارة الشبهات حولهم ، وتصويرهم بصورة السياسيين العصريين المحترفين .

ثانيـا : انتقـاص الشيخـين (أبو بكر وعمر) بالباطل ، والافتراء على عائشة وظلم عثمان ، والافتراء على أصحاب بيعة الرضوان - عليهم رضوان الله أجمعين - .

ثالثا : التشكيك في نظام الحكم الاسلامي في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

رابعـا : التشكيك في الدور الذي قام به عبدالله بن سبأ بالادعاء بأنه يهودي ضعيف ، لا يستطيع أن يحدث كل هذا الأثر ، أو التشكيك في وجوده اطلاقا .

أولا : انتقاص الصحابة الكرام :

كان الهدف واضحا من انتقاص طه حسين للصحابة الكرام ، وهو هدم هذا الصرح الاسلامي الذي تقوم عليه السنة والتاريخ وسير الغزوات والحياة الاسلامية ، في عصر الخلفاء الراشدين وما بعدهم ، وقد أطلق لسانه فيهم جميعا - كما يقول الاستاذ النايف - يغمز بهم ويجرحهم في أمور ، ويكشف عنهم تلك الكرامة التي أمدهم بها الاسلام والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى : «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه» التوبة : ١٠٠ .

ويقول صلى الله عليه وسلم : «لا تسبوا أصحابي ، لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبا ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه» رواه مسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» .

هذه الكرامة التي أمدهم بها الاسلام ، أراد طه حسين أن يهدمها ، وأن يسخر منها ، وأن يفسدها بالدس والفتنة .

تصور كاذب :

فهو يكتب عنهم مصورا اياهم وقد عادوا الى جاهليتهم مرة أخرى ، ويحاول أن يصور معركة الجمل ، وكأنها معركة جاهلية بين بني هاشم وبني أمية ، ويتحامل على (بني أمية) ، فيدعي أنهم من الطلقاء الذين دخلوا الاسلام ، وقد غُلبوا على أمرهم ، ثم عادوا الى جاهليتهم مرة أخرى ، ويحكم بأن من الذين عادوا الى جاهليتهم مروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة ، وعبدالله بن أبي السرح ، ومن الذين كانوا يحكمون أهواءهم ومصالحهم وهم في وضع قريب من الجاهلية : عمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين .

وتهمة مجحفة :

وقد اتهم عمرو بن العاص ، بأنه بدد خراج مصر ، وأنه كان يكره بيعة علي كرم الله وجهه ، لأنه لا ينتظر من هذه البيعة منفعة ولا ولاية ولا مشاركة في الحكم ، ولهذا انضم الى معاوية .

وكان ابنه (عبدالله بن عمرو) ، يرى أن أباه باع دينه بثمن قليل ، وقد وصف طه حسين عمرو بن العاص مع معاوية رضي الله عنهما بقوله : «وهنا ظهر عمرو بن العاص ، الذي لم يكن أقل دهاء ، ولا أدنى مكرا ، ولا أهون كيدا من معاوية» .

وتصل به دعواه وجرأته في الباطل أن يقول ، ان مروان بن الحكم ، هو الذي قتل طلحة في موقعة الجمل ، مع أنهما كانا يحاربان في صف واحد .

ويصور معاوية ، وقد عاد الى جاهليته في موقفه من أبي ذر ، فيقول : «وقد ضاق معاوية برجل عظيم الخطر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، هو أبو ذر ، ولم يستطع أن يبطش به لمكانه من رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، وايثاره اياه ولسابقته في الاسلام ، ولم يستطع أن يفتنه عن دينه بالمال .

ثانيا : انتقص الشيخين الكريمين :

١ - كذلك فقد حرص طه حسين ، على انتقاص الشيخين (أبو بكر وعمر) رضي الله عنهما بالباطل ، ووصف عمرَ بن الخطاب في غير موضع بالبطش ، وقال انه لم يمت حتى ملته قريش ، وانتقد أبا بكر في أنه حصر الخلافة في قريش ، وقال ان عمر كان يعارضه لذلك ، حتى قال ، لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لولاه عمر عند وفاته ، وهو ليس من قريش .

٢ - سب الصحابة واحدا واحدا - رضوان الله عليهم - ولم يترك أحدا منهم دون أن يصنع له المقالب والاتهامات ، ثم وصفهم جميعا بالنفاق .

سم في عبارة وقورة :

قال : «وكان الذين يعودون منهم الى المدينة يلقون عمر ، فيتكلفون التجمل بسيرته ، ويحتالون في ألا يظهر على دقائق أحدهم وحقائقه ، يلقونه مُظهرين الشظف وغلظة الحياة وخشونة العيش ، ليرضى عنهم ويطمئن اليهم ، فاذا خلوا الى أنفسهم ، أو خلا بعضهم الى بعض . أخذوا بما ألفوا من لين الحياة ، وأشفقوا على عمر من حياته الخشنة تلك ، في كثير من الاكبار له والاعجاب به» . ووصف (عمروا) بأنه ماكر أهل الشام وداهيتهم ، وأن الاشعث بن قيس ، هو ماكر أهل العراق وداهيتهم .

٣ - الافتـــراء :

وافترى على أصحاب بيعة الرضوان ، وفي مقدمتهم (الزبير وطلحة بن عبيد الله) رضي الله عنهما ، فقد اتهمهما بالتنافس من غير وفاق . وصور طلحة بن عبيد الله بصورة غير لائقة ، ووصفه

بأنه كان يبحث عن الثراء من أي طريق ، وأن ذلك دفعه الى مبايعة عثمان ، ثم كان من المؤلبين عليه والمشاركين في حصاره ، وأنه بايع عليًا ونكث البيعة .

هذا والزبير ، هو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : «لكل نبي حواري وحواريي الزبير» .

وطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة .

٤ – افترى على السيدة عائشة رضي الله عنها ، افتراء واسعا ، فقد تحدث طويلا عن أنها كانت تخطب الناس وهي على جملها ، وتحرضهم على القتال ، في خيال ودعاوى باطلة ، فهي لم تخرج الى قتال .

وما يتصل بخبر (الجوأب) ، قال الذهبي وابن حجر في رواتها انه مجهول فلم تصل عائشة (الجوأب) . ولا اضطر عبدالله بن الزبير أن يأتي بخمسين شاهدا ليشهدوا كذبا بأن المكان ليس (الجوأب) .

وحقد فاجر :

ومن دسه الرخيص ، قوله ان السيدة عائشة رضي الله عنها ، كانت تنكر على «علي كرم الله وجهه» ، أنه تزوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورزق منها الحسن والحسين ، فكان أبا للذرية الباقية للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتح لها هي . الولد من الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع أنه أتيح لمارية القبطية أم ابراهيم ، أواخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : «ان هذا العقم كان يؤذيها في نفسها بعض الشيء» .

وأمر آخر كانت تجده على سيدنا علي رضي الله عنه ، فيما روى طه حسين كاذبا ، أنه تزوج أسماء الخثعمية بعد وفاة أبي بكر رحمه الله ، وأسماء هي أم محمد بن أبي بكر ، الذي نشأ في حجر علي ، فكانت عائشة تجد على علي لهذا كله» .

أي دس رخيص هذا وأي مقاييس تلك التي وضعها له المستشرقون . وأما أهل السيرة فهم منه براء .

اتهام ابن عباس بالسرقة :

ولقد كان نصيب الصحابي الجليل «عبدالله بن عباس» رضي الله عنه ، من تحامل الدكتور طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى ، كبيرا ، فقد بدأ هجومه عليه – كما يقول الدكتور ابراهيم شعوط – بعبارات لا يليق توجيهها لأي انسان له منزلة مثل منزلة ابن عباس رضي الله عنهما ، فقد اتهمه بنهب أموال المسلمين في البصرة ، كما اتهمه بالغدر لابن عمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وذكر انه هرب الأموال المسروقة الى مكة ، وفوق ذلك فانه ذكر ان ابن عباس كان يتطلع الى الانضمام لمعاوية ضد ابن عمه علي رضي الله عنهم أجمعين .

كشف الخبايا وراء النوايا :

ويقول طه حسين ، ان المؤرخين تحرجوا من ذكر هذه الوقائع المدعاة وان في ذلك ما يكشف نيات المؤلف ويسفه رأيه ، لأنه اذا كان رجال الحديث – وهم المصدر الموثوق في كل ما يروى عنهم – لم يذكروا شيئا من ذلك ، وكذلك كتب التراجم للمؤرخين الثقات ، فمن أين جاءت هذه الاخبا للمؤرخين الذين اعتمد عليهم طه حسين ، فضرب بكلام المحدثين عرض الحائط ، وظل في تخبطه هكذا حتى يصل الى هدفه ، ليحط من مقام ابن عباس رضي الله عنهما الذي اعترف له – دون أن يشعر – بأن مكانته من النبي صلى الله عليه وسلم ، ومكانته من الفقه والدين ، أعظم من أن يظن به مثل هذا



التجاوز للحق والخلاف على الامام .

قال الدكتور شعوط : «اذا قرأنا ما يكتبه خصوم الاسلام ، من اليهود والمسيحيين والشيوعيين ، نقرؤه بحذر ، والحذر أصل من أصول البحث التاريخي أما اذا كتب المسلمون عن الاسلام فاننا نكتفي بأن الكاتب مسلم ، وقد يكون المسلم هذا أشد خطراً على الاسلام من كل خصومه» .

جرأة طه حسين والقائمة السوداء :

ومتى نبت الشك في عقيدة المسلم ، وسبقت له جرأة على الاصول المقررة في الاسلام ، فاننا يجب أن نضعه فيما يسمى (القائمة السوداء) ، ونقرأ ما كتب بكل دقة وحذر .

ان قضيتنا هي جرأة الدكتور طه حسين على ما هو أعظم ، على تهجمه على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث جعل من نفسه قاضيا يصدر الأحكام على سيد الخلق صلى الله عليه وسلم المعصوم من كل زلة ، ونحن هنا نجد الكاتب قد ترك أدلة البراءة كلها ، سواء منها الصريحة وغير الصريحة ، واعتمد اعتمادا كليا على أدلة الاتهام مع ضعفها وفساد أسانيدها .

ثالثا التشكيك في نظام الحكم الاسلامي :

ولعل هذه هي غاية الغايات التي أراد أن يصل اليها الدكتور طه حسين ، حين قال : انها تجربة جريئة توشك أن تكون مغامرة ، وانها لم تنته الى غايتها (ولم يكن من الممكن أن تنتهي الى غايتها ، لأنها أجريت في غير العصر الذي كان يمكن أن تجري فيه ، سبق بها هذا العصر سبقا عظيما) .

ومن خبث عبارته قوله (حاولت الخلافة الاسلامية لعهد أبي بكر وعمر ، أن تنشىء هذا النظام القديم ، فمات أبو بكر رحمه الله ، ولم يكد يبدأ التجربة ، وقتل عمر رحمه الله ، وقد خطا بالتجربة ، ولكنه لم يرض عنها) .

قول مردود متناقض :

ويقول : «ان الناس كانوا يعارضون حكم عمر ولكنهم يخشون سلطانه ويخافون منه ، والثورة على عثمان دليل على فشل التجربة الاسلامية ، وأن الوقت لم يعد في مصلحة الحكم والخلافة الاسلامية» .

وهو يرد العدل والحرية والمساواة (في عهد أبي بكر وعمر) رضي الله عنهما ، الى مواهب وشخصية الرجلين وليس الى الاسلام ، ويرى أن جهودهما كانت محدودة .

ويزعم أن الحكم (أيام الرسول) صلى الله عليه وسلم ليس سماويا ، وأنه ليس بين الاسلام والنصرانية فرق في هذه الناحية ..

ويقول : «كان الحكم أمرا من أمور الناس يقع فيه الخطأ والصواب ، يتاح للناس أن يعرفوا منه وينكروا وأن يرضوا عنه ويسخطوا عليه» ، فهل كان الناس حقا يسخطون على رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

وهو يزعم أن الخلافة الراشدة كانت تجربة بشرية ، وليست تطبيقا للاسلام ، ولا يكتفي الا بتشبيه نظام الحكم الاسلامي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بنظام الحكم الروماني أيام الجمهورية .

الاقتتال على الدنيا لم يعرفه الصحابة رضوان الله عليهم

ويرى أن العنصر الديني في النظام الاسلامي زال بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يعد له وجود بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اقتتلوا على الدنيا وتنافسوا وتقاتلوا عليها ، وادعى أن هناك ارستقراطية قامت ، قوامها القرب من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاصبح الحكم الى قريش وحدها دون الانصار . وان استئثار قريش بالخلافة جر على المسلمين كثيرا من الفتن .

ويعتقد أن نظام الخلافة قد أخفق ، وأن تجربة الحكم الاسلامي انتهت بالفشل ، وأن (عليا) لم يحقق وحدة وانما أخفق نظام الخلافة كله ، وأن هذه الدولة الجديدة التي كان يرجى أن تكون نموذجا للون جديد من ألوان الحكم والسياسة والنظام ، لم تستطع آخر الامر الا أن تسلك طريق الدول من قبلها ، فيقوم فيها الحكم على مثل ما كان يقوم من قبل ، من الاثرة والاستعلاء ، ونظام الطبقات الذي تستذل فيه الكثرة الضخمة ، لا من شعب واحد ، بل من شعوب كثيرة لقلة قليلة من الناس .

أين الحقيقة ؟ :

والحقيقة غير ذلك تماما ، فان الاسلام قد استمر قائما على مصالح المسلمين بالعدل والرحمة ، وظل حكام المسلمين يحكمون كتاب الله ، الى أن جاء الاستعمار الغربي .

ويرى أن «الاوباش» الذين قتلوا عثمان لم يكونوا مخطئين . فسياسة عثمان في العزل والتولية لم تكن ملائمة للعهد الذي أعطاه ، وليس من شك في أن الذين ضاقوا بهؤلاء العمال ، وثاروا عليهم ونقموا من عثمان توليتهم ، لم يكونوا مخطئين .

الهدف هو تسفيه نظام الحكم الاسلامي :

وهكذا تجدنا أمام مجموعة ضخمة من السموم والاكاذيب والافتراءات ، التي حشدها الاستشراق على لسان رجل مسلم اسما ، ليحطموا به تلك الدعوة المنطلقة على ألسنة وأقلام دعاة

اليقظة الاسلامية .

وقد تركزت الحملة على نظام «الحكم في الاسلام» ، مما صح معه القول بأن كتاب «الفتنة الكبرى» ، انما هو فتنة كبرى في الفكر الاسلامي ، لما امتلأبه من التشكيك والدس ومغالطة الحقائق ، وقد أراد طه حسين من هذا العمل – أو أُريدَ له – اقناع المسلمين بأن الحياة الاسلامية لا وجود لها بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وان طُبِّقت فلامد محدود لايتجاوز حياة عمر ، فقد عمد الى تلطيخ صورة الخلافة الوضاءة ، لكي يصرف أبصار الناس عنها ، على حد تعبير الأستاذ «محمد النايف» .

بلا دليـل :

ولكن هل استطاع طه حسين أن يقدم سندا علميا أو تاريخيا لكل هذه الافتراءات ، فما هي مصادره في دعاواه ، الحقيقة أن مصدره هو هواه ، وما فطر عليه من غلو وتطرف في الاعتماد على الروايات الضعيفة ، وعلى كتب الأدب لا روايات الحديث والسير .

ان طه حسين يريد أن يقول للمسلمين :

ان النظام الاسلامي قد عجز ، وان الطريق الصحيح الذي تحقق وما زال مفتوحا هو النظام العلماني ، الذي يحل مشكلات الدنيا بالدنيا ، وهو يدعو مسلمي عصره الى صرف النظر عن التفكير في النظام الاسلامي وفي الخلافة وأن يبطلوا السعي اليها ، وأن يرضوا بحكم الديمقراطية الغربية (حل مسائل الدنيا بوسائل الدنيا) .

الله أكبر .. والحق أكبر :

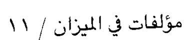
ولكن الحق أكبر من طه حسين ، فقد زيفت الدراسات الاسلامية كل دعاواه وكشفت الصحوة الاسلامية عن أن نظام الحكم في الاسلام هو الاعلى ، وأنه هو المنطلق الذي لاسبيل غيره لاقامة حياة المسلمين ومجتمعاتهم ، ولو كره الذين حرضوا طه حسين ، وفتحوا له أبواب الشهرة والمناصب والاوسمة ، وقد باء بهذه التبعية الذليلة ، «أن يكون خادما للفكر الوثني المادي» ، وأن يستغل هذا الاسلوب الجزل الذي أعطاه الله اياه ودراسته للقرآن ، ليكون حربا على كلمة الله والقرآن .

وسيظل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكانهم العظيم الكريم ، وفي ذلك المستوى الذي لن يستطيع الناس أن يبلغوه .

وقد سخر منه كل قارىء مؤمن ، فما كان يستطيع طه حسين ، أن ينال من هذه الاسماء الكريمة مهما ذهب في الدس والتزييف .

---

(١) تناول هذه الكتب بالدراسة عدد من الباحثين ، في مقدمتهم الاساتذة : غازي التوبة في كتابه «الفكر الاسلامي» ، محمد النايف في دراسته المطولة «دراسات في السيرة» ، كما عرض لها الدكتور ابراهيم شعوط والدكتور محمد البهي ، والأستاذ محمد عمر توفيق في كتابه الرد على «الشيخان» .



الفتنة الكبرى

● ما هي الوجهة الحقيقية لهدف طه حسين من الكتابة عن التاريخ الاسلامي وشخصيات الصحابة ؟

● ولماذا نفى عن ابن سبأ اليهودي تهمة الفتنة الكبرى ؟

● طه حسين خالف العلم وحكم بلا دليل ولا دراسة !!

كان اقتحام الدكتور طه لمجال دراسات التاريخ الاسلامي ، بمثابة مرحلة جديدة في حياته الفكرية ، وفي وجهته التغريبية .

وكان قد بدأ ذلك بكتابه (على هامش السيرة) ثم أحس - وأحس ذووه - بنجاح الخطوة الأولى ، فمضى في الطريق مقتحما حياة الصحابة رضوان الله عليهم ، عن طريق الحديث عن الخلاف ، الذي بدأ في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فكتب الفتنة الكبرى في جزأين .

وهنا نعرض للجزء الأول «علي وبنوه» ، على أن نخصص حلقة خاصة - ان شاء الله - عن الجزء الثاني (عثمان) .

ثم تابع خطواته على هذا الطريق فكتب : (الوعد الحق ، مرآة الاسلام ، الشيخان) .

خلفيات وراء الاتجاه :

غير أننا في هذه الحلقة يجب أن نكشف عن هذه الوجهة وخلفياتها ، وأبرز ما يتصل بها هو تحقيق هدف من أهداف الصهيونية العالمية ، وهو : انكار الدور الذي قام به (عبدالله ابن سبأ) اليهودي اليمنى المعروف بابن السوداء ، والذي كان القائد الحقيقي للفتنة التي اضطرمت ضد سيدنا عثمان رضي الله عنه ، في مختلف الاقطار (مصر والشام والعراق) .

تمهيد مريب :

وكان اليهود قد مهدوا لذلك في اسرائيل ، بطبع كتاب (أنساب الأشراف) وهو كتاب مريب وملفق للبلاذري ، ضاعت منه أجزاء ، وقد بدؤوا بطبع الجزء الخامس منه بإشراف مستشرق يهودي .

وقد جعل هذا مقدمة للدور الذي يقوم به الدكتور طه حسين بالاعتماد عليه ، في انكار وجود شخصية عبدالله ابن سبأ ، والادعاء بأنها شخصية وهمية اخترعها المؤرخون المسلمون .

قال هذه القولة البلهاء الدكتور طه حسين ، بينما توجد عشرات المراجع الموثقة ، التي تصك دعوته وتؤكد وجود من يسمى عبدالله بن سبأ .

هذه المراجع التي يُعرض عنها طه حسين جميعا ، ويتكىء على البلاذري في كتابه «الملفق» . ففي جميع المراجع - ما عدا البلاذري - يرد أمر ابن سبأ .

مؤرخون ثقاة :

في مقدمة ذلك الطبري - الذي تجاهله طه حسين في هذا الموقف تماما - قال الطبري :

«كان (عبدالله بن سبأ) يهوديا من أهل صنعاء أمه سوداء ، فأسلم زمن عثمان - رضي الله عنه - ثم تنقل في بلدان المسلمين ، يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثم بالبصرة ثم الكوفة ، ثم الشام» .

كما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل ، وابن حزم في الفصل ، وعبد القادر البغدادي ، في الفرق بين الفرق ، والاسفراييني في (التبصير في الدين) وابن قتيبة في (تأويل مختلف الحديث) وابن عبد ربه في (العقد الفريد) .

توقيت التواطؤ :

وقد كشف هذا عن خطة المؤامرة التي جاءت في الوقت الذي كانت فيه اسرائيل تستعد للسيطرة على فلسطين وكانت تمهد بذلك لفرض مفاهيم مختلفة ، بدأتها برسالة الدكتوراه ، التي قدمها اليهودي (اسرائيل ولفنسون) وأنفذها طه حسين من خلال مدرج الجامعة «جامعة فؤاد الأول - القاهرة فيما بعد» عن اليهود في بلاد العرب ، وفيها محاولة للادعاء بأن اليهود هم الذين حضروا العرب في شبه الجزيرة .

- ١ -

الدعوى ورد الدعوى :

بدأ طه حسين حديثه في اسقاط قصة اليهودي ابن السوداء «عبدالله بن سبأ» فذكر «ان الرواة المتآمرين أكبروا من شأنها وأسرفوا فيها ، وأنها لم ترد في المصادر المهمة ، وأن (ابن سعد) لم يذكرها ، وان البلاذري لم يذكرها في (أنساب الاشراف) وهو فيما يرى الدكتور من أهم المصادر «وان الذي ذكرها هو الطبري وأخذها عنه المؤرخون الذين جاؤوا من بعده» .

ولكي ينفي الدكتور طه تهمة (الفتنة الكبرى) عن ابن سبأ اليهودي ، بدأ كتابه بدعوى عريضة هي : (ان الفتنة عربية ، نشأت من تزاحم الاغنياء على الغنى والسلطان ، ومن حسد العامة لهؤلاء الاغنياء) .

وكرر هذه العبارات فتنة عربية ، وعامة عربية ، لتعلم ماذا يريد بهذا التكرار ، وما الذي يريد أن ينفيه من شركة أحد غير العرب في دم عثمان .

حتى اذا اطمأن الى توسيد الأرض ، بدأ يعرض القضية بعرض ما أسماه «قصة ، أكبَرَ الرواةُ المتأخرون من شأنها ، وأسرفوا فيها ، حتى جعلها كثير من القدماء والمحدثين مصدرا لما كان من الاختلاف على عثمان رضي الله عنه ولما أورث هذا الاختلاف من فرقة بين المسلمين» ، وهي قصة عبدالله بن سبأ .

ويقول : «ان كثيرا من الناس يضيف اليه ، كل ما ظهر من الفساد والاختلاف في البلاد الاسلامية أيام عثمان رضي الله عنه ، ويذهب بعضهم الى أنه أحكم كيده إحكاما ، فنظم في الامصار جماعات خفية ، تستتر بالكيد وتتداعى فيما بينها الى الفتنة ، حتى تهيأت له الأمور ، ووثبت على الخليفة ، فكان ما كان من الخروج والحصار وقتل الامام» .

لماذا أصر الدكتور ؟؟:

يقول الاستاذ محمود محمد شاكر معلقا :

«فأنت ترى من هذا لماذا أصر الدكتور على أن يصف الفتنة بأنها (عربية) ، وبأن العامة الذين كانوا أشرار هذه الفتنة ، كانوا (عامة عربية) أي انه ليس لهذا اليهودي الخبيث عبدالله بن سبأ يد فيها ، وأن ليس لليهود عمل في تأريث نارها ، وهذا تخريج بيّن جدا ، لا يخالفنا فيه أحد» .

ويمضي الدكتور طه فيقول :

«ويخيل لي أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ الى هذا الحد ، يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ اسرافا شديدا وأول ما نلاحظه أننا لا نجد لابن سبأ ذكراً في (المصادر المهمة) التي قصت أمر الخلاف على عثمان ، وانتقاض الناس عليه» .

«فلم يذكره (البلاذري) في (أنساب الاشراف) وهو فيما أرى (أهم المصادر) لهذه القصة وأكثرها تفصيلا وذكره الطبري عن سيف بن عمر ، وعنه أخذ المؤرخون الذين جاؤوا بعده فيما يظهر» .

تهوين الأمر :

ثم هون من أمر (عبدالله بن سبأ) وقال : «انه من الهوان بحيث كان يمكن أن يأخذه الولاة ويعاقبوه أو يبطشوا به» ، ثم يقول : «فلنقف من هذا كله موقف التحفظ والتحرج والاحتياط ولنكبر المسلمين في صدر الاسلام ، عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء» ويقول : «هذه كلها أمور لا تستقيم للعقل ، ولا تثبت للنقد ، ولا ينبغي أن يقام لها أمر التاريخ» .

وهكذا يقطع الدكتور الرأي بجملة واحدة .

وتشكيك آخر :

ثم عاد فأشار الى قصة الكتاب – كتاب الى والي مصر – الذي يقول الرواة : ان المصريين قد أخذوه أثناء عودتهم الى مصر ، فكروا راجعين ، ويرى أن هذه القصة ملفقة من أصلها .

ويواجه الدكتور طه قضية «الرواة المتأخرون» فيرى : «ان فيها ابهاما شديدا متعمدا فيما يظهر» .

وقد كان الرد الذي تقصى خبيئته : أن الطبري ليس من الرواة المتأخرين ، فقد ولد سنة ٢٢٥هـ ومات ٣١٠هـ فهو معاصر للبلاذري ، ومن طبقة تلاميذ (ابن سعد) صاحب الطبقات ، وأن سيف بن عمر الذي روى عنه الطبري هذا الخبر من كبار المؤرخين القدماء ، فهو شيخ شيوخ الطبري والبلاذري ، وهو في مرتبة شيوخ (ابن سعد) ومات قبل ١٩٠ من الهجرة ، فلا يقال عنه ولا عن الطبري انهما من (الرواة المتأخرين) كما أراد الدكتور طه أن يوهم قارئه .

ايهام كاذب :

ويستطرد الاستاذ محمود محمد شاكر فيقول : «ان ذكر الدكتور (المصادر المهمة) فيه ايهام شديد واجحاف جارف ، فان لم يكن كتاب الطبري من المصادر المهمة ، فليت شعري ما هي المصادرة المهمة التي بين أيدينا» .

– ٢ –

كتابان مريبان :

كتاب ابن سعد ، وكتاب البلاذري : «وان كان الدكتور طه يعلم أن : كتاب ابن سعد الذي بين أيدينا كتاب ناقص .. وأنه ملفق من نسخ مختلفة بعضها تام وبعضها ناقص وبعضها مختصر .

والدليل على ذلك مما نحن بسبيله أنه ترجم لعمر رضي الله عنه في ٨٤ صفحة ، ولأبي بكر رضي الله عنه في ٣٣ صفحة ، فلما جاء الى عثمان رضي الله عنه والأحداث في خلافته هي ما يعلم الدكتور ويعلم الناس ، لم يكتب سوى ٢٢ صفحة ، ولما جاء الى علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – والأمر في فترته أفدح ، لم يكتب عنه سوى ١٦ صفحة .

هذا على أن الكلام على طريقة ابن سعد في تراجم الرجال شيء آخر ، غير كتابة التاريخ ، فانه لم يذكر في هذا الفصل الا قليلا جدا مما ينبغي أن يكتب ، لو أنه ألف كتابه في التاريخ العام ، لا في الترجمة للرجال وهذا شيء يعلمه الدكتور طه حق العلم ولاريب .

وكانت حجة الدكتور في نفي خبر عبدالله بن سبأ اليهودي اللعين : «ان البلاذري لم يذكره» ، وهو فيما يرى (أهم المصادر لهذه القصة وأكثرها تفصيلا) .

تناقض مشين :

ثم عاد فنفى أيضا خبر الكتاب الذي فيه الأمر بقتل وفد مصر ، مع أن البلاذري ذكره وأطال فيه وأتى فيه بما لم يأت في كتاب غيره .

ولا ندري كيف يستقيم أن يجعل عدمَ ذكرِهِ خبرا ما حجةً في قضية ، ثم ينفي أيضا خبرا آخر قد ذكره ولج فيه ؟؟» .

أين ابن سبأ .. في البلاذري ؟؟

«بقي أمر آخر ، هل كان في نص البلاذري قديما ذكر عبدالله بن سبأ اليهودي ثم سقط ؟؟ أو أسقط عن الكتاب ؟؟ وهذا لا يتاح لي الا اذا وقفت على نسخة قديمة وثيقة من كتاب (أنساب الاشراف) ، فان النسخة التي بين أيدينا انما طبعت في أورشليم كما يسمونها وطبعها رجل من طغاة الصهيونية ، وقدم لها مقدمة لم تكتب لا بالعربية ولا بالانجليزية وانما بالعبرية» .

ونحن نشك في فقه الدكتور !

وليأذن لنا الدكتور : أن نشك أكبر الشك في ذمة اليهودي الصهيوني ، الذي طبع الكتاب في مطابع الصهيونية في أورشليم ، فقد رأينا من قبل رجلا آخر أحاطه الدكتور يوما برعايته وعنايته واستقدمه الى الجامعة المصرية وكان يسمي نفسه (أبو ذؤيب) : اسرائيل ولفنسون (وهو الآن في فلسطين يجاهد في سبيل الصهيونية) فألف كتابا في تاريخ اليهود في بلاد العرب ، طبع في مصر ، وقدم له الدكتور مقدمة أثنى فيها عليه ثناء بالغا» .

«ومع ذلك فقد وجدنا في الذي نقله من الاخبار والأحاديث : تحريفا ، وبترا ، واقتطاعا من نصوص محفوظة معروفة» .

«أفلا يجوز لنا على الأقل أن نشك في أن اليهودي الآخر طابع كتاب البلاذري يفعل مثل هذا» .

«هذا الى أن طريقة التأليف القديمة ، وبخاصة ما كان على غرار تأليف البلاذري ، قد ترك المؤلف فيه شيئا في مكان ثم يذكره في مكان آخر ، وكان أولى أن يذكر في المكان الأول . أفلا يجوز أن

يكون البلاذري قد ذكره مثلا في ترجمة (عمار بن ياسر) أو (محمد بن أبي بكر) أو (محمد بن أبي حذيفة) أو رجل ممن اشترك في الفتنة ؟؟ وهو يعلم أن الذي وجد من كتاب البلاذري قسم ضئيل جدا ، طبع منه في ألمانيا ١٨٨٣ ، ثم تولى اليهودي الصهيوني طبع جزء آخر ، هو الذي ترجم فيه عن عثمان في ١٩٣٦ ثم طبع جزء آخر في ١٩٣٨ .

المقدمة العبرية :

قال الناشر : في مقدمته المكتوبة بالعبرية :

«ان هناك حوادث جرت في عهد يزيد بن معاوية وهي وقعة كربلاء وموت الحسين – رضي الله عنه – ، ولم تذكر في ترجمة يزيد بل ذكرها في تراجم بني أبي طالب ، وذلك حسب مااقتضاه نظام الكتاب ، وفقا لتسلسل الانساب» كما قال بنص كلامه .

أفلا يجوز اذن أن يكون (البلاذري) قد أدمج أمر «عبدالله بن سبأ» في مكان آخر كما فعل فيما لاحظه وذكره اليهودي ؟؟ كل هذا جائز .

«ولكن الدكتور حين ينفي شيئا لا يبالي أن يختار كل هذا ، ويغضي عنه ليقول فيه الرأي الذي يشتهيه ويؤثره غير متلجلج ولا متوقف» .

الطبري مؤرخ ثقة :

ثم كيف ينسى الدكتور أن من لم يرو خبرا ما ليس حجة على من روى هذا الخبر ، وبخاصة اذا كان الرجلان من طبقة واحدة ، كالبلاذري والطبري ، بل لعل الطبري ، أقوى الرجلين وأعلمهما وأكثرهما دراية بالتاريخ وتحصيلا له ، وهو الذي روي عنه أنه قال لاصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟؟ قال ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا : هذا مما تفنى فيه الأعمار قبل تمامه ، فاختصره لهم في ثلاث آلاف ورقة» .

«ومن قرأ كتاب الطبري في تاريخه وتفسيره ، علم أن (عزيمة هذا الرجل) حق ، وأن الرجل كان متفرغا للعلم لا يلفته عنه شيء قط ، ولا يدع شاردة ولا واردة الا تقصاها وحققها ، ورأى فيها الرأي الذي لا يكاد ينقض ، والفرق بينه وبين البلاذري لا يخطؤه بصير بهذا العلم ، فليس من الحجة في شيء أن يقال : (في عصرنا هذا) ان البلاذري لم يذكر هذا فيكون ذلك كافيا للرد على ما ذكره الطبري ، وهذا شيء بين لا يحتاج الى جدال كبير» .

ركب شططا :

«اذن : فالدكتور قد اشتط وركب مركبا لا يليق بمثله ، حين نفى خبر عبدالله بن سبأ ، وخبر الكتاب الذي فيه الأمر بقتل المصريين بعد الذي رأيت من تهافت أسلوبه العلمي» .

«واذن فالدكتور قد خالف سنة العلم والعلماء في نفي الاخبار وتكذيبها بلا حجة ، عن طريق أهل التمحيص ، بل حكم حكما بلا دليل يسوقه عن أفضلية البلاذري وتقديمه على الطبري ، وبلا مراجعة للصورة التي طبعت عليها الكتب ، وبلا دراسة لنفس الكتب التي ينقل عنها ، كما هو القول في ابن سعد والبلاذري معا» .

وهدفه أن الفتنة عربية :

«واذن فقد أراد الدكتور طه أن يقول ان (الفتنة الكبرى) التي أفضت الى مقتل عثمان انما كانت (فتنة عربية نشأت من تزاحم الاغنياء على الغنى والسلطان ، ومن حسد العامة العربية لهؤلاء

الاغنياء) ص ١٠٩ فمن أجل تحقيق هذه الكلمة الكبيرة ، ركب كل مركب في تصوير الحياة الاسلامية بعد الفتوح ، بالصورة التي تنتهي به الى هذا الغرض وحده دون سواه ، وهو الغنى والمال والسلطان ، وتزاحم الاغنياء على الغنى والمال والسلطان وحسد العامة العربية .. الخ» .

وهدف آخر :

ولكن الدكتور كشف عن هدف آخر حين جاء في معرض هذه الفتنة فنفى خبر (عبد الله بن سبأ) اليهودي وخبر الكتاب الذي كتب فيه الأمر بقتل رؤوس وفد مصر .

وهذا الهدف هو الذي ينفي عن اليهود الشركة في دم عثمان ، والتحريض على قتل الامام ، فركب مركبا وعرا خالف فيه اسلوب العلماء ، في جرح الاخبار ، وكذب الرواة في شيء بغير برهان ، وصدقهم في شيء آخر بغير برهان أيضا ، وهو نفسه ينعى في كتابه على «الذين يكذبون الاخبار التي نقلت الينا ما كان من الناس من فتنة وخلاف ، فقال في ص١٧٢ :

(فنحن ان فعلنا ذلك لم نزد على أن نكذب التاريخ الاسلامي) بيد أن الدكتور طه نفسه قد فعل ذلك ، فكذبهم حين روى الرواة ما لا يعجبه ، وحين رووا ما يؤذيه ، وفعل ذلك أيضا فصدقهم ، حين رووا ما يروقه وحين رووا ما يرضيه ، فان الذين رووا أخبار عبد الله بن سبأ اليهودي رووا أخبار الكتاب بقتل وفد مصر ، فلم أخذ شيئا بغير برهان ، ونفى أخاه بغير برهان .

نية حسنة ولكن !!:

«والشيء البين هو أن الدكتور أراد كما قال ص ١٣٤ «أن يكبر المسلمين في صدر الاسلام عن (أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء .. الخ) وهذا قصد حسن ونية جميلة ، ولكن الحق أحسن منهما وأجمل ، وليس يجمل بنا ولا بالدكتور طه أن يغالط في الحق لشيء يراه هو ، أو نراه نحن حسنا جميلا ، والتاريخ لا يكتب بالتحكم وانما يكتب بالرواية ثم بالاستدلال» أ.هـ.

- ٣ -

هل كان يدري ؟؟ :

هذه النقطة هي أخطر ما في الكتاب وقد أحصي على الكتاب الاعتماد على أحاديث ضعيفة ، اعتبرها المؤلف أساسا لاقامة منهج البحث ، بالاضافة الى المصدرين المضطربين «طبقات ابن سعد» لابن سعد ، و«أنساب الاشراف» للبلاذري ، وكلاهما طبعهما أعداء العرب والاسلام أول ما طبعا .

كما أخذ على المؤلف خلوها من المراجع ، بل ان طه حسين – وهو يذكر البلاذري – لم يكن دقيقا ، فلم يعرف بعضهم هل يقصد كتابه «الفتوح» أم كتابه «الأنساب» .

كذلك فقد أخذ على المؤلف اعتماده على مراجع ليست أصيلة في البحث بل هي ثانوية القيمة ، مع تركه الكتب الهامة في هذا البحث ، ومنها شرح النهج لابن أبي الحديد ، وتاريخ ابن واضح اليعقوبي ، كما ذكر الاستاذ سعد محمد حسن في نقده للكتاب .

مع ملاحظة أن كتاب ابن أبي الحديد لا يوثق به ، لأن مؤلفه على مذهب ابن سبأ» .

ولاية علي كرم الله وجهه ما هي ؟؟ :

وقد أخذ على طه حسين اعتماده حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» على أنه يعني خلافة علي ، وقد أشار الحافظ ابن عساكر في تاريخه عن الحافظ البيهقي عن فضيل بن مرزوق ، أن الحسن

المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب ، قيل له : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال بلى : ولكن والله لم يعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الامارة والسلطان ، ولو أراد ذلك لافصح لهم به . فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان أنصح للمسلمين ، ولو كان الأمر كما قيل لقال : يا أيها الناس هذا ولي أمركم والقائم عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا ، والله لئن كان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الأمر ، وجعله القائم للمسلمين من بعده ، ثم ترك (علي) أمر الله ورسوله لكان علي أول من ترك أمر الله ورسوله .

ولذلك كان حقا على الدكتور طه ألا يعتمد على هذا الحديث ، أو يلتزم الأمانة العلمية فيورد رأي أهل السنة فيه وقد قال في حقه العلامة ابن حزم :

(« أما من كنت مولاه فعلي مولاه» فلا يصح من طريق الثقات أصلا) الفصل في الملل والنحل ج ٤ ص١٤٨ .

وقال العلامة ابن خلدون في أحاديث الشيعة (لا يعرفها جهابذة السنة ، ولا نقلة الشريعة ، وأكثرها موضوع أو مطعون في طريقه ، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة . المقدمة ص٩٦ طبعة بولاق ١٢٧٤هـ) وفي كتاب التمهيد للقاضي أبي بكر الباقلاني ، تتمة شيقة لهذا الموضوع .

وهكذا يتضح جليا أن المؤلف لم يعن مع الأسف الشديد بدراسة موضوعه دراسة جيدة (ونقول : أو ربما كان على غرض خفي في نفسه يهدف الى تحقيقه) .

– ٤ –

لماذا خرج أبو ذر رضي الله عنه ؟ :

ويشير طه حسين الى أبي ذر رضي الله عنه ، فيقول أنه نفي الى «الرملة» والصحيح «الربذة» ، ويقول : (ولم يطق عثمان نفسه معارضة أبي ذر فأخرجه من المدينة) .

ويقول السيد محب الدين الخطيب ، رحمه الله : الصواب في أمر أبي ذر ما رواه ابن خلدون في العبر ، أن أبا ذر هو الذي استأذن عثمان في الخروج من المدينة الى الربذة وقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أخرج منها اذا بلغ البناء سلعا ، فاذن له ، ونزل الربذة وبنى بها مسجدا ، وأقطعه عثمان صرمة «عدد بين العشرة الى العشرين» من الابل ، وأعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقا ، وكان يتعاهد المدينة ، وبين الربذة والمدينة أميال ، وقال ياقوت : وكانت من أجل منزل في طريق مكة .

محاولة غير صحيحة :

وقد حاول الدكتور طه في دعوى عريضة ، أن يقول : بأن المؤرخين أعرضوا عن ذكر عبدالله بن سبأ لأنهم تبينوا أن أمره متكلف منحول قد اخترع بأخرة ، والمؤلف يرى أن خصوم الشيعة من أهل السنة وغيرهم ، من الذين وضعوا أمر ابن السوداء وتولوا كبره ، ليدخلوا في أصل الشيعة عناصر يهودية ، امعانا في الكيد لهم والنيل منهم على حد تعبيره .

ويرى الباحثون الذين نقضوا كتاب «الفتنة الكبرى» وفي مقدمتهم السيد محب الدين الخطيب ، أن الدكتور طه قد جانب الصواب ، فأي كيد للشيعة في وجود عناصر يهودية في بعض فرقها وأهل السنة والشيعة جميعا يلعنون ابن السوداء ويتبرمون منه ومن جماعته ، وان ابن أبي الحديد شارح النهج قد أعلن ذلك ، وهو مؤرخ شيعي .

وأخرى يكذبها الثقات :

ويحاول الدكتور طه أن ينكر على المؤرخين ، تأليه ابن السوداء لعلي بن أبي طالب ، مع أن هذه حقيقة لا يدفعها شك ، رواها رجال اثبات من السنيين والشيعة وغيرهما ، منهم الشهرستاني في الملل ، ابن حزم في الفصل ، عبد القادر البغدادي في الفرق بين الفرق ، الرسعني في مختصر الفرق ، الاسفرابيني في التبصير في الدين . ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ، ابن قيم الجوزية في الطرق الحكمية ، وغيرهم كثيرون ، أما دعوى الدكتور بأن خصوم الشيعة دسوا عليهم ابن سبأ ، فهي تدل على قلة اطلاعه على كتب الشيعة قديمها وحديثها .

طه حسين ومستقبل الثقافة

أثار كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» ، الذي أصدره الدكتور طه حسين ١٩٣٨ ضجة كبرى ومعارك متعددة فقد كان بمثابة «المنافستو الاستعماري» الذي يجب أن يطبق على مصر ، بعد أن انتهت الامتيازات .

فالدكتور طه ينذر فيه المصريين بأنهم التزموا أمام أوروبا أن يذهبوا مذهبها في الحكم وأن يسيروا سيرتها في الادارة وأن يسلكوا طريقها في التشريع ، ويهددهم بأنهم لا يستطيعون التراجع عن ذلك ، بعد أن وقعو معاهدة الاستقلال ومعاهدة الغاء الامتيازات وفيها مواد صريحة قاطعة تفرض على المصريين هذه التبعية التي يسميها «السير سيرة الاوربيين في الحكم ، والادارة والتشريع» ، ويقول :

«فلو هممنا الآن ان نعود أدراجنا وأن نحيي النظم العتيقة (ويقصد بالنظم العتيقة الشريعة الاسلامية) لما وجدنا الى ذلك سبيلا ، ولوجدنا أمامنا عقبات لا تجتاز ولا تذلل ..

معالم الطريق :

واذا سألنا عن الطريق الذي يرسمه لنا مستقبل الثقافة لوجدناه واضحا في عبارته التي تقول :

«ان سبيل النهضة واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهي أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع» .

هذا هو الاسلوب الذي يريد فرضه النفوذ الاستعماري عن طريق (مانفيستو طه حسين) الذي قدمه أول الأمر الى كبار المسؤولين بعد توقيع المعاهدة بعد عودته من رحلة الصيف الى فرنسا في ذلك العام ، والمعروف أنه كان لفرنسا عدد كبير من مدارس الارساليات في مصر ، وأنها كانت حريصة على أن تستمر عملية التبشير التي تتم عن طريقها في حماية النفوذ الانجليزي الذي وافق على ذلك بعد الغاء الامتيازات(١) .

مكمن الخطورة :

وترجع خطورة الكتاب الى أن صاحبه كتبه بناء على خطة واضحة في الغرب وأنه ما لبث أن مكن من المنصب ، فولي منصب المستشار الفني لوزارة المعارف على أثر ذلك مباشرة ، ثم منصب مدير الثقافة بها ، ثم عميدا لكلية الآداب من قبل ومن بعد ، ثم مديرا لجامعة الاسكندرية ، ثم وزيرا للمعارف على التوالى .

وقد مكنته هذه المناصب من عام ١٩٣٨ الى ١٩٥٢ من تنفيذ برامجه وارساء أسس هذه الخطة التي وضعها في كتابه خلال أربعة عشر عاما ، وبذلك تركز منهج التغريب في جميع برامج التعليم في الثانوي والجامعة على أساس الغزو الثقافي الذي أراد النفوذ الاجنبي به تعويض ما فقده من الأرض بالغاء الامتيازات الأجنبية وسيطرتها على الارساليات التعليمية ، فقد انقلبت هذه المناهج من المدارس الاجنبية الى المدارس المصرية بهدف القضاء على معالم الشخصية الاسلامية في :

١ - أنظمة التعليم في الأزهر .

٢ - اعتبارات مصر الاسلامية .

٣ - مقومات الكيان الاسلامي .

٤ - أثر الاسلام في ثقافة مصر وتفكيرها فقد وقفت فرنسا ضد توقيع اتفاق مونترو سنة ١٩٣٧ لالغاء الامتيازات ما لم تتأكد من أن خطتها في التغريب في مصر ستظل محررة .

وفي هذه اللحظات الحاسمة أهدي طه حسين وشاحا كبيرا من جامعة ليون التي تعلم فيها وعاد وهو يحمل معه أصول هذا الكتاب ، وبعد أن كانت المعركة تدار عن طريق آراء المستشرقين أمثال جب وماسينيون والمبشرين وغيرهم أمثال ولكوكس وزويمرا أصبح هناك من الكتاب العرب من يحمل لواء هذه الافكار ويدعو اليها كمحاولة لتثبيت دعائم التجزئة وخلق ملامح مصطنعة لما يسمى بالفكر المصري المعاصر المنعزل عن الفكر الاسلامي .

الخطوط الاساسية للكتاب :

أولا : الدعوة الى حمل مصر على الحضارة الغربية وطبعها بها ، وقطع كل ما يربطها بقديمها واسلامها .

ثانيا : الدعوة الى اقامة الوطنية وشؤون الحكم على أساس مدني لا دخل فيه للدين أو بعبارة أصرح : دفع مصر الى طريق ينتهي بها الى أن تصبح حكومتها لا دينية .

ثالثا : الدعوة الى اخضاع اللغة العربية لسنة التطور ودفعها الى طريق ينتهي باللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الى أن تصبح لغة دينية فحسب كالسريانية والقبطية واللاتينية واليونانية .

القصة الأولى :

العقل المصري عقل غربي :

وتلك أكبر مغالطاته الفاضحة ، حين يريد أن يصور أن العقل المصري نشأ في أحضان الشعوب التي عاشت حول بحر الروم ، وأن علاقات مصر بالغرب أوثق من صلاتها بالشرق ، وتصويره للعرب بأنهم غزاة دخلاء لا يطمئن اليهم المصريون في الوقت الذي يصورهم فيه مطمئنين الى الفتح اليوناني لا ينكرونه ولا يتمردون عليه ويحاول أن يقول بأن الاسلام لم يخرج بالمصري عن مصريته وأن مصر كانت دائما جزءا من أوروبا في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف ألوانها وفروعها ، ويحاول القول بأنه ليس بين المصريين والأوربيين فرق في الجوهر ولا في الطبع ولا في المزاج وأنه لا يخاف على المصريين أن يفنوا في الأوربيين .

دعوى غريبة :

ويدعي الدكتور طه أن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الدول ، ويدعو الى أن تكون الحكومة لا دينية وأن يقام التعليم على أساس مدني خالص وأن يترك تعليم الدين للأسر ، ويتحدث عن الأزهر فيصوره أثرا من مخلفات العهود المتأخرة المنحطة وجل ما يضايقه في الأزهر هو فهمه الاسلامي للوطنية ، ويريد الدكتور أن يدخل في أدمغة أبنائه فهم الوطنية فهما اقليميا بمعناه الغربي الحديث، وأن هذه الصورة العلمانية الغربية يجب أن تدخل الازهر(٢) .

مناقشة الآراء والاخطاء البينة :

وقد ناقش هذه الأفكار كثيرون في مقدمتهم ساطع الحصري وزكي مبارك والشيخ حسن البنا ومحمد محمد حسين وكشفوا عن الاخطاء الآتية :

أولا : الفروق في الطبع والمزاج من الأمور المشاهدة بين جميع الأمم ، حتى بين الأمم الأوربية نفسها ، التي تبدو للعيان وكأنها واحدة . بين الانجليزي والفرنسي والالماني والايطالي ، فهل يعقل مع هذا الا يختلف طبع المصريين ومزاجهم عن طبع الأوربيين ومزاجهم بوجه من الوجوه . ومن هنا فان هنـاك فارقـا واسعا وعميقا بين العقلية المصرية والعقلية الأوربية على أساس اختلاف الدين والعقيدة واللغة والأخلاق والعادات والتقاليد .

ثانيا : انه لا علاقة مطلقا بين مصر وبين الثقافات والحضارات التي نشأت حول بحر الروم ، فمصر منذ وقت بعيد مرتبطة بالاسلام والعرب وكل قضاياها عربية اسلامية .

ثالثا : ان تأثير وحدة الدين ووحدة اللغة في تكوين الدول قائم ، وقد تحققت في الماضي وفي العصر الحديث قيام الدول على أساس وحدة اللغة ووحدة الدين وليس معنى هذا أنها من خصائص القرون الوسطى بل ان وحدة اللغة هي من القوى الفعالة في تكوين الدول وتوجيه السياسات وكذلك وحدة الدين .

رابعا : ان الكاتب لم يتلفت الى أهم الفروق الموجودة بين الشرق والغرب وهي التي نشاهدها من وجهة نظم الأسرة وأوضاع المرأة والأوصاف النفسية – الخلقية والعقلية – التي تتبع تلك النظم والأوضاع .

وقال الدكتور زكي مبارك : قلت يا دكتور ان عقلية مصر عقلية يونانية وفرحت بأن الاسلام لم يغير تلك العقلية في حين أن مصر ظلت ثلاثة عشر قرنا وهي مؤمنة بالعقيدة الاسلامية ، والأمة التي تقضي ثلاثة عشر قرنا في ظل دين واحد لا تسطيع أن تفر من سيطرة ذلك الدين ، ان الاسلام رج الشرق رجة أقوى وأعنف من الرجة التي أثارتها الفلسفة اليونانية ..

في الحق أن المصريين في حياتهم الاسلامية شغلوا أنفسهم بعلوم اليونان ولكنك وقد جلست في صحن الأزهر كما جلست تعرف أن المصريين لم يتذوقوا تلك العلوم والأزهر لا يزال باقيا .

أنت تعرف فيما تعرف أن قضايا الفقه الاسلامي نفسه كان يتغير بالانتقال من أرض الى أرض فكان للشافعي مذهب في مصر ومذهب في العراق ، ويعني ذلك أن العقليات تتغير من وقت الى وقت باختلاف ظروف الزمان وظروف المكان . والموجة الاسلامية التي طغت على مصر فنقلتها من لغة الى لغة ومن دين الى دين ، والتي قضت أن تنفرد مصر بحراسة العروبة والاسلام بعد سقوط بغداد ، هذه الموجة الصائبة لايمكن أن يقال انها لم تنقل مصر من العقلية اليونانية الى العقلية الاسلامية ولكن ماهي تلك العقلية الاسلامية ؟ هي لون آخر غير العقلية اليونانية بلا جدال .

وقال الاستاذ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين : ان الثقافة الواجبة الرعاية في كل

بلد متحضر هي الثقافة الشعبية العامة والثقافة المدرسية ذات السياسة المحددة والغرض الواضح ، ولذلك يجب اعطاء الثقافة المصرية طابعها الاسلامي المميز لها .

وان مصر منذ دخولها الاسلام طائعة مختارة ، فقد كسبت مزاجا خاصا لا فكاك لها منه ، وقد ظلت مصر مدة أربعة عشر قرنا اسلامية التاريخ والمجتمع والثقافة ، الى أن جاءت نظم التربية الحديثة فأرادت أن تنزع عنها هذا اللون المميز لتميل بمزاجها الى الشيوع في جميع الثقافات الأخرى ، ولما كانت التربية الاسلامية على ضوء المنطق وضوء العلم الحديث تشتمل في جميع أحكامها ومنابعها الثقافية والاجتماعية على جميع عناصر التربية الكاملة أصبح لزاما أن تتخذ سياسة جديدة أساسها هذا المزاج الاسلامي ودعامتها هذه الروح الاسلامية .

والمزاج الاسلامي الفريد قابل لكل تطور ، يحتفل بالعلم ويقدسه . فالصلاة الاسلامية فريضة واجبة وركن من أركان العبادات ، وهي لم تخرج عن النسق الكامل الذي جاء به الاسلام جملة وتفصيلا في تربية الجسد وتربية العقل وتربية الروح وهذه العناصر الثلاثة في التربية – هي نفسها – ما يصفه العلماء بأنه التربية الكاملة .

والعقلية الاسلامية ذات طابع اسلامي من حيث المزاج والتصور لا فرق في ذلك بين المتدينين من المصريين وغير المتدينين منهم ، ان مصر بتاريخها الاسلامي الباهر تدحض كل زعم بتأثرها بغير هذه العقلية ، ولعل تاريخها الحديث ونهضتها الحاضرة بين الأمم التي قامت على دعامة من فكرها الاسلامي وثقافتها الاسلامية خير دليل لمن يريدون الميل بها عن الينبوع الذي استمدت منه مئات السنين مادة قوتها وتماسكها واشراقها الخاص بين دول الشرق والغرب» .

دعوة تعلم اللغات الأجنبية والآداب الأجنبية :

ويدعو طه حسين الى أن لاتقتصر الدراسات الادبية في مدارسنا على الأدب العربي ، بل يجب أن تدرس الآداب الأجنبية وأنها يجب أن تقدم في لغتهم الوطنية .

ويقول الدكتور محمد محمد حسين : ان كلام المؤلف يلبس ثوب الوطنية والتعصب للغة القومية ولكن مقصده الحقيقي الذي يتفق مع مذهبه وهو نشر آداب الغرب وثقافته على أوسع نطاق فان الدول الاستعمارية في سبيل نشر ثقافتها تترجم وتؤلف باللغة العربية .

مؤامرة خادعة :

وفي جملة الرد على شبهات كتاب مستقبل الثقافة نقول :

أما الدعوة الى اخضاع اللغة العربية لسنة التطور فانه يهدف الى ايجاد مسافات واسعة بين بيان القرآن الكريم وبيان اللغة العربية بما يؤدي بعد أجيال الى أن يتنصل القرآن عن الثقافة العامة ، ويقرأ بواسطة قاموس وتلك هي المؤامرة الخادعة التي يحققها دعاة الاسلوب العصري في الكتابة وفي مقدمتهم طه حسين .

كذلك فان الدكتور طه كان يدعو في هذا الوقت الباكر الى العلمانية والى القضاء على الشريعة الاسلامية بالقانون الوضعي والى القضاء على الوحدة الاسلامية بالدعوة الى الاقليمية والقومية الغربية .

أما تقبل الحضارة الغربية خيرها وشرها وحلوها ومرها فان ذلك يعني أن ينصهر المسلمون في الحضارة المعاصرة وبذلك يفقدون الخاصة ويصبحون شيئا لا طابع له ، وبذلك يفقدون رسالتهم ومسؤوليتهم وأمانتهم في حمل رسالة الاسلام واقامة المجتمع الاسلامي وتبليغ الاسلام للعالمين .

● المسلمون لم يقبلوا الفلسفة اليونانية

عندما ترجمت ووقفوا لها بالمرصاد جيلاً بعد جيل

● أرسطو ●

عقل يوناني ، أم مكر استشراقي :

أما دعواه بأن العقل المصري هو عقل يوناني فانها من مكر المستشرقين الذين يريدون أن يقولوا بأن المسلمين أخذوا منطق أرسطو في النهضة الاولى ، ومن هنا فلا مانع أن يأخذ المسلمون المعاصرون منطق الغرب الحديث ، علمانيته واباحيته وماديته .

والحقيقة ان المسلمين لم يقبلوا الفلسفة اليونانية عندما ترجمت ، ورفضوها تماما وزيفوها ووقفوا لها بالمرصاد جيلا بعد جيل ، حتى جاء الامام الغزالي فكشف زيفها ثم كانت طعنة ابن تيمية لها في كتابه عن الرد على منطق أرسطو ، وكانت مواقف الشافعي وابن حنبل كلها مواقف معروفة تؤكد رفض المسلمين للفلسفة اليونانية وكشف زيفها .

وتلك أكذوبة كبيرة من الاستشراق في دعواه العريضة ، بأن المسلمين قبلوا منطق أرسطو ، أو أن المعتزلة كانوا تلاميذ اليونان ، أو ما كان من زيف الفكر الباطني ، الذي قدمه دعاة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، أمثال الحلاج فان ذلك فكر مرفوض حاول طه حسين وأستاذه مانسيون دعوة احيائه باعادة طبع رسائل اخوان الصفا أو احياء كتبهم .

ونحن الآن نقف على نفس الثغرة التي وقف عليها هؤلاء الابرار وقد أعلنت حركة اليقظة الاسلامية رفضها للتبعية للفكر الغربي بشقيه وزيفت مناهجه وكشفت عن سمومه وأخطائه وعن تفرد المنهج الاسلامي بالتوحيد الخالص .

وقد كشفت الابحاث زيف دعاوي طه حسين ، الذي كان عميلا للتبشير ومدافعا عن تبعية مصر للغرب ، في التشريع والحكم ، بالاشارة الى بند من معاهدة مونترو .

ولقد تحطم هذا الاتجاه كله وطه حسين حي وعاد طه حسين من جديد في سنواته الاخيرة يحاول أن يتلاءم مع حركة اليقظة ولكن هيهات ●

---

(١) الامتيازات معاملة خاصة كان الاجانب «الاوروبيون» ومن في حكمهم يلقونها من الحكومة أثناء الاحتلال ، فلما أمضيت المعاهدة التي تنص على الاستقلال ألغيت الامتيازات ظاهر الامر ولكن بقيت بصورة او أخرى في ظل حكومات العهد الملكي خاصة وان المعاهدة نظمت قواعد وجود جند الاحتلال في مناطق معينة من أرض مصر يومئذ . «المجلة» .

---

(٢) لم يمض طويل زمن على هذه الدعوة الاقليمية حتى قام الاتحاد الاوروبي – رغم اختلاف الارومات واللغات – وقطع أشواطا طويلة وأدرك الدكتور قبل وفاته بعض ذلك . «المجلة» .



الشيخان ومرآة الاسلام والوعد الحق

- **طه حسين اتخذ من الشيخين ستاراً ليعبث في تاريخ أمتنا الاسلامية ويطعن بالرواة الثقاة وبالتابعين .**
- **لم يستطع طه حسين أن يتخلى عن عاطفته نحو الملحدين والمتآمرين فدافع عنهم وعن قتلة عثمان «رضي الله عنه» ووضع نفسه مع رجال ابن سبأ .**

يمضي الدكتور طه حسين في كتبه هذه على نفس النمط الذي سار عليه في كتاب الفتنة الكبرى ، وهي مجموعة أحقاد ووصايا تبشيرية واستشراقية موجهة ومدروسة ، يضعها في قلب هذه الدراسات لاثارة الشكوك حول تاريخ الاسلام والخلافة وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد مهد لكتاب (الشيخان) بمقدمة خطيرة أعلن فيها مذهب الشك الفلسفي بوضوح .

فقد أعلن أنه يشك (أعظم الشك) فيما روي عن هذه الاحداث التي تناقلتها الكتب عن حياة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وهما الشيخان حيث يقول :

«وأنا بعد ذلك أشك أعظم الشك فيما روي عن هذه الاحداث ، وأكاد أقطع بأن ما كتب القدماء من تاريخ هذين الامامين العظيمين ، وعن تاريخ العصر القصير الذي وليا فيه أمور المسلمين ، أشبه بالقصص منه بتسجيل حقائق الأحداث التي كانت في أيامها .

وان كان من الحق أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه قد كذب الناس عليه ، وكان كثير من هذا الكذب مصدره الاكبار والتقديس ، فلا غرابة في أن يكون اكبار صاحبيه العظيمين وتقديسهما مصدرا من مصادر الكذب عليهما أيضا» .

ويذهب الى أبعد من ذلك حين يقول : «ان الذين رووا التاريخ الاسلامي هم المنتصرون وحدهم بل من طريق الذين لم يشهدوا الانتصار بأنفسهم ، وانما نقلت اليهم أنباؤه نقلا ، أقل ما يمكن أن يوصف به أنه لم يكن نقلا دقيقا . وهم لم يسمعوا أنباء هذا الانتصار من المنهزمين من قريش وروم وأمم أخرى شاركتهم في الحرب وشاركتهم في الهزيمة ، فهم سمعوا صوتا واحدا ، هو الصوت العربي . وأيسر ما يجب على المؤرخ المحقق أن يسمع أو يقرأ ما تحدث به أو كتبه المنهزمون والمنتصرون معا» .

تطوع للدفاع عن الروم :

وهكذا تطوع طه حسين (كما يقول الاستاذ محمد التابعي في بحثه المستفيض عن السيرة) للدفاع عن المنهزمين من علوج الرومان ، ليكون لسان حاله مطعونا بعدالته ، محكوماً عليه بالكذب ،

لا يعرف طعم الامانة ، ويأبى الطريق الذي يوصله الى الحقيقة .

ومن المقدمة وحدها نعلم أن طه حسين اتخذ من الشيخين رضي الله عنهما تقية وستارا ، ليعبث في تاريخ أمتنا الاسلامية ويطعن بالرواة الثقاة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وتابعي التابعين وينكر أحاديث متفقا على صحتها .

ويمضي طه حسين في كتابه على غرار ما ذهب اليه في المقدمة مشككا بالرواية والراوي ويتكرر هذا الاسلوب في كل حادثة من الحوادث .

١) الطعن في حادث السقيفة :

يقول : «ولست أطمئن الى أكثر ما يرويه الرواة من نصوص الحوار الذي كان بين أبي بكر وصاحبيه من جهة ، وبين الانصار (أوسهم وخزرجهم) من جهة أخرى .

٢ - الطعن في الحديث الذي روي عن العباس وعلي رضي الله عنهما ، من أن العباس عرف الموت في وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، والغريب أن الطبري يروي هذا الحديث من طريقين دون أن ينكر فيه شيئا .

هذا الحديث رواه أيضا البخاري في كتاب المغازي في صحيحه ، ونقله ابن كثير في البداية والنهاية ، ورواه الامام أحمد في مسنده ، ولعل طه يعلم رواة هذا الحديث ولكنه أراد التشكيك .

٣ - تشكيكه في استسقاء عمر بالعباس - رضي الله عنهما - مع أن الحديث رواه البخاري في صحيحه عن أنس : أن عمر خرج يستسقي وخرج بالعباس يستسقي به ، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ، وشيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة التوسل والوسيلة .

٤ - تشكيكه في أن يكون عمر قد راجع أبا بكر - رضي الله عنهما - معترضا على حرب المرتدين ، مع أن مراجعة عمر لابي بكر صحيحة رواها الجماعة في كتبهم ، سوى ابن ماجه ، أي رواها البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

وفي جميع هذه الحوادث التي ينكرها طه حسين لا يعتمد على سند علمي صحيح ، وانما على عقله الذي وصفه في بعض المواضع بالتناقض والضعف والاضطراب .

محاولة لنسف التاريخ :

ولأن طه حسين يعلم أن التشكيك برواة التاريخ الاسلامي الاعلام العدول ، محاولة لنسف التاريخ من أصله ، لأجل هذا فهو يناصبهم العداء ويصدر أي خبر لهم بقوله (ويزعم الرواة) وكلمة يزعم تقال للخبر المشكوك فيه .

وأخيرا يستخدم العصبية الجاهلية ، فان أكثرهم موالي يكرهون العرب حسب زعمه دون أن يذكر أسماءهم . ومعظم الرواة من غير العرب وفي مقدمتهم ناصر السنة الامام البخاري .

بل أنه يصم هؤلاء الرواة بأن قلوبهم لم تبرأ من الضغن على العرب لأنهم فتحوا بلادهم .

ونحن نعلم أن الله تبارك وتعالى قد طهر قلوب هؤلاء العلماء الابرار الذين صاغهم الاسلام في بوتقته ، وأخرجهم من هذه العصبية وهذه العنصرية التي لم يعرفها المسلمون ، الا حين أيقظها الشعوبيون بعد ذلك .

٥ - ولوغه في أعراض الصحابة :

وقد شارك طه حسين كثيرا من المستشرقين المتعصبين في تجريح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمز أبا هريرة رضي الله عنه ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وتحامل على معاوية

رضي الله عنـه ، وأوغـل في عرض سيف الله خالد ابن الوليـد ، ووجـد في القصص التي اختلقها الوضاعون من أعداء الله عبر التاريخ الاسلامي ذريعة للطعن بأعظم قائد عرفته المعارك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويذكر قتل خالد لمالك بن نويرة ، واستدعاء أبي بكر – رضي الله عنه – له ، ثم يعقب بأن : هذه الواقعة تبين ماأسماه (عنف خالد واسرافه في القتل) وأنها تظهر عن خلق آخر ، هو حبه للتزوج ، وخلق آخر معروف في عشيرته من بني مخزوم ، وهو العجب والخيلاء .

ومـازال يتـطاول على سيف الله خالد رضي الله عنـه حتى جاء بأسطورة لم يشهدها تاريخ الفتوحات الاسلامية ، وقد ترفع المستشرقون عن نقلها : وهي ادعاءه أن خالدا قد أجرى ماء النهر بدمائهم ، وقد أثبت طه حسين هذه الرواية التي لا سند لها ، بينما أنكر الروايات الموثقة التي رواها البخاري رضي الله عنه .

وهو يهدف من ذلك الى تصوير الفتوحات الاسلامية وقواد المسلمين بالهمجية ، ولم يثبت سائر الروايات التي اعتذر فيها عمر رضي الله عنه عن عزل خالد (محمد النايف) (وغازي التوبة) .

ثانيـا : ولم يتـوقف انتقاد طه حسين للشيخين في كتابه هذا وحده ، ولكنه تعداه الى كتبه الأخرى ، فقد وصف عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – في غير موضع بالبطش ، وقال انه لم يمت حتى ملته قريش .

وانتقد أبا بكر – رضي الله عنه – في أنه حصر الخلافة في قريش وعمر كان يعارضه في ذلك ؟؟

ثالثـا : افتـرى طه حسين على الصحابة وسبهم واحدا واحدا وصنع لهم مثالب ووصفهم بالنفـاق ، وهـدفـه من ذلك ازالة الكرامة عن الصحابة – رضوان الله عليهم – وجعلهم في صف السياسيين المحترفين في هذا العصر ، ومن ذلك وصفه عمرو ابن العاص – رضي الله عنه – بأنه ماكر أهل الشام ، ووصف الاشعث بن قيس ، بأنه ماكر أهل العراق ، ولا ريب أن الطعن على الصحابة – رضوان الله عليهم – يرمي الى زلزلة الثقة بأهل الثقة .

الجرأة على القرآن والسنة :

وهو في كل ذلك جرىء – ان صح التعبير – على القرآن والسنة والحديث ، ضعيف المصادر منتحل من كتب الادب ، وعندما تقرر كتاب «الشيخان» في المعاهد المصرية ، كتب الغيورون يطلبون الغاء تقريره ، وفي مقدمتهم الاستاذ عبد الحفيظ القرني الذي قال : ان هذا الكتاب عرض هذين الخليفتين العظيمين لموجة من الشك الذي حشي به كتابه ، فترك الشباب في قلق وحيرة ، لا يدري أين يضـع قدمه بين تلك الامواج المتدفقة من عباراته ، مثل : أنا أشك ، زعموا ، يزعمون ، أنا غير واثق ، الى غير ذلك مما يفتح الطريق واسعا للتخبط والشك والضياع .

وكان الاستاذ محمد عمر توفيق ، قد ألف كتابا عنوانه (الشيخان) ردا على كتاب طه حسين – في ابان حياته – وقال :

ان طه حسين تجافى منهج أهل الحديث في اعتماده على أحاديث مشكوك فيها ، لاثارة الشبهات عامدا ، وقال : ان أسلوبه الخلاب خطير ، لأنه يخفي وجه الحق فلا يتنبه قراء كتابه فيضلون ، وان الناس قد تخفى عليهم وجوه الخطأ والصواب في كتاب مثله ، وقد يغريهم اسم المؤلف بتصديق كل ما يقـول ، وان طه حسين خدع قراءه في أول كتابه باظهار حبه للشيخين ، وشعوره بالتقصير في حقهما ، لأنه لم يشارك في الحديث عنهما من قبل .

وقـال المؤلف : ان طه حسين قد شكك في القدماء والروايات الاسلامية القديمة ، ولكن لم

يتجاوزها الى المستشرقين – الذين هم عنده موضع الاجلال – دون أن يكون لديه ميزان دقيق في هذه الاحكام الجائرة .

نص مسموم :

ويعرض الاستاذ عبد العظيم الديب لنص مسموم من كتاب طه حسين : (الشيخان) يقول : (وكان حظ الكوفة من سواد العراق ومما فتح من أرض الفرس أعظم من حظ البصرة ، وكان أهل البصرة يطمعون في أن يوسعوا رقعتهم ويكثروا من الفتوح ، لتتاح لهم من الغنائم وسعة الفيء ، الى ما كانوا يؤمنون به من فضل الجهاد والغزو في سبيل الله .

حتى قال الاحنف بن قيس ذات يوم لعمر رضي الله عنهما :

ان عيشنا أضيق من عيش اخواننا بالكوفة ، وانا لن نأمن الفرس ، وما زال الالحاح حتى اذن عمر ، فاندفع أهل البصرة حتى بلغوا من الفتح ما أرادوا .

وهكذا يروي الخبر بصيغة الجزم والقطع (حتى قال الاحنف بن قيس) ولا يكلف نفسه أن يأتي بصيغة تخفف من هذا التأكيد مثل «روي» ونحوها ثم انظر قوله (أهل البصرة يطمعون في أن يوسعوا رقعتهم ويكثروا من الفتوح ليتاح لهم من الغنائم وسعة الفيء) وانظر (ان عيشنا أضيق من عيش اخواننا بالكوفة) .

هذا الفهم وهـذا التفسـير لايكـون الا من نقص الادراك ، وبـالتالي من نقص الاستجابة للاحداث ، ولو كان لدى طه حسين الادراك الكامل السليم ، لادرك الروح التي كانت تحكم هؤلاء الاطهار ، ولعلم أن هذه الحكاية أولى بكل أدوات الشك التي بعثرها في كتابه ، ولادرك أن هؤلاء هم الذين تربوا في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم ووعوا قوله : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فذلك في سبيل الله» فما بال القتال في سبيل الغنائم والمال الذي يبعد المجاهد عن سبيل الله .

ولو وعى – طه حسين – أبسط الحقائق النفسية ، لادرك أن من يقاتل في سبيل الغنائم لا يدوم له النصر ، ذلك أنه يكون معلق القلب بما خلفه وراءه من مال ، وبما يبغيه من أيدي عدوه ، ومثل ذلك لا يدوم له نصر وان كسب المعركة أو أكثر .

ولعمري اذا كان المستأذن الاحنف بن قيس أحلم العرب ، وكان الآذن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما الذي كان يكره الحرب ويتمنى أن لا يلجأ اليها ويكره عليها .

اذا كان الأمر كذلك ، فما يبقى للمسلمين والاسلام ، ولكن الدكتور عميد الادب العربي ، المبـاهي دائما بأنه ربيب الثقافة الغربية ، والمتبرك دائما بالثقافة الاغريقية ، فاته أن يدرك وأن يستجيب لاحداث تاريخ الاسلام كما يجب أن يكون الادراك والاستجابة .

أصول مشتركة :

وهكذا نجد أصولا عامة مشتركة في كل كتب طه حسين الاسلامية :

أولا : ظلم عثمان واستنقاص الصحابة – رضوان الله عليهم – والافتراء على السيدة عائشة رضي الله عنها .

ثانيا : محاولة الغض من شأن الخلافة الاسلامية ، والقول بأن تجربتها في أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قد انتهت الى الفشل .

ثالثا : متابعة المستشرقين في شبهاتهم ، واثارة جو من الانتقاص للسيرة والتاريخ الاسلامي .

رابعا : تكذيب الروايات التي وردت في صحيح البخاري وكتب السنة .

وفي كتاب الوعد الحق :

أولا : يطيل الحديث في كتابه (الوعد الحق) عن ظلم عثمان رضي الله عنه وطغيانه ، وأنه ما زال يضرب ابن مسعود رضي الله عنه حتى كسر ضلعه ، وأشبع عمار بن ياسر رضي الله عنه ضربا ، حتى أصابه الفتق ، وغشي عليه ، وفاتته صلوات الظهر والعصر والمغرب (ص١٧٠) .

والرواية على هذه الصورة لا صحة لها . وان خلاف عثمان مع ابن مسعود – رضي الله عنهما – على المصحف كان بدون ضرب والحق في ذلك مع عثمان رضي الله عنه . وخلاف عمار مع عثمان رضي الله عنهما لم يتجاوز العتاب ، كما يقول ابن عساكر في تاريخه .

ثانيا : يؤمن بأن بني أمية في عهد عثمان حكموا حكما جاهليا بعيدا عن الاسلام ، وأن عثمان رضي الله عنه نكث عن بيعته لعبد الرحمن بن عوف ، وانحرف عن طريق صاحبيه .

وفي كتاب مرآة الاسلام :

يمضي طه حسين في كتابه حتى الربع الاخير فيه ، دون أن يثير شبهة ، ثم تبدأ الشبهات وتتوالى ، وهذا أسلوب ماكر من أساليب الاستشراق ، وفي هذه الصفحات الاخيرة تتوالى عباراته الجارحة للصحابة رضوان الله عليهم وتكذيب الاحاديث الصحاح .

ويركز طه حسين في هذا الكتاب على خصوم الاسلام الذين تآمروا عليه من أمثال الزنادقة في عهد المهدي ، والحلاج ، فيدافع عنهم ويهاجم الخليفة المهدي في صنيعه بالزنادقة ، ويصف قتل الحلاج بالغلو ، ويحاول أن يعمم هذا فيتحدث عن ابن رشد وابن حزم ، ويزكي المعتزلة القائلين بخلق القرآن .

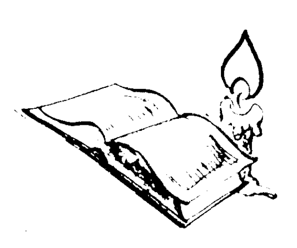
وقد تجاهل طه حسين أن الحلاج اتخذ بيتا ليطوف الناس به ، بدلا من أن يذهبوا الى البيت الحرام في مكة ، وانه كان من دعاة الحلول – حلول الله ، تعالى عن ذلك – في البشر .

بل انه يدافع عن قتلة عثمان رضي الله عنه ، ويرى أن الذين ثاروا عليه لم يكونوا مخطئين ، وبذلك يضع نفسه في صف رجال عبدالله ابن سبأ الذي شكك فيه في كتاب الفتنة الكبرى .

اعجاب طه حسين بثورات التخريب

بل انه يذهب الى أبعد من ذلك في مغايظة المسلمين وتنكب الطريق الصحيح ، ويعتبر أن مؤامرة القرامطة والزنج ، ثورتان اسلاميتان تطلبان العدل والمساواة .

ولا ريب أن طه حسين كما يقول محمد النايف ، لا يستطيع أن يتخلى عن عاطفته نحو الملحدين . كالسبئية والزنادقة والحلولية والقرمطية وثورة الزنج . ويحشر المرء مع من أحب ..



فلسفة ابن خلدون

● كثيرون كشفوا زيف طه حسين
● طه حسين لم يدرس مقدمة ابن خلدون ولم يلاحظ تطورات علم الاجتماع وكان يتمسك برأي واحد من الآراء المتضاربة !

كان كتاب فلسفة ابن خلدون الاجتماعية بمثابة أطروحة الدكتور طه حسين ، التي تقدم بها الى جامعة السربون ، باشراف أساتذته المستشرقين : دوركايم ، وليفي بريل (اليهوديان) وكازانوفا ، وقد كتبها بالفرنسية وترجمها الاستاذ محمد عبدالله عنان ، وكانت أول صيحة من شرقي ، لانتقاص هذا العملاق الذي أشاد به علماء الشرق والغرب والذين أجمعت الآراء على أنه منشىء علوم التاريخ والاجتماع والاقتصاد بشهادة علماء الغرب أنفسهم (قدم الرسالة للحصول على الدكتوراه عام ١٩١٧م) .

فماذا فعل الدكتور طه حسين ؟

أولا : انكر على ابن خلدون نظريته الاجتماعية ومن رأيه أن ابن خلدون لا يستحق لقب «اجتماعي» .

ثانيا : شكك في نشأة ابن خلدون ونسبه العربي .

ثالثا : نقل آراء دوركايم المؤرخ اليهودي من اتباع النظرية الماركسية وجعلها أساسا للبحث .

رابعا : خلط بين المصادر ، ونسب الى ابن خلدون اعتماده على كتب لم يتبينها .

خامسا : لم يفهم مسائل التاريخ الأساسية وزعم انه جمع آراءه في علم الاجتماع من قضايا التاريخ ، ولم يلاحظ العالم الاجتماعي الواقعي .

سادسا : اتهمه بأن اسلوبه مضمحل جدا ، تكثر فيه العبارات المسجعة والاستعارات .

سابعا : قال ان طريقة البحث التي لجأ اليها كانت محدودة وناقصة وانه بقي جاهلا بطريقة استنتاج التاريخ من الآثار .

ثامنا : ادعى ان هناك تناقضا منطقيا في طريقته في البحث .

تاسعا : هاجم أهل المغرب في مقاومتهم للاستعمار الفرنسي .

عاشرا : اعتمد على المستشرقين ، وجهل المنهج الاسلامي في مراجعة المصادر .

كشف الزيف :

وقد ظهرت أبحاث عديدة تكشف زيف طه حسين ، وفساد اتهاماته لعملاق التاريخ «ابن خلدون» في مقدمتهم : الدكتور علي عبد الواحد وافي ، والاستاذ ساطع الحصري ، والسيد محب الدين الخطيب رحمه الله والدكتور عمر فروخ .

أما أسلوب ابن خلدون ، فقد وصفه طه حسين بأنه كأسلوب معاصريه مضمحل جدا تكثر فيه العبارات المسجعة والاستعارات والمقامات التي يكثر فيها التكلف ، وقال وافي : الحقيقة أن هذا

الوصف لا يصدق الا على خطة الكتاب التي لا تستغرق الا بضع صفحات ، وهي ليست في الحقيقة جزءا من المقدمة بل هي ديباجة لكتاب العبر كله وقد تعمد ابن خلدون تعمدا ان يخرج فيها عن طريقته ويصوغها في هذا الاسلوب ، ذلك لأن افتتاحيات الكتب كانت تعد في عصره وسيلة لاظهار البراعة والتمكن من مفردات اللغة ، والقدرة على اللعب بالالفاظ والتراكيب فجارى عصره في ذلك حتى لايتهم بالضعف .

استنطاق الآثار :

وبالنسبة لطريقة البحث التي اعتمدها ابن خلدون ، فقد وصفها طه حسين بأنها كانت محدودة وناقصة ، وقوله : انه كان يزعم أن المعلومات التاريخية تأتي من الاخبار المكتوبة أو المروية وحدها ، وانه بقي جاهلا لطريقة استنتاج التاريخ من الآثار ، قال الدكتور وافي : ان عدم توصل ابن خلدون الى طريقة معرفة التاريخ من الآثار المادية لا تجرد عمله من صبغته العلمية بوجه من الوجوه ، وان الأمر الذي يترتب علينا في هذا الصدد ليس أن نبحث فيما اذا كان ابن خلدون قد عرف طرائق البحث في التاريخ أم لم يعرفها ، بل هو ان نبحث فيما اذا كان قد سار على طريقة علمية في الساحة التي لاحظها ، والوسائل التي اهتدى اليها .

أين التناقض المنطقي ؟:

وفي مواجهة قول طه حسين عن ابن خلدون (بوجود تناقض منطقي في طريقته) يقول الدكتور وافي : لو صح وجود هذا التناقض ، لنفى عن عمل ابن خلدون كل صفة علمية بطبيعة الحال ، غير أن ما يزعم الدكتور في هذا الصدد ، لا ينطبق على آراء ابن خلدون بوجه من الوجوه ، كما انه يخالف الحقائق التاريخية والاجتماعية أيضا من كل الوجوه ..

ويقول الدكتور عبد الواحد وافي : يدعي الدكتور طه بأن ابن خلدون يرى أن الوسيلة لدرس المجتمع البشري هي ملاحظة الوقائع التاريخية ، غير ان ابن خلدون لم يقل أبدا : ان وسيلة دراسة علم العمران المذكورة ، هي درس علم العمران ، مع ملاحظة الوقائع التاريخية بل أنه قال بصراحة تامة ان الوسيلة المذكورة هي درس المجتمعات الحالية والوقائع المشهورة .

لهذا السبب نحن نرى أن طه حسين عندما ادعى بأن ابن خلدون يستند في علم العمران الى التاريخ قد عزا اليه رأيا لم يقل به أبدا ، وخطة لم يسلكها قطعا ، كما أنه قد تباعد عن الحقيقة تباعدا كليا عندما توصل من ذلك الى القول بأن ابن خلدون دخل في مأزق فكري ، ووقع في شباك دور باطل غير منطقي .. ونحن نعتقد بأن رأي ابن خلدون في هذه القصة ، يدل بعكس ذلك على عبقرية فذة ، لأن الرأي المذكور يرفعه الى مصاف علماء التاريخ والاجتماع الحديثين مباشرة .

علاقة التاريخ بالاجتماع :

ذلك لأن علاقة التاريخ بعلم الاجتماع من المسائل التي اهتم بها العلماء والمفكرون اهتماما شديدا منذ أوائل القرن الحاضر .

أليس من الغريب أن يعتبر الدكتور طه محاولة ابن خلدون للاستفادة من علم العمران بالتاريخ محاولة فاشلة تنطوي على الدور الباطل والضلال المبين .

الا يحق لنا أن نقول أن رأي ابن خلدون في وجوب الاستفادة من علم العمران في التاريخ كان من العبقرية ، بعكس ما ذهب اليه طه حسين تماما ؟ اننا نعتقد أن ابن خلدون دل في هذه القضية على بصيرة فائقة وعبقرية خارقة ، اذ ابتدع طريقة جديدة في درس التاريخ وتفسيره ، طريقة لم يقدر

أهميتها علماء الغرب ومفكروه الا بعد مرور مدة تقرب من ستة قرون منذ ابتداع ابن خلدون لها .

أطروحة طه حسين :

ويتحدث الدكتور عبد الواحد وافي عن أن أطروحة طه حسين عن فلسفة ابن خلدون تتميز بأمرين هما :

أولا : عدم التعمق في درس المقدمة درسا حياديا .

ثانيا : عدم ملاحظة تطورات علم الاجتماع ملاحظة شاملة وقال : «يظهر أن الدكتور طه كان يتمسك برأي واحد من الآراء المتضاربة التي قال بها علماء الاجتماع من غير أن يلاحظ أن ذلك الرأي قد يكون مخالفا لآراء جماعات أخرى من علماء الاجتماع الحديثين ، ومن غير أن يلاحظ ان استحقاق ابن خلدون لقب «العالم الاجتماعي» لا يتبع موافقته أو عدم موافقته لمذهب واحد من مذاهب علم الاجتماع الحديث .

مراجع ابن خلدون :

ارتاب طه حسين في رسالته في أن يكون ابن خلدون قد درس في صباه جميع الكتب التي ذكرها ، ويذهب الى أنه ربما كان لا يعرف من بعض هذه الكتب الا أسماءها وانه ذكرها بقصد التمدح والتفاخر .

ويؤكد شكه هذا بما ذكره ابن خلدون عن كتابين منهما وهما مختصر ابن الحاجب في فقه الامام مالك وكتاب الاغاني فيقول في صدد الكتاب الأول «يذكر ابن خلدون ان مختصر ابن الحاجب كان من بين الكتب التي درسها في تونس ويعده ضمن كتب الفقه المالكي ، مع أن مختصر ابن الحاجب ليس كتاب فقه بل هو كتاب في أصول الفقه وهو مؤلف جم الانتشار ولا يزال يدرس في الازهر حتى يومنا هذا .

وقال في صدد كتاب الاغاني الشهير ، فانه في ترجمته يزعم أنه استظهر جزءا منه ومن ثم فاننا نعتقد ان ابن خلدون لم يعرف منه سوى الاسم .

ويقول الدكتور عبد الواحد وفي : والحقيقة ان جميع الكتب التي ذكرها ابن خلدون قد اتيح له دراستها دراسة عميقة ، بدليل ما ذكره في الباب السادس في مقدمته ، عن مسائل كل كتاب منها ، ومناهجه وخلاصة آراء مؤلفه وتاريخ تأليفه ، ومدى انتشاره على انها ليست من الكثرة بحيث لا يتسع لها وقت طالب تفرغ للدراسة تفرغا كاملا زهاء خمسة عشر عاما حتى لو كان طالبا عاديا ، بله طالبا عبقريا من طراز ابن خلدون .

مختصر ابن الحاجب في الفقه وليس في الاصول :

وليس بصحيح ما ذكره طه حسين في صدد مختصر ابن الحاجب ، فالحقيقة ان لابن الحاجب مختصرا مشهورا في فقه الامام مالك يسمى المختصر الفقهي أو الفرعي ، وقد عني بشرحه كثير من المغاربة ، وهذا الكتاب هو الذي عناه ابن خلدون وظن طه حسين عدم وجوده ، أما ما يسمى بالمختصر من مؤلفات ابن الحاجب في أصول الفقه ، وهو الذي تحدث عنه طه حسين فهو عبارة عن مختصرين اثنين لا مختصر واحد لكتاب الاحكام للآمدي ، ويسمى أوسعهما المختصر الكبير ، واشتهر أصغرهما باسم المختصر أو المختصر الصغير .

قاضي القضاة .. متهم :

والعجيب أن يتهم مثل ابن خلدون وقد كان اماما في الفقه وقاضي قضاة المالكية في أرقى بلد اسلامي في هذا العهد ، وهو مصر ، وقد تولى تدريس الفقه المالكي في المغرب وفي مصر وفي الازهر نفسه ، والعجيب أن يتهم رجل هذا شأنه بأنه يجهل ماألف في هذا المذهب ، وبأنه يتباهى بأنه درس في هذا المذهب مختصرا لا وجود له . والحقيقة ان ابن خلدون قد قرأ (كتاب الاغاني) وحفظ كثيرا من أشعاره بدليل ما نقل من نصوص هذا الكتاب في مقدمته وفي كتاب العبر ، وقد كان الكتاب في مكتبة الناصر الأموي بالاندلس ، هذا الى أن ابن خلدون قد نقل من كتاب الاغاني في تاريخه العبر عدة نصوص ، ولم يرد في كلام ابن خلدون ما نسبه اليه طه حسين من استحالة الحصول على نسخة من كتاب الاغاني في عصره .

طه اعتمد على ترجمة لكلام ابن خلدون :

ولعل الدكتور طه قد اعتمد في ذلك على ترجمة فرنسية غير صحيحة للمستشرق روسلان لعبارة وردت في مقدمة ابن خلدون عن كتاب الاغاني وهي قوله (ولا يعدل بكتاب الاغاني في ذلك «في فنون شعر العرب وتاريخهم وأيامهم» كتاب فيما نعلمه وهو «أي كتاب الاغاني» الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها وأنى له بها) .

فلم يفهم روسلان المترجم الفرنسي معنى عبارة «فأنى له بها» فترجمها الى «كيف يمكن الحصول على هذا الكتاب» .

ويقول الدكتور عبد الواحد وافي : ان طه حسين في مستهل حياته العلمية لم يكن علم الاجتماع من فروع تخصصه فخفيت عليه عظمة ابن خلدون وأصالة بحوثه ، ولم يوفق في دراسة معظم النواحي التي عرض لها في الرسالة ، وقد تصدى للرد عليه بشيء من التفصيل ، ساطع الحصري بمقالات جمعها في كتابه «دراسات عن مقدمة ابن خلدون» .

نقد طرافة ابن خلدون :

يقول ساطع الحصري : مما يؤسف له كل الأسف أن الدكتور طه حسين كان قد كتب هذه الاطروحة المذكورة ، عندما كان حديث عهد بدراسة علم الاجتماع ، فلم يكن قد أحاط علما بنظريات علم الاجتماع وتاريخه الاحاطة الكاملة ويظهر انه كان مدفوعا في الوقت نفسه ، بروح انتقاد عنيفة حملته على نقد العلماء الغربيين الذين قد بهرتهم «طرافة ابن خلدون» حسب تعبيره وجعلتهم يرون فيه فيلسوفا حديثا .

وقد اعتقد جماعة منهم أن ابن خلدون كان أول من أراد أن يجعل من التاريخ علما ، غير أن الدكتور اندفع في الاعتراض عليهم صائحا : ابن خلدون لم يفكر في ذلك مطلقا وقال عن تلقيبه بالعالم الاجتماعي : ان ذلك يكون مبالغة كبيرة .

سبق ابن خلدون لا يريح طه :

وقد اعترض طه حسين على جماعة العلماء الذين قالوا : ان ابن خلدون سبق المذاهب الحديثة التي ترمي الى جعل التاريخ علما لا فنا أدبيا ، وزعم أن طريقة ابن خلدون في التاريخ خاطئة من أساسها .

ان العلماء الذين قالوا : ان ابن خلدون أراد أن يجعل من التاريخ علما ، بنوا قولهم هذا على

ما شاهدوه في المقدمة من الملاحظات والمحاولات التي استهدفت اكتشاف تلك القوانين ، وبيان تلك العلل والأسباب ، لا على معنى واحد من معاني كلمة واحدة ، فمما لا مجال للشك فيه أن «المقدمة» كانت محاولة صريحة لبحث الوقائع التاريخية بحثا علميا ، مهما كان حظ المحاولة من النجاح والاصابة ، وهذا يبرز تماما قول القائلين بأن ابن خلدون كان أول من حاول جعل التاريخ علما .

دور كايم صاحب النظرية الاصلي :

وقد أجمعت الابحاث التي ردت على مفتريات طه حسين نحو ابن خلدون ، بأن عميد الادب درس ابن خلدون في ضوء نظرية دور كايم المادية التي كانت أساس منهج المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي ترى أن (اتحاد الجماعة مصدر لعلم الاجتماع ، لا الفرد) وتقول هذه النظرية بالجبر التاريخي .

والمعروف أن دور كايم كان استاذ طه حسين في السربون ، والمشرف على رسالته وانه توفي قبل أن تناقش الرسالة وضاع على الدكتور طه ذلك الاتجاه التبعي المسف ، الذي مضى اليه في اعتناق آراء الكاتب اليهودي ، وانكر – هو العربي المسلم – فضل رجل يفخر به كل عربي مسلم ، بل ولقد وجد من علماء الغرب غاية التقدير والانصاف فأي سبة لطه حسين أكبر من أنه يلطخ وجه عظيم من عظماء أمتنا في محفل غربي حاقد ، وينتقصه ثم يشاء الله أن لا يبلغ غايته في نفاق الاستاذ المشرف اليهودي .

سبب الحقد :

ولقد كان الحقد على ابن خلدون راجعا الى أن منهجه استمده من القرآن الكريم وليس من أي مصدر آخر .

ويقرر الدكتور محمد غلاب في مقاله بمجلة النهضة الفكرية «٢٦ اكتوبر ١٩٣١» ان طه حسين تحامل على ابن خلدون ونفى عنه صفة الاجتماعي من أجل ارضاء أعضاء لجنة الامتحان ، الذين كانوا يرون أن ابن خلدون لا يستحق لقب اجتماعي ، فاندفع وراءهم اتقاء شرهم أو قسوتهم ، وقد أشار الباحثون الى أنه نقل آراء دور كايم عن ابن خلدون واعتبرها أساسا للبحث . ودور كايم مؤرخ يهودي من اتباع النظرية الماركسية ورأيه في ابن خلدون مشوب بالتعصب .

اعتراف :

وقد اعترف الباحثون الغربيون المنصفون بسبق «ابن خلدون» للفلاسفة الغربيين في وضع أسس الاجتماع والاقتصاد السياسي . أمثال آدم سميث وأوغست كونت ، وبينهما أربعة قرون كاملة .

وقد درس ابن خلدون الظواهر الاجتماعية على أساس استمده من القرآن الكريم ، وقرر ان الظواهر العمرانية في تزاحمها وتواليها تحكمها قوانين ، وكانت وسيلته في الدراسة الاستقراء والقياس .. ومن هذه المقدمة بدأت بذور الفكر الاقتصادي مما عده الباحثون من بعد نقطة بدء للمدرسة العلمية في الاقتصاد ، وقد أكد المنصفون من الباحثين أن آراءه لم تكن مجرد جمع لمعارف منوعة ولكنها جاءت كعمل منظم ومرتب ينطبق عليه لفظ العلم في معناه الدقيق ، وقال شميدت في كتابه Ibn Kaldoun, Historian Sociologist and Philosopher انه مما يطلق عليه لفظ Wissenseheft وليس مجرد لفظ Wissen وأن البحوث الحديثة وان كانت تستند الى وسائل بحث أنجع الا أنها في شكلها وموضوعها مماثلة لبحوثه .

وقـال استفانو كولوزيو الايطالي : ان هذا المؤرخ العربي العظيم اكتشف مبادىء العدالة الاجتماعية والاقتصاد السياسي قبل كونسيد ران ، وماركس . وباكونين بعدة قرون ، وان ما يعزوه من شأن كبير الى دور العمل والأجرة والملكية يجعله اماما لاقتصاديي هذا العصر .

فلسفة التاريخ :

ويقول أرنولد توينبي الفيلسوف والمؤرخ البريطاني : ان ابن خلدون في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام قد أدرك وأنشأ «فلسفة التاريخ» وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه أبدعه أي عقل بشري في أي زمان ومكان .

ويقول سارتون في كتابه مدخل العلم : انه لمن المدهش أن يكون ابن خلدون قد توصل في تفكيره الى اصطناع ما يسمى اليوم بطريقة البحث التاريخي .

وفي القاهرة حيث عاش ابن خلدون ودفن عقد أضخم مؤتمر لابن خلدون عام ١٩٦٢ جمعت أبحاثه في مجلد ضخم بلغ ٨٠٠ صفحة يمكن أن يقدم لطه حسين وأساتذة التغريب .

وقال الدكتور عمر فروخ :

انه من دواعي الأسف أن يعرف الغربيون فضل ابن خلدون قبل أن يعرفه الشرقيون أنفسهم ولكن الذي يؤسف له حقا أن يقوم بعض الشرقيين يحطون من قدر ابن خلدون بعد أن جهد الغربيون كل جهد في نشر فضائله واظهارها .

استدلال ظالم :

ويشير الدكتور غلاب الى ملاحظة أخرى : هو أن الدكتور طه في رسالته عن ابن خلدون يرمي عرب افريقيا الشمالية بالهمجية والتوحش . ويستدل على هذه الدعوى بأن الفرنسيين عانوا مشقة شديدة في سبيل اخضاعهم ويزعم أن ابن خلدون حظي في اسناده هذا العصيان من جانب عرب المغرب الى العزة والاباء ، ويقول : بل ان الفرنسيين قد عانوا ولا يزالون يعانون مشقات فادحة في مراكش في سبيل بسط حضارتهم .

ويعلق السيد محب الدين الخطيب على اخطاء طه حسين في مصادر ابن خلدون فيقول : ان طه حسين لم يسمع باسم كتاب مختصر ابن الحاجب ومن ثم يجب أن يكون ابن خلدون كاذبا ، انه لو كان صادقا لعرف ما عرفه طه حسين من أن مختصر ابن الحاجب في الاصول لا في الفروع . أرأيت كيف اكتشف طه حسين ان ابن خلدون جاهل كذاب .

ولكن طه حسين كان سيء الحظ في هذا أيضا كدأبه في كل ضربات معوله ، التي ينحي بها على جدار الاسلام وسور الحضارة العربية التي لا تموت ، وكأني أسمع صغار التلاميذ من اتباع مالك بن أنس سواء كانوا في جامع الزيتونة أو في الجامع الأزهر ، ينادون طه حسين فيقولون له : على رسلك يا أستاذ فان لابن الحاجب مختصرين : وقد سمعت باحدهما وغاب الآخر في جملة ما غاب عنك وهو كثـير ، لقـد بلغ مختصر ابن الحـاجب الفرعي من الشهرة المكان الذي لا يجهل حتى من صغار التـلاميـذ ، ولو كان هذا الدكتور الجرىء متمرنا على طرق التحقيق ومستأنسا بأساليب البحث المأمونة العواقب ، لتأنى كثيرا قبل أن يهجم تلك الهجمة الخائبة المخزية على طود عظيم في الاسلام كابن خلدون ، ولدفعته السليقة العلمية الى مراجعة (كشف الظنون) على الاقل وهو من الكتب التي يجب أن تكون دائما تحت اليد ، ليرى ما جاء في مختصر ابن الحاجب لأن الهجوم بلا سلاح على مثل هذا البطل الكبير ليس من الحيطة في شيء .

رأي فرد لا يشين :

ويقول الدكتور شحاتة سعفان : ان عدم اعتراف طه حسين بابن خلدون في مقدمته مؤسسا لعلم الاجتماع مبالغة جسيمة ، وان كان هذا رأي طه حسين في ابن خلدون فان كثيرا من علماء الاجتماع في مصر ودارسيه لا يؤيدونه بل يعتقدون أن ابن خلدون كان أول عالم من علماء الاجتماع .

وقال جورج سارطون : اسمي العصر الذي سبق العصور الحديثة في العالم كله : عصر ابن خلدون ..

●

كتاب الإسلام وأصول الحكم

حاشية علي عبد الرازق .. على متن مرجليوث

كانت القوى الأجنبية قد تآمرت على اسقاط الخلافة الاسلامية في دورة طويلة تكاتفت فيها الصهيونية والغرب الاستعماري وجماعة الاتحاديين الذين اسقطوا السلطان عبد الحميد واستولوا على الحكم في الدولة العثمانية تمهيدا لتسليم فلسطين الى الصهيونية العالمية ، وجاء دور مصطفى كمال أتاتورك بعد انتهاء الحرب العالمية التي دخلتها الدولة العثمانية وهزمت فيها ، وكان لسقوط الخلافة رنة أسى وتطلع ضخم الى هذا الحدث الذي أصبح من بعد عهدا من عهود حركة اليقظة الاسلامية باعادة الخلافة .

شبهة ماكرة :

في هذا الجو المضطرب – الذي انحل فيه عقد الجامعة الاسلامية وبرزت دعوات الاقليمية والقومية وتمزيق العالم الاسلامي الى قوى محلية – صدر كتاب الشيخ علي عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) الذي كان بمثابة صيحة تغريبية جائزة تحاول أن تقضي على مفهوم الاسلام الجامع دينا ودولة باثارة شبهة ماكرة لئيمة خادعة هي القول بأن الاسلام دين عبادي وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن في ذات الوقت حاكما أقام دولة .

وقد صدر الكتاب في مجال معارضة الخلافة الاسلامية لاسباب سياسية كانت بريطانيا والنفوذ الاجنبي تؤازرها وكانت تعمل دون عودة هذا النظام الاسلامي الجامع . ولكن الخطر الحقيقي من وراء كتاب الشيخ علي عبد الرازق كان هو : هدم مفهوم الاسلام بوصفه دينا ودولة ونظام مجتمع ومنهج حكم جامع .

● الاتحـاديـون تلاميـذ الماسونيين وقد تربوا في محـافلهم واعتنقـوا شعارهم ومناهجهم وقاموا بدور مسموم هو فتح باب فلسطين لليهود

صوت الحق :

ولقد اهتزت دوائر الازهر والعالم الاسلامي لهذا الكتيب المزور وأعلنت هيئة كبار العلماء فساد المنهج الذي قام عليه ، وان المؤلف قد أخطأ خطأ بالغا حين (جعل الشريعة الاسلامية روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا ، مع أن الدين الاسلامي على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد وعبادات ومعاملات هي لاصلاح أمور الدنيا والآخرة ، وأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله يشتملان على أحكام كثيرة في أمور الدنيا وأحكام كثيرة في أمور الآخرة .

كل واحدة مهلكة :

كما أشار حكم هيئة كبار علماء الأزهر الى أن المؤلف :

أولا : زعم أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لابلاغ الدعوة الى الفاتحين .

ثانيا : زعم أن نظام الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان موضع غموض وابهام أو نقص موجب للحيرة .

ثالثا : زعم أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشريعة مجردا من الحكم والتنفيذ .

رابعا : انكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى أنه لا بد للأمة من يقوم بأمرها في الدين والدنيا .

خامسا : انكر ان القضاء وظيفة شرعية وقال ان الذين ذهبوا الى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعا من الخلافة .

سادسا : زعم أن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده - رضي الله عنهم - كانت لا دينية . وهذه جرأة لا دينية .

أصل خبيث :

صدر كتاب الاسلام وأصول الحكم عام ١٩٢٥ سابقا لكتاب الشعر الجاهلي لطه حسين ، وقد كشفت الايام من بعد كيف أن هذا الكتاب من تأليف المستشرق اليهودي مرجليوث المقيم في لندن وأنه أهداه لعلي عبد الرازق عندما زارها دارسا .

وقد ظل هذا السر محجوبا الى وقت قريب حين كشف عنه الدكتور ضياء الدين الريس في كتابه (الاسلام والخلافة في العصر الحديث) الذي صدر عام ١٩٧٢ تقريبا وكان المظنون خلال أكثر من خمسين عاما انه من تأليف الشيخ عبد الرازق ، وقد عد هو وكتاب طه حسين عن الشعر الجاهلي من الأسس التغريبية التي اعتبرها الشيوعيون والعلمانيون مرجعا لخطتهم وأهدافهم في هدم مفهوم

الاسلام في السياسة وفي الادب ، وقد قوبل الكتاب عند صدوره بمعارضة شديدة وألفت كتب كثيرة في الرد عليه وكتبت فصول عديدة في الصحف ومن ذلك كتاب الفاضل بن عاشور ، ومحمد بخيت ورشيد رضا وكثيرون .

وجد المنحرفون ضالتهم :

ولقد كان كتاب (الاسلام وأصول الحكم) لعنة على الشيخ علي عبد الرازق فقد أصاب حياته بالظلام والغربة ولاحقته لعنته مدى حياته حتى انه عندما أراد الماركسيون اقناعه باعادة طبعه قال لهم : ان هذا الكتاب أثار عليه متاعب كبيرة ، ومع ذلك فان بعض الماركسيين أعاد طبعه وقدم له ، رغبة منهم في تأكيد مفهوم فاسد لا يقره الاسلام ، ويتخذ الكتاب الماركسيون – المعارضون لمفهوم الاسلام بوصفه دينا ودولة – من هذا الكتاب خطة عمل توالي بث سمومها في الصحف والمؤلفات والمؤتمرات ، ويتولى كبر ذلك أمثال محمد عمارة ومحمد أحمد خلف الله وحسن حنفي وعبدالله العروي وسيكون هذا الكتاب لعنة عليهم كما كان لعنة على علي عبد الرازق ، فمات الكتاب قبل أن يموت صاحبه ، وانطوت صفحته وهو حي .

شذوذ رجل وليس رأيا معتبرا :

ومع الأسف فقد كان صدور مثل هذا الكتاب مما تلقفه المستشرقون ليثيروا دعوى عريضة بأن في الاسلام مذهبين : أحدهما أن الاسلام دين ودولة والآخر يقول أن الاسلام دين روحي ويضعون علي عبد الرازق على رأس الفريق الذي يقول هذا القول ، والواقع ان الاسلام ليس فيه غير رأي واحد ، وهو الرأي الأول ، وأن ماذهب اليه علي عبد الرازق عام ١٩٢٥م لم يكن من الاسلام في شيء ، ولم يكن علي عبد الرازق اماما مجتهدا ، وانما كان قاضيا شرعيا تلقفته قوى التغريب فاصطنعته تحت اسم «التجديد» حيث دعي الى لندن لحضور حلقات الاستشراق التي تروج للافكار المعارضة لحقيقة الاسلام وهدم مقوماته ، وأهدي هذا الكتاب الذي وضع عليه اسمه مترجما الى اللغة العربية وطلب اليه أن يضيف الى مادته بعض النصوص العربية التي يستطيع اقتباسها من كتب الأدب .

أستاذهما واحد :

أما الكتاب نفسه فكان من تأليف قرم من أقرام الاستشراق وداعية من دعاة الصهيونية واليهودية العالمية هو المستشرق مرجليوث الذي تقضي الصدف أن يكون هو نفسه صاحب الاصل الذي نقل عنه طه حسين بحثه عن الشعر الجاهلي والذي أطلق عليه محمود محمد شاكر (حاشية طه حسين على بحث مرجليوت) ويمكن أن يطلق الآن اسم : (حاشية علي عبد الرازق على بحث مرجليوت) وقد كشف هذه الحقيقة الدكتور ضياء الدين الريس في بحثه القيم «الاسلام والخلافة في العصر الحديث» .

أعداء الأمة يحاربونها فلماذا الأبناء ؟ :

وهكذا تجد أن السموم المثارة في أفق الفكر الاسلامي توضع أساسا من رجال التغريب ثم تختار لها أسماء عربية لتحمل لواءها وتذيعها ايمانا بان الاسم العربي أكبر تأثيرا وأبعد أثرا في خداع الجماهير ولقد طالما تحدث التغريبيون عن كتاب (الشعر الجاهلي) و(الاسلام وأصول الحكم) على أنهما دعامتان للنهضة «التغريبية في الفكر الحديث» .

● الأسلوب الذي كتب به الكتـاب أسلوب غريب ليس مألوفا في الكتب العربية

ومع أن حركة اليقظة الاسلامية واجهت كتاب علي عبد الرازق المنحول وفندت فساد وجهته وأخطاءه فان قوى التغريب ما تزال تعيد نشره وطبعه مع مقدمات اضافية يكتبها شعوبيون يخدعون النـاس بألقـابهم وأسمائهم ، وهم يجدون في هذه المرحلة التي يرتفع فيها صوت تطبيق الشريعة الاسلامية والدعوة الى الوحدة الاسلامية مناسبة لنفث السموم مرة أخرى ولن يجديهم ذلك نفعا فان كلمة الحق سوف تعلو وتنتشر وتدحض باطل المضللين مهما تجمعوا له وقدموه في صفحات براقة مزخرفة وأساليب خادعة كاذبة .

أول من كشف حقيقة الكتاب :

ان أول من كشف حقيقة الكتاب هو الشيخ محمد بخيت الذي رد على الشيخ علي عبد الرازق في كتابه «حقيقة الاسلام وأصول الحكم» وهو واحد من الكتب التي صدرت في الرد عليه حيث قال : «لانه علمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له منه الا وضع اسمه عليه فقط ، فهو منسوب اليه فقط ليجعله واضعوه من غير المسلمين ضحية هذا العار وألبسوه ثوب الخزي الى يوم القيامة» .

وقد علق علي عبد الرازق على هذا المعنى بأن هذا الكتاب كان شؤما عليه ، وقد ألصق به كثيرا من المتاعب والشبهات والحقيقة انه بعد أن طرده الازهريون من هيئة العلماء ظل منفيا ومهجورا وعاش بقية حياته منقطعا عن الحياة العامة بالرغم من أن محاولات جرت لاسقاط الحكم وضمه الى مجمع اللغة العربية وجعله وزيرا ، فقد كان الكتاب أشد شؤما على حياته من كل ما ألم به .

ومن هذا الخيط الرفيع الذي ألقاه الشيخ محمد بخيت بدأت محاولة الدكتور ضياء الدين الريس فاستـطاع أن يصـل الى الحقيقة وهي أن كاتب الكتاب هو المستشرق مرجليوث اليهودي الاصل ، وهو أول من شن الهجوم على الخلافة لأن بلاده «بريطانيا» كانت في حرب مع دولة الخلافة . وقد أعلن الخليفة العثماني الجهاد الديني ضدها . والنصوص في الكتاب قاطعة بأنه كان موجها ضد الخلافة العثمانية فانه يذكر بالاسم «السلطان محمد الخامس» الخليفة في ذلك الوقت الذي كان يسكن في «قصر يلدز» . وهناك نص على «جماعة الاتحاد والترقي» وهي التي كانت تحكم تركيا : أي دولة الخلافة طوال أعوام الحرب العالمية الأولى .

ويقـول الدكتـور الريس : ان الاتحاديين تلاميذ الماسونيين وقد تربوا في محافلهم واعتنقوا شعـارهم ومفـاهيمهم وقـامـوا بدور مسموم وهو فتح باب فلسطين أمام اليهود المهاجرين ، وكان السلطان عبد الحميد قد رفض عروضهم ، وكانوا هم (أي الاتحاديين) أداة الصهيونية العالمية في اسقاط هذا السلطان الشهير . ورجح الدكتور الريس أن مرجليوث اليهودي الذي كان أستاذا للغة العربية في جامعة اكسفورد ببريطانيا هو كاتب الكتاب ، لأن آراء الكتاب هي آراؤه التي كتبها من قبل عن الدولة الاسلامية ، وفندها الدكتور الريس في كتابه .

«النـظريات السياسية في الاسلام» وأثبت خطأها وبطلانها بالأدلة العلمية ، وهو يكتب عن الاسلام بنزعة حقد شديد ، ويتسم اسلوبه بالمغالطات والمعلومات المضللة والقدرة على التمويه ، كما يتصف بالالتواء ، وهذه الصفات كلها تظهر في هذا الكتاب المنسوب الى الشيخ علي عبد الرازق .

ومعروف أن الشيخ ذهب الى بريطانيا وأقام فيها عامين فلا بد انه كان متصلا بالمستر مرجليوث ، أو تتلمذ عليه . وكذلك توماس أرنولد الذي يشير اليه الشيخ ويصفه بالعلامة فقد ألف كتابا عن الخلافة بشكل عام والعثمانية بوجه خاص ، وقد نقدناه .

يقول الدكتور الريس في كتابه : «النظريات السياسية الاسلامية» :

والقصة تتلخص في انه ابان الحرب العالمية الأولى والحرب دائرة بين الخليفة العثماني وبريطانيا أعلن الخليفة الجهاد الديني ضد بريطانيا ودعا المسلمين أن يهبوا ليحاربوها ، أو يقاوموها ، وكانت بريطانيا تخشى غضب المسلمين الهنود بالذات ، أو ثورتهم عليها ، في هذه الفترة كلفت المخابرات البريطانية أحد المستشرقين الانجليز أن يضع كتابا يهاجم فيه الخلافة وعلاقتها بالاسلام ويشوه تاريخها ليهدم وجودها ومقامها ونفوذها بين المسلمين وقد استخدمت السلطات البريطانية هذا الكتاب في الهند وفي غيرها ، وبعد أن انتهت الحرب كان الشيخ عبد الرازق قد اطلع على هذا الكتاب أو عثر عليه ، هذا ان لم يفترض ان هذا كان باتفاق بينه وبين هذا المستشرق الذي اتصل به حينما كان في انجلترا أو في بعض الجهات البريطانية التي كانت تعمل في الخفاء للقضاء على فكرة الخلافة ، أو التي تحارب الاسلام ، فأخذ الكتاب فترجمه الى اللغة العربية أو أصلح لغته ان كان بالعربية ، وأضاف بعض الاشعار والآيات القرآنية التي يبدو انها لم تكن في أصل الكتاب وبعض الهوامش والفقرات ، وأخرجه للناس على أنه من تأليفه ظنا منه أنه يكسبه شهرة ، ويظهره باحثا علميا ، ومتفلسفا ذا نظريات جديدة ، غير مدرك ما في آرائه أو في ثناياه من خطورة ، ولا يستغرب هذا لأنه لم يدرك أن انكار القضاء الشرعي هو انكار لوظيفته نفسها وعمله ، والغاء لوجوده وكانت هذه البدعة السائدة في ذلك الوقت بين كتاب (السياسة) جريدة من أسموا أنفسهم «حزب الاحرار الدستوريين» وهذا هو الذي فهمه الاستاذ الجليل أمين الرافعي فكتب في جريدة الاخبار انه لم يستغرب أن يقدم الشيخ علي عبد الرازق على اصدار هذا الكتاب لما عرفه عنه من الضعف في تحصيل العلوم ، والالحاد في العقيدة ، ثم قال : هذا الى انه انغمر منذ سنين في بيئة ليس لها من أسباب الظهور سوى الافتئات على الدين وتقمص أثواب الفلاسفة والملحدين ، وصار خليقا باسم «الاستاذ المحقق» والعلامة الكبير .

ولم يعرف الاستاذ أمين الرافعي أن المؤلف الحقيقي ربما كان غير الشيخ علي عبد الرازق ، ولكن كلامه يكاد يكون اثباتا لذلك وهناك قرائن أخرى أوردها الدكتور الريس :

أدلة الانتحال :

أولا : ذكر اسم كتاب مترجم عن التركية طبعة ١٩٢٤ بينما هناك فقرة تنص على أن تاريخ التأليف قبل عام ١٩١٨ وانها ذكرت اسم السلطان محمد الخامس وقيل في الهامش انه كتب في عهده وأقرب تفسير لذلك أن الكتاب ليس من تأليف شخص واحد .

ثانيا : يتحدث المؤلف عن المسلمين كأنه أجنبي عنهم وهم منفصلون عنه ، فيذكرهم بضمير الغائب ولا يقول (عندنا) أو (العرب) أو نحو ذلك كما يقول المسلم ذلك .

ثالثا : يكرر الشيخ عبد الرازق (عيسى وقيصر مرتين) ويكرر هذه الجملة التي يسميها الكلمة البالغة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) مع أن مسلما صحيح الاسلام لا يمكن أن يؤمن بهذا التعبير ، إذ أن قيصر وما لقيصر لله رب العالمين .

رابعا : يتعاطف مع المرتدين الذين خرجوا على الاسلام وشنوا الحرب على المسلمين فيدافع عنهم في نفس الوقت الذي يحمل على رأي أبي بكر الصديق المسلم الأول بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فينكر خلافته ويقول ان محاربته لهؤلاء المرتدين لم تكن حربا من أجل الدين ، ولكن كانت

نزاعا في ملوكية ملك ولأنهم رفضوا أن ينضموا لوحدة أبي بكر وما هي وحدة أبي بكر يا عدو أبي بكر والاسلام ؟

أليست هي وحدة المسلمين ، ويقول «حكومة أبي بكر» ، أو ليست هي حكومة الاسلام والمسلمين ، ويتكلم عن أبي بكر هكذا بغير احترام أو تبجيل ، كأنه رجل عادي أو كما يتكلم عدو .

هل هذا هو أسلوب المسلم ، فضلا عن الشيخ في الكلام عن الصحابة وعن أفضل الناس وأحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير من دافعوا عن الاسلام وجاهدوا في سبيل الله عز وجل .

خامسا : ان الاسلوب الذي كتب به الكتاب أسلوب غريب ، ليس مألوفا في الكتب العربية ، فهو اسلوب مناورات ومراوغة ويتصف بالالتواء واللف والدوران ، فهو يوجه الطعنة أو يلقي الشبهة ثم يعود فيتظاهر بأنه ينكرها ولا يوافق عليها ويفلت منها ثم ينتقل ليقذف شبهة أو طعنة أخرى على طريقة (اضرب واهرب) وحين يهاجم يصوغ عباراته في غموض وهذا يدل على أسلوب رجل سياسي متمرن في المحاورة والخدعة ، وهو أشبه بالاسلوب الافرنجي ، وأسلوب الدعايات السياسية أو الدينية التبشيرية وليس هذا أبدا اسلوب العربي الصريح ، فضلا عن أسلوب أحد الشيوخ المتعلمين في الازهر وهذا مما يغلب الرأي بأنه كتاب مترجم .

سادسا : لم يعرف عن الشيخ علي عبد الرازق - من قبل - انه كان كاتبا تمرس في الكتابة ومرن على التأليف فيكتب بهذا الاسلوب ويتعمد الطعن في الاسلام وتاريخه وعظماء رجاله ، ولم يعرف للشيخ كتاب أو مقالات قبل هذا الكتاب (أي في السياسة والتاريخ) بل ما كتب من قبل كان (كتيبا) في اللغة أو في علم البيان ، وهذا كل انتاجه في أربعة عشر عاما بعد تخرجه من الأزهر ، ثم بعد أن كتب هذا الكتاب ظل أربعين عاما لم يكتب كتابا آخر في نفس موضوعه أو مثله ولم يحاول أو لم يستطع حتى أن يدافع عن نفسه ويرد على خصومه وبكتاب آخر .

سابعا : هناك من القرائن والأدلة العديدة ما يدعو العقل الى أن يرجح صحة الخبر الذي رواه فضيلة المفتي الشيخ محمد بخيت ، نقلا عن كثيرين من أصحاب الشيخ علي عبد الرازق المترددين عليه من أن مؤلف الكتاب شخص آخر من غير المسلمين ، وقد غلبنا نحن انه أحد المستشرقين ، ولكننا نقيد هذا الخبر بأن الشيخ قد أضاف بعض فقرات وتعليقات ، وانه هو الذي أورد الآيات من القرآن ، والظاهر انها محشورة حشرا مجموعات في كل مكان ، وأبيات الشعر التي استشهد بها ، كما كتب المقدمة التي زعم فيها انه بدأ البحث في تاريخ القضاء منذ ١٩١٥ وذلك ليغطي المقارنة الظاهرة بين وضع الكتاب ووقت صدوره ، فانه من غير المعقول أن يستغرق تأليف كتيب لا يزيد عن مائة صفحة عشر سنوات .

وفي مثل هذه المسائل بالذات فان هذه الحالة أسهل ، لأن النقل أو الترجمة من كتيب مجهول ، أو كانت المسألة بتصريح أو اتفاق لخدمة غرضين فالطرف الأول يريد نشر آرائه لغايات سياسية ودينية ، والطرف الثاني له مأرب سياسي ولكن الدافع الذاتي أنه يريد الشهرة أو الظهور أو الغرور ، (وقد انتفعنا في هذا البحث بدراسة الدكتور الريس وبحث مجلة المجتمع الكويتية وكتاب المعارك الادبية) .

قاعدة أساسية يصعب هدمها :

الحقيقة ان كتاب «الاسلام وأصول الحكم» من الاعمال التغريبية والاستشراقية الخطيرة التي أريد بها هدم القاعدة الأساسية للاسلام وهي قاعدة أن الاسلام دين ودولة في محاولة لتنصير الاسلام وجعله مشابها للنصرانية التي هي بمثابة دين قائم على الوصايا وليس له تشريع ، لأن تشريعه



في اليهودية ، وهذه القضية هي مفتاح الغزو الفكري الذي واجه به النفوذ الاستعماري بلاد المسلمين من أجـل هدم هذه القاعدة وحصر الاسلام في المساجد وفي الصلاة والصوم وفرض الايدلوجيات الغربية في مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية ، ومن شأن هذا فتح الطريق أمام القانون الوضعي وكسر الحدود التي وضعها الاسلام والقضاء على محرمات الاسلام : الربا والزنا والسرقة والاختلاس والميسر .. واباحتها وجعلها في نظر الناس مشروعة ، ومن وراء ذلك امبراطورية الربا التي ترمي الى تحطيم الضوابط والحدود وذلك للسيطرة على الاقتصاد الاسلامي وهدم المجتمع الاسلامي واذاعـة روح التحلل والتـرف وتغليب مفهـوم المجتمع الاستهلاكي القائم على الشهوات واللذات والاباحيات وهدم قاعدة «أخلاقية المجتمع وهدم مفهوم المسؤولية الفردية للانسان والتزامه الاخلاقي في بناء المجتمع الرباني في الارض .

وهكذا نصل الى أن هذا العمل كان من المؤامرات الخطيرة والتي ما تزال تتخذ سورا يقذف منها الاسلام على أيدي خصومه والراغبين في هدم شرعته ..

وبالجملة .. فان كتاب الشيخ علي عبد الرازق أحدث شرخا استغله خصوم الشريعة اعتمادا على أن كاتبه رجل من الأزهر ومن علماء الاسلام وليس الأمر كذلك في الحقيقة وانما هي المؤامرة الشعوبية الضخمة التي قام بها التبشير والاستشراق لاحتواء أمثال علي عبد الرازق وطه حسين وهي مؤامرة مآلها الهزيمة والفشل باذن الله ..

نظريــة ديكارت ومنهج الشك الفلسفي .. في كتاب الأدب الجاهلي

● الحكمة التي علموها طه حسين ليناطح الفكر الاسلامي هي :
أسلوب الشك مصدر الشهرة و إحداث الدو ي
وقــد استعمــل هذه النظرية لانكار كل حقيقي ويقيني وقطعي

ان (منهج الشك الفلسفي) هو الأطروحة الكبرى للدكتور طه حسين في حياته كلها ، وهو الهدية المسمومة التي حَمَلها اياه المستشرقون الصهيونيون ، والمبشرون الذين تلقفوه في معهد الدراسات الشرقية ، الذي كانوا يصوغون فيه أتباعهم الى البلاد العربية .

ونحن اذا اردنا أن ندرس حياة طه حسين ، فان (مفتاح حياته) هو هذه الحكمة التي علموه اياه ، ثم تركوه يناطح الفكر الاسلامي ، وهي : (أسلوب الشك هو مصدر الشهرة واحداث الدو ي» .

وقـد كان طه حسـين يتطلع الى هذا الهدف منذ مطالع شبابه ، لظروف حياته وعاهته . ومن ثم استهل بها حياته في الجامعة ، حين وكل اليه تدريس الأدب العربي ، وذلك بالشك في الشعر الجاهلي ، ومتابعة المستشرقين ، في القول بأنه منحول .

سبب الشـك :

لقد ادعى طه حسين أنه يستخدم (منهج ديكارت) ليغايظ الازهريين ، حين قال لهم انهم لايعرفون هذا المنهج .

وقد تصدى له الاستاذ محمد أحمد الغمراوي خريج كمبردج ، وقال له : ان ما قدمه ليس هو منهج ديكارت .

بل ان الاستاذ الخضيري ترجم كتاب ديكارت (مقال عن المنهج) ، ليؤكد أن ما قدمه طه حسين ، ليس هو منهج ديكارت .

وقد طبعت هذا الكتاب المطبعة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب رحمه الله عام ١٩٣٠ ، ليبين فساد اقتباس طه حسين .

ولقد اضطهد عميد الادب ، الاستاذ الخضيري وطرده من الجامعة ، وتابعه ومنعه أن يدخل هيئة التدريس في كلية الآداب وحرمها عليه ، حين أطلقها لكل ناعق - على حد تعبير الدكتور نجيب البهبيتي - .

أين الحقيقة والهدف ؟؟ :

وقد تبين من بعد ، أن ديكارت قرأ ترجمة كتاب (المنقذ من الضلال) للامام الغزالي ، وأشار على نسخته الخاصة الموجودة في مكتبته المهداة الى السربون على الهامش أمام عبارة الغزالي عن (اتخاذ الشك طريقا الى اليقين) .

ولكن طه حسين استعمل هذه النظرية لشيء آخر ، لانكار كل قطعي وحقيقي ويقيني ، ولقطع الطريق على القيم الجامعة المتكاملة ، ولفصل الادب عن الفكر ، ولان يترك الباحث المسلم ، دينه وقوميته ، عندما يبحث في أي أمر من الامور ، وهذا غاية في الخطأ والتمويه وفساد الرأي .

النقد التحليلي :

وقد عالج هذه القضية ، الاستاذ الغمراوي في كتابه (النقد التحليلي للادب الجاهلي) فقال :

١ - انه تذرع بما سماه القاعدة الاساسية لمذهب ديكارت ، لينطلق به الى الانسلاخ من كل قديم في هذه اللغة التي هو أستاذ لآدابها ، وليتخذه ذريعة يرمي وراءها هذه اللغة وما اتصل بها ، حتى اذا قيل له لم فعلت ما فعلت ، وهل يفعل هذا عاقل ، قال فعله قبلي ديكارت .

٢ - لقد خلط الدكتور طه بين الشك وبين المخرج من الشك ، فجعل الشك القاعدة الاساسية للمنهج الذي ابتغى ديكارت أن يتخلص به من الشك ، والذي أدى به في بعض ميادين البحث الى نتائج عظيمة .

٣ - ليس صحيحا ما ذكره الدكتور من أن القاعدة الاساسية لمنهج الشك عند ديكارت ، أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل ، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما ، وهذا قطعا ليس من قواعد منهج ديكارت .

من أين جاء ديكارت بمنهجه :

٤ - الواقع أن كلا من ديكارت وبسكال ، مسبوق الى ما عرف باسمه من قواعد النظر ، سبقهما الغزالي على الاقل وقد سبقهما قبل ذلك بقرون - كما تشهد بذلك كتبه - مثل كتاب (محك النظر) و (معيار العلم) .

والغرب معذور حين ينسب بعض تلك القواعد الى ديكارت ، وبعضها الى باسكال ، فهما أول من أظهراه عليها ، ولكن ما عذر الدكتور طه حين ينسب الى ديكـارت منهجـا سبقه اليه الغزالي ، ألأن الدكتور كان يجهل مذهب الغزالي في النظر ، أم لأن الغرب نسب وهو للغرب تابع .

٥ - ليس هذا الذي زعمه طه حسين ، من وجوب تجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه عن موضوع بحثه من قبل ، مما قال ديكارت ، فان الذي قاله ديكارت ، هو أنه يجب علينا ألا نقول عن شيء انه حق ، الا اذا قام البرهام على أنه كذلك .

وشتان بين هذا المعنى ، وبين المعنى الذي زعم الدكتور من وجوب التجرد من كل ما قيل في موضوع البحث من قبل ، اذ من الجائز أن يكون ما قيل قد قام البرهان على صحته .

ثم بدهي أن تلك القاعدة من معناها أن يتولى كل انسان اثبات كل شيء لنفســه بنفســه ، كما تقتضيه القاعدة الاساسية التي زعم الدكتور ، لأن ذلك سخف لاينتج عنه الا التأخر والخطأ والفوضى .

الجهل بديكارت صار منهجا :

هذا التصور ، يشهد على صاحب الادب الجاهلي ، بما لايمكن أن يسمى الا جهلا بديكارت وافتراء عليه ، كما أنه افترى على علماء العربية المتقدمين .

٦ - على أن فلسفة ديكارت ، قد يكون لها الفضل في الحكم بين طه حسين وبين بقية علمـاء الادب العربي ، وفي الشعر الجاهلي وغير الشعر الجاهلي ، ذلك لأن من قواعدها أو حقائقها التي وصل اليها ديكارت نفسه : «ان ما وجد في الدين واضحا جليا ، فهو حق يجب أن يسلم به تسليما» ، والدكتور طه لاينكر أن القرون قد مرت على العالم العربي وأن الأجيال قد تتابعت فيه ، والشعر الجاهلي قائم في الاذهـان واضحـا جليـا ، منسـوبـا الى هؤلاء الشعـراء الجاهليين ، فالشعر والشعراء والنسبة حق اذن . يحكم بذلك القدماء وأنصار القدماء ، ولو كان كل باحث حديث يهمل نتائج أبحاث غيره ويستقبل بحثه خلوا من كل ما قيل ، فيما يتعلق به المعنى الذي يقول صاحب الكتاب ، ان ديكارت يعنيه ، لوقف العلم عن التقدم ، بل لما كان هناك علم منظم محدود .

ماذا يحدث لو عم الشك ؟ :

تصور أن كل باحث في علم الطبيعة أو الكيمياء مثلا - شك في كل ما عداه من العلماء ، شك كما شك الدكتور ، في أمانة القادرين ، وفي مقدرة الامناء ، وشك طبعا في النتائج التي وصلوا اليها ، وانه أخذ بمنهج ديكارت ذلك ، وطفق يعيد تلك الابحاث من جديد !

قل لي هل يتســع عمره لهذه الابحاث كلها أو أغلبها ، وهي قد استنفذت أعمار الاجيال من قبله ، أم هل يستطيع كل متشكك أن يعيد الصعب من أبحاث من عداه من العلماء .

ان التفرغ لفرع ما ، من علم ، يكسب المتفرغ مقدرة خاصة ، في ذلك الفرع ، غير المقـدرة الخاصة التي يكتسبها شخص آخر تفرغ لفرع آخر في نفس العلم ، فهل من

الممكن أن تنشأ تلك المقدرات الخاصة في كل بحث شكاكا حين يريد ؟! أم هل من الممكن أن تجتمع كلها لانسان واحد ، طبيعيا كان أم كيماويا أم لغويا ؟!

منهج غير علمي :

من أجل ذلك كان منهج ديكارت كما فهمه وطبقه (طه حسين) ، منهجا غير علمي ، يفرق بين المجهود العلمي ، ويدخل الفوضى في العلم ، ويؤدي في النهاية الى زوال جهد العلماء طالما يتناوله الجهلاء بالتحريف ، ولكن العلم لايأخذ برأي طه حسين . والعلماء في علومهم وأبحاثهم يأخذون بغيره .

وهكذا يبرأ العلم من المنهج الذي نسبه طه حسين الى ديكارت .

ولم تكن عظمة ديكارت راجعة الى أنه شك ، ولكن الى أنه تطلب مخرجا من الشك ، واهتدى الى طريقة في البحث خرج بها الى بحبوحة اليقين ، ثم ترجع الى أنه حقق تلك الطريقة ، فأثمرت في الرياضة ولم تثمر معه في الفلسفة والطبيعة الا قليلا مما يأخذ به العلم اليوم .

وعجز عن البيان :

ولقد عقد صاحب الكتاب - (في الادب الجاهلي) - فصلا عن منهج ديكارت ، وعجز لامر ما عن أن يبينه فيه ، وذكر في ذلك الفصل شيئا سماه (القاعدة الاساسية لمنهج ديكارت) ، ليتذرع به الى الانسلاخ من كل قديم ، فضلا عن أن (طريقة ديكارت ، وليس منهج ديكارت) ، كان مما أخرجه في الشباب ، صدى لذلك الشك الذي استحوذ عليه في الشعر ، ومن ثم فشكه شك الفتى الغرير ، لا العالم الخبير ، ومن الظلم أن يحتج به ، أو أن نشتد في محاسبة صاحبه .

شك أم مخرج من الشك :

ولكن الدكتور طه ، خلط بين الشك وبين المخرج من الشك ، فجعل الشك القاعدة الاساسية للمنهج الذي ابتغى ديكارت أن يتخلص به من الشك ، والذي أداه في بعض ميادين البحث الى نتائج عظيمة ، وفي بعض الميادين الاخرى الى نتائج بعيدة عن العظمة ، لانها بعيدة عن الصحة .

النتيجة :

وبالجملة فقد أكد الدكتور محمد أحمد الغمراوي - وما ترجمه الاستاذ الخضيري من كتابات ديكارت (مقال عن المنهج) - فساد ما عرضه طه حسين من قوله أن القاعدة الاساسية هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل ، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما ، انما قال ديكارت : ألا يقبل قط شيئا على أنه حق من غير أن يكون على بينة من أنه كذلك ، أي أن يتجنب العجلة والهوى ، وفارق بين المعنيين .

ونحن نسأل هل استطاع طه حسين في بحثه هذا ، أو أي بحث آخر ، أن يتجرد من كل شيء كان يعلمه من قبل ، حين تحدث عن الشعر الجاهلي أو على هامش السيرة

● كل عمـل طه حسين قائم على العجلة والهوى وكلامه بلا دليل ..!!

أو مستقبـل الثقـافـة ؟ بالعكس ، لقد فرض طه حسين فروضا تغريبية وشعوبية ، وضعها أمامه ثم بحث في النصوص ، حتى وجد منها ما حسب أنه يؤكد فكرته ، فنمقها وتجـاهل حقائق غيرها تدحضها ، ومزق بعض النصوص ، فأخذ منها ما يؤيد فرضه وترك الباقي .

ومن أضل ممن اتبع هواه :

وان طه حسن كان في كل عمله يقوم على العجلة والهوى ، وانه كان حريصا على اثارة الشكوك والشبهات حول جميع النصوص والوقائع التي صادفته في جميع كتبه ، ذلك لأنه سار في هذا على منهج التلمودية الذي عرفته كتابات فرويد ودور كايم ، وهي أن يسأل ويثير الشك ، ثم يترك من يتحدث اليه في حيرة ، فلا يهديه الى شيء من اليقين ، لأن الهـدف هو خلق هذا الجو من «الشك» ، الذي كان مصدر الفكر التغريبي كله ، وقاعدة العمل التي قام به الاستشراق والتبشير في العالم الاسلامي .

كلام بلا دليل :

وقد أشار الأستاذ محمد طاهر نور ، رئيس النيابة الذي حقق مع الدكتور طه حسين ، الى هذا العمل الخطير فقال : ان الخطأ حيث يبدأ بافتراض يتخيله ، ثم ينتهي بأن يرتب عليه قواعد كأنها حقائق ثابتة ، كما فعل في أمر الاختلاف بين لغة حمير ولغة عدنان ، و في مسألة ابراهيم واسماعيل ، وهجرتهما الى مكة وبناء الكعبة ، فقد بدأ بقوله :

«للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لايكفي لاثبات وجودهما التاريخي ، فضلا عن اثبات هذه القصة» ، الى هنا أظهر «الشك» بعدم قيام الدليل التاريخي في نظره ، كما تتطلبه الطرق الحديثة ، ثم انتهى بأن قرر في كثير من الصراحة :

«أمـر هذه القصـة اذن واضـح ، فهي حديثـة العهـد ، ظهرت قبيل الاسلام ، واستغلها الاسلام لسبب ديني» ، فما هو الدليل الذي انتقل به من الشك الى اليقين ؟؟ هل دليله هو قوله «نحن مضطرون الى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى ، وان أقدم عصر يمكن أن يكون قد نشأت فيه هذه الفكرة انما هو هذا العصر الذي أخذ اليهود يستوطنون فيه شمالي البلاد العربية ؟؟

المؤلف يرى ، أن ظهور الاسلام قد اقتضى أن يثبت الصلة بينه وبين ديانة اليهود والنصارى ، وأن القرابة المادية بين العرب واليهود ، لازمة لاثبات الصلة بين الاسلام واليهودية ، فاستغلها لهذا الغرض فهل له أن يبين الحيلة لتوثيق الصلة بين الاسلام والنصرانية .



○ ديـــــكارت

ان الاستاذ (أي طه حسين) ، ليعجز حقا عن تقديم هذا البيان ، وكل ما استند اليه من الادلة قوله : (ليس يبعد أن يكون) ، أو (فما الذي يمنع) ، أو (ونحن نعتقد) ، أو (واذن فتستطيع أن تقول) .

فالاستاذ المؤلف في بحثه ، اذا رأى انكار شيء يقول : لا دليل عليه من الادلة التي تتـطلبها الطرق الحديثة للبحث ، واذا رأى تقرير أمر لا يدلل عليه بغير الادلة التي أحصيناها له ، وكفى بقوله حجة !!

الباطل يكشف

وسئل عن أصل هذه المسألة - أي تلفيق القصة - وهل هي من استنتاجه ؟ أو نقلها ؟ فقال : هذا فرض فرضته ، أنا دون أن أطلع عليه في كتاب آخر . وقد أخبرت بعد أن ظهر الكتاب ، أن شيئا من هذا الفرض يوجد في بعض كتب المبشرين ،، ا. هـ .

وهكذا نجد أن البحث كما أثبتته النيابة العامة هو «اشاعة الشك» ، واقامته على الفروض ، ثم لا يلبث أن يعتبر هذه الفروض حقائق تبنى عليها أكاذيب أخرى .

رأي خبير :

ويقول الاستاذ محمود محمد شاكر : « ان اتكاء طه حسين على ديكارت اتكاء فيه كثير من المغالطة ، بل فيه ارادة التهويل بذكر ديكارت الفيلسوف ، مع أن الدكتور في محاضراته ليس من منهج ديكارت في شيء . وقد صارحته بهذا في حينه ، وقلت له ان ما

يقوله عن المنهج وعن الشك غامض ، وانه مخالف لما يقوله ديكارت ، وان تطبيق منهجه هذا قائم على التسليم تسليما لم يداخله الشك بروايات في الكتب هي في ذاتها محفوفة بالشك ، فانتهرني الدكتور طه وأسكتني .

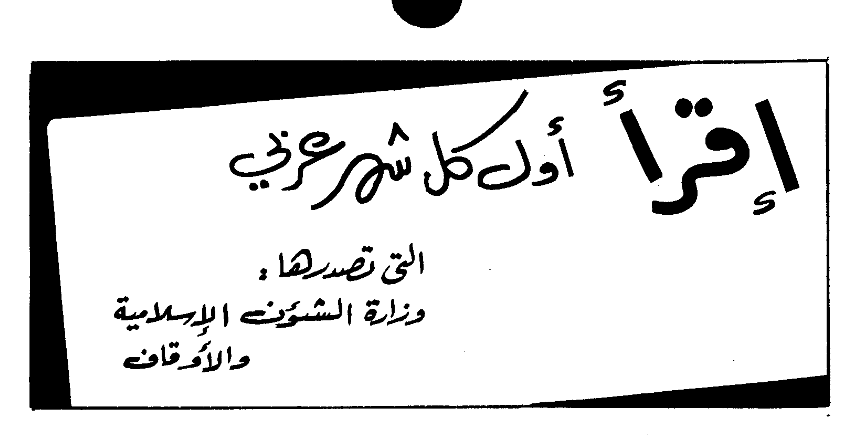
ورأي آخر :

وقال الدكتور نجيب البهبيتي : لم يعرض ديكارت التاريخ على منهجه ، فأبى طه حسين الا أن يعرض الشعر الجاهلي والتاريخ على ما دعي له بمنهج ديكارت ، فنزل بالهدف من الشك الغزالي الى دون ما نزل اليه ديكارت ، وناحله بمنهج الغزالي ، وكان اصطناع الغزالي الشك طريقا فكريا يهدف الى الانتهاء منه الى الايمان بالله ، وقد اتخذ ديكارت شك الغزالي في بيئته التي كانت لاتزال تعيش على الاساطير ، وتتداوى ببقايا رفات القديسين ، وتستسلم للتثليث باسم التوحيد .

منهج طه حسين :

وننتهي من كل هذا ، الى أن (منهج الشك) ، الذي حمله طه حسين ، ليس هو منهج الغزالي الذي اصطنع منهج الشك البصير ، ولا منهج ديكارت ، الذي قصد به الخروج من دائرة الاساطير ، وانما هو منهج زائف يراد به اثارة الشبهات في وجه كل حقيقة علمية دينية يقينية ، واثارة كل عوامل القلق والاضطراب في نفوس الشباب المسلم ، لينكر قيمه الاساسية .

ومن هنا فقد كان كل كتاب التغريب وما زالوا ، يعلنون اعجابهم بمذهب الشك الذي قدمه طه حسين لأنه أفسد العقول والقلوب ، وقضى على اليقين والايمان في قلوب رخوة ، في فترة لم يكن فيها غذاء روحي وثقافي كاف لمقاومة الشبهات والشكوك المثارة ، أما اليوم فان الامر يختلف تماما والحمدلله .



نظرية القومية العربية الوافدة

صدر لساطع الحصري كتاب يمثل أيديولوجيته في القومية والقومية العربية تحت عنوان (أبحاث مختارة في القومية العربية) يمثل خلاصة مؤلفاته التي تتجاوز العشرين مؤلفا كتبها منذ ١٩٢٣ – ١٩٦٣ خلال أربعين عاما وهي تصور تطور تفكيره في قضية العروبة وعلاقتها بالاسلام ومضاهاتها بمفهوم القوميات الأوروبية وقد تصاعدت كتاباته في فترة تعالى فيها مد القوميات في البلاد العربية والاسلامية .

والقومية «أطروحة غربية» أساسا ظهرت على أثر تمزق وحدة المجتمع الأوروبي النصراني ، حين ظهرت دعوة لوثر وكلفن تحت اسم «البروتستانتية» وكانت وراءها قوى تهدف الى تدمير النظام النصراني الاجتماعي الذي كان يقوم في أوربا في مواجهة (الجيتو) اليهودي والقوانين التي أصدرتها الكنيسة لعزل اليهود وتمييزهم ومنعهم من السيطرة على المراكز الأساسية الكبرى في المجتمع الأوروبي ، ومنذ بدأت حركة البروتستانتية بدأت معها رياح القومية التي ترمي الى اعلاء شأن الوطن والقوم واحلالها محل الدين وذلك لاخفاء الفرق بين النصراني واليهودي وهو ما سعت اليه اليهودية من خلال ما أطلق عليه عصر التنوير وجماعة الموسوعة (روسو وديديو) ومن قبلهم فولتير والتي حققت غايتها بالثورة الفرنسية ومن ثم تداعت الصبغة الدينية النصرانية وعلت الصبغة القومية وقفز اليهود الى مناصب القيادة الفكرية والأدبية في المجتمع الغربي ثم الى مناصب السيادة في البرلمانات الأوربية .

وقد تحدث ساطع الحصري ، كثيرا عن ظهور القوميات في أوربا وتأثر بالنزعة القومية الأوروبية ، التي واجهت الوحدة النصرانية الكبرى ، التي كانت تحجبهم عن امتلاك النفوذ والسيطرة في المجتمع الأوربي والتي وضعت عددا من القوانين والتقاليد للفصل بينهم وبين النصارى في أمور الزواج والتعامل والتي حجبتهم في (الجيتو) ومن ثم كانت القومية في أوربا معارضة ، للدين أي النصرانية وعاملا لهزيمة نفوذها السياسي كما كانت القومية الالمانية والخروج عن الكاثوليكية عاملا من عوامل المقاومة لسيطرة الامبراطورية الرومانية بعد أن ارتبطت الكنائس البروتستانتية بالقوميات .

وهذا الذي حدث في الغرب النصراني مختلف تماما عن العرب والاسلام ، وهذا هو ما تأثر به ساطع الحصري وأقام عليه نظريته الوافدة في القومية العربية التي سرعان ما تهاوت وسقطت لأنها لم تعتمد على الأصالة الحقيقية في فهم العلاقة بين النصرانية والقومية من ناحية وبين الاسلام والمسلمين من ناحية أخرى .

أكبر الأخطاء

واذا أردنا أن نواجه نظرية ساطع الحصري وجدنا أن أخطر دعاماتها تتهاوى أمام مفهوم الاسلام الحقيقي بوصفه دينا جامعا بين العقيدة ومنهج الحياة ، وأكبر أخطاء ساطع الحصري ومن يتبعه حتى اليوم من دعاة القومية بمفهومها الوافد هو فهم الاسلام على أنه دين لاهوتي يقيم العلاقة بين الله تبارك وتعالى وبين الانسان فحسب على حسب ما تقوم عليه النصرانية هذا هو الفارق الكبير العميق الذي ينسف النظرية نسفا ويقضي عليها من الجذور ، فاذا عدنا نسأل عن مفهوم الاسلام في

● القومية أطروحة غريبة ظهرت أثر تمزق وحدة المجتمع الأوربي .

مفاهيم ساطع الحصري وجدناه يعتمد النظرية النصرانية في فهم الدين ، كما شرحتها ونشرتها قواميس اللغة الفرنسية والانجليزية والألمانية وهو فهم خاطىء لا يمكن الباحث المنصف من فهم العلاقة بين الاسلام وأتباعه فهما كاملا ، ومن شأنه أن يخفي عنه أبعاد القضية ، فالعلاقة بين الاسلام والعرب تختلف عن العلاقة بين الأديان والقوميات ، ذلك أن الاسلام هو الذي نزل في العرب ولم يكن للعرب قبل الاسلام كيان موحد أو جامع ، وانما كان العرب حملة الرسالة للعالمين ، ولذلك كانت قاعدته المساواة بين الناس جميعا والأفضلية بالتقوى وذلك وفق الآية الكريمة من القرآن «يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» آية ١٣ سورة الحجرات ، فالاسلام هو الذي وضع العرب في الأفق العالمي وحماهم من عصبية الجاهلية والاحقاد القبلية حين وكل اليهم حمل رسالته الى الآفاق .

أكبر أخطاء نظرية القومية

ويعترف ساطع الحصري بأن اللغة العربية هي التي حفظت ما يطلق عليه اسم العروبة من التشتت والزوال ولو صدق لقال إنه القرآن الكريم .

ولا ريب أن النظرة العلمانية الى الاسلام ، المأخوذة من تجارب البلقان والوحدة الألمانية والايطالية وتطبيقات الاتحاديين في تركيا الذين عملوا على انتزاع بلادهم من الاسلام الى القومية الطورانية ، كل هذا هو الذي دعا ساطع الحصري الى أن يفهم الاسلام على أنه دين لاهوتي .

ومن ذلك عباراته التي يرددها دائما (ترك الأمور السياسية خارج نطاق الأبحاث الدينية) وهي عبارة كنسية فإن الاسلام دين وسياسة لم ينفكا ولم ينفصلا .

تربية المحافل الماسونية

ومن أكبر المؤثرات التي شكلت فكر ساطع الحصري هو نشأته في محيط الاتحاديين الذين تربوا في المحافل الماسونية والمعروف أن الدعوة الى القومية العربية بدأت أول أمرها في معاهد الارساليات التبشيرية بهدف فصل العرب عن الدولة العثمانية ومع أن ساطع الحصري عربي من اليمن الا أنه يصدر عن كراهية عميقة للاسلام ، هي نفس كراهية الاتحاديين له لأنه تربى في أحضانهم .

من أهداف النفوذ الأجنبي

وقد كان هدف فصل العرب عن الدولة العثمانية اسقاط الوحدة الاسلامية التي كان اسقاطها أكبر أهداف النفوذ الأجنبي والصهيونية ولذلك عمل على احلال تيارين متصارعين بدلا منه وهما القومية والاقليمية حتى تتفسخ دولة الخلافة الجامعة والدولة العثمانية كانت واقعة في مشاكل كثيرة من ضعف ومن زحف أوربا نحوها ومن وثوق بعض الخلفاء بغير المسلمين ولكن الحل لم يكن في

● من أكبر أهداف النفوذ الأجنبي والصهيونية اسقاط الوحدة الاسلامية .
● ليست هناك صراعات وحرب بين أصحاب مذاهب الاسلام بل الاجتهاد دليل حركية التشريع

اسقاطها وهدمها ، ومن هنا نشأت الدعوة الى ماأطلق عليه الخلافة العربية ، وهي ليست من الاسلام في شيء ، تلك التي حمل لواءها الكواكبي والحلبي وشجع النفوذ الأجنبي كل دعوة تعمل على تمزيق الجبهة الاسلامية .

ولا ريب أن موقف ساطع الحصري من الدولة العثمانية يلقي ظلالا كثيفة ، على تفسيرات التاريخ العثماني وموقفه من الخلافة ومن الوحدة الاسلامية ومن علاقات الدولة العثمانية مع العرب ، كل هذا يخضع لعقيدة ساطع الحصري كواحد من الاتحاديين الذين نشؤوا في المحافل الماسونية وتأثروا بمفهوم القومية المفرغ من الدين ، والفارق العميق بين مفهوم الدين ومفهوم الاسلام ..

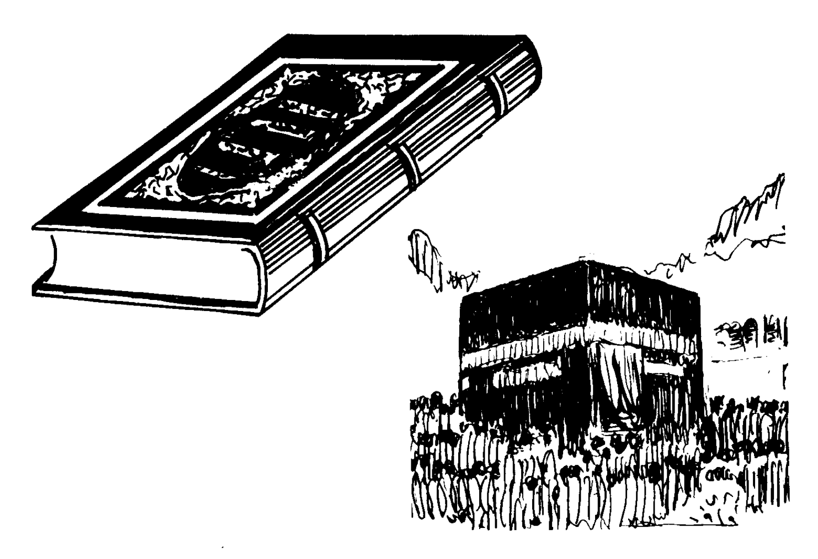
لغة ألف مليون مسلم

من أخطاء ساطع الحصري المترتبة على ذلك عجزه عن فهم الاسلام ، بوصفه دينا عالميا وأن المسلمين أمة واحدة .

كذلك فانه يخطيء خطأ واضحا في عجزه عن فهم ماهية اللغة العربية ، التي هي لغة ألف مليون مسلم ، في ثقافتهم وعباداتهم وأصول تفكيرهم ، وعجزه عن فهم ماهية التاريخ الذي هو تاريخ الاسلام ، والذي لا يمكن فصله الى تاريخ عربي وتاريخ فارسي وتاريخ تركي ، أو تاريخ اقليمي لكل بلد على حدة ، وعجزه عن فهم أن الفكر وليس اللغة هو أساس وحدة الأمة ، ويعجز ساطع الحصري عن فهم الفارق بين اللغة اللاتينية التي تمزقت الى لهجات فرنسية وألمانية وغيرها ، وبين اللغة العربية التي حفظها القرآن الكريم فالفارق بين اللاتينية والعربية واضح فبالرغم من أن اللغة اللاتينية حملت الانجيل ، الا أنها تفرقت الى لهجات أما الاسلام فلم يحدث أن قامت الصراعات والحروب بين أهل مذاهبه ، وأن الاسلام حين ظهرت فيه المذاهب لم يتمزق الى فرق تعتبر كل منها دينا خاصا ، كما يرى الكاثوليك والبرتستانت والارثوزكس ، بل كانت هي طبيعة الاسلام في اثراء التشريع بتنوع الاجتهاد ابتغاء التيسير ورفع الحرج .

وحين انشطرت الامبراطورية الرومانية ، الى غربية وشرقية ذهب كل شطر منها بمذهب خاص وارتبط بلغة خاصة .

ونتيجة لرأيه في الدولة العثمانية شكك في خلافة آل عثمان وأنكر فضلهم في حماية العالم الاسلامي خلال أربعمائة عام ، ونقل آراء مبتسرة ، ومن ذلك قوله (إن الأحداث التي توالت من إقدام الاتراك على الغاء الخلافة قد قضت على فكرة الخلافة الاسلامية القضاء المبرم وأبعدتها عن نطاق التفكير السياسي في جميع البلاد الاسلامية) وما كان لساطع الحصري أن يقرر ما لا يعلم من أنه عناصر أصيلة في برامج جميع الهيئات الاسلامية فضلا عما ووجهت به الفكرة من كتابات على كل مستوى وفي مقدمتها أطروحة الدكتوراه لعبد الرزاق السنهوري عن عصبة الأمم الاسلامية، وما عقد بعد ذلك من مؤتمرات وما قام من مؤسسات للتضامن الاسلامي ، وأن الامامة واجب شرعي يجب على المسلمين اقامته بانتخاب خليفة يجتمعون تحت رايته والا أثموا جميعا .



لا تاريخ للعرب الا الاسلام

ولقد غاب عن ساطع الحصري انه لا تاريخ للعرب الا تاريخ الاسلام وأنه ليس للعرب تاريخ منفصل عن الأمة الاسلامية وأن اللغة العربية هي لسان الاسلام عن طريق قرآنه وسنته للمسلمين جميعـا وليس للعرب وحدهم وانه لولا القرآن الكريم لتمزقت اللغة العربية الى عاميات كما تمزقت اللغات الأوربية .

ولقـد دافـع ساطع الحصري عن نظريته بحماس عجيب ولكنه لم يكن قادرا على استيعاب الاسـلام ولكننـا لاننسى لساطع الحصري أنه حاجج دعاة الاقليات والذين هاجموا تاريخ العرب ووصفوه بالسخافات والجهالات ، أمثال سلامة موسى وحسين مؤنس وأمين الخولي وطه حسين والذين هاجموا مفاهيم طه حسين الفرعونية ودعوته الى تعليم اللغات اللاتينية واليونانية وهاجم سعد زغلول في قوله ان العرب أصفار .

واليوم وقد تجاوز الفكر الاسلامي هذه المرحلة ، فانه يجب أن يكون واضحا أمام شبابنا المسلم أن هذه التجـربـة لا يمكن أن تعود وأن اليقظة الاسلامية اليوم تتحرك في اتجاه الوحدة والصحوة الاسلامية الشاملة بإذن الله تعالى . عاجلا أو آجلا ..



قال الشيخ السكندري : الامور التي تؤخذ على الكتاب كثيرة :

أولا : الخطأ في الحكم الفني ، أي تقرير غير الحقيقة العلمية سواء أكان ذلك بقصد من المؤلف أم بغير قصد .

ثانيا : الخطأ في الاستنتاج ، وهو ما يعذر فيه المؤلف لانه اجتهاد من عند نفسه .

ثالثا : الدعوى بغير دليل ، وهو ما يقرره المؤلف من غير دليل عليه ، وقد يكون في ذاته صحيحا ولكن سوقه ساذجا يفتح مجالا للشك .

رابعا : الخطأ في النقل وهو آت من تصرف المؤلف في عبارات المؤلفين بقصد اختصارها ، أو من تسرعه في الجمع ، وقلة مراجعة الاصول .

خامسا : قلة تحري الحقيقة بمراجعة الكتب المعتمدة والتواريخ الصادقة ، ووزن كل عبارة بميزان العقل والانصاف وقياس الامور بأشباهها ، بل كثيرا ما تروج عند المؤلف أقوال الخصوم في خصومهم ، وأقوال الكتب الموضوعة لاخبار المجان ، أو لذكر عجائب الامور وغرائبها .

سادسا : تناقض بعض أقوال الكتاب .

سابعا : الاختصار في كثير من التراجم والمباحث ، واهمال ما ليس من شأنه أن يهمل .

ثامنا : ادخال ما ليس من موضوع الفن فيه ، لغير مناسبة أو لمناسبة ضعيفة جدا .

تاسعا : الاستدلال بجزئية واحدة على الامر الكلي ، وهو كثير الحصول في جميع كتب المؤلف وفي اكثر استنتاجاته ودعاواه .

عاشرا : تقليد المستشرقين في مزاعمهم أو نقلها من غير تمحيص .

حادي عشر : اضطراب المباحث وصعوبة استخراج فائدة منها لاختلال عبارتها ، أو لعدم صفاء الموضوع للمؤلف .

ثاني عشر : اضطراب التقسيم والتبويب ، اما بذكر المباحث في غير موضعها ، وإما بعدّ رجال عصر في عداد رجال عصر آخر .

ثالث عشر : التحريف واللحن وهما كثيرا الشيوع في جميع كتب المؤلف .

رابع عشر : تهافت المؤلف على تطبيق قانون النشوء والارتقاء حتى على الامور التي فيها تدل وانحطاط لا نشوء ولا ارتقاء .

أولا : الخطأ في الحكم الفني

١ – قول المؤلف (وكان أبو حنيفة لايحب العرب ولا العربية حتى أنه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالي به) .

وقد عزا هذه العبارة الى (ابن خلكان – وفيات الاعيان – ج ٢) ، فالذي يثق بالمؤلف يصدق

● جرجي زيدان أخطأ في الحكم والدليل والدعوى بلا دليل ..!

● من أين للمؤلف كل هذه الدعاوى الباطلة ؟ ولماذا يثير الفتن .؟

عبارته هذه ، بعد أن تبرأ من تبعتها ونسبها الى مؤرخ عظيم ، ولكنه اذا راجع ابن خلكان في هذه الصفحة ، بل اذا قرأ ترجمة أبي حنيفة من أولها الى آخرها لم يشم منها رائحة هذه الالفاظ بل المعاني .

هل ارتد المنصور ؟ :

٢ - فقول المؤلف (وكان أئمة الفقه في المدينة ، فأراد المنصور تصغير أمر العرب واعظام أمر الفرس لانهم أنصارهم - أي العباسيين - وأهل دولتهم ، فكان من جملة مساعيه في ذلك تحويل أنظار المسلمين عن الحرمين ، فبنى بناء سماه القبة الخضراء محجا للناس (كذا) وقطع المسيرة عن المدينة . وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه أهلها في أمر المنصور ، فأفتى بخلع بيعته فخلعوها ، وبايعوا محمد بن عبدالله من آل علي الخ .

ومن عبارته يفهم أن جمهرة أئمة الفقه كانت بالمدينة فقط ، وأن المنصور كان يكره العرب كراهية حملته أن يرتد عن الاسلام ويحاول صرف المسلمين عن تولية وجوههم شطر قبلتهم ، وانه قطع المسيرة عن المدينة ، وأن أهل المدينة استفتوا مالكا في خلع المنصور فأفتاهم .

أين هذا مما كان :

وكل هذه اللوازم باطلة فلم تكن جمهرة الفقه بالمدينة بل كانت في كل الاقطار . ثم كيف يكره المنصور العرب هذه الكراهية وهو عربي ، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وخليفته في أمته وشريعته .

أما عن الثالث فينافيه ما تقدم ، واعتذار المنصور بعد ذلك لمالك عما وقع ، كذلك فان المنصور لم يقطع عن أهل المدينة الا بعد مبايعتهم محمد ابن عبدالله .

ومن خطئه في الحكم عده طاهر بن الحسين - فاتح بغداد وقاتل الامين - في عداد المنشئين كتاب الرسائل ، مع أن هذا الاسم لاينطبق عند علماء الادب الا على الكاتب في ديوان الرسائل ، ولم نجد فيه طاهر بن الحسين منشئا قط .

أعجمي يحكم في آداب العرب :

ومن الخطأ في الحكم زعم المؤلف أن علم الكلام ومذهب الاعتزال نشأ في العصر الثاني من حكم بني العباس أي بعد ١٣٢هـ مع أن المشهور في التاريخ أنه لما كثرت الزنادقة والملاحدة في زمن المهدي ، أوعز الى العلماء أن يحاجوهم بالادلة العقلية ويدون ذلك في الكتب ففعلوا وسموا المتكلمين .

ومن الخطأ في الحكم جعله أبا منصور عبدالملك الثعالبي صاحب يتيمة الدهر ، هو صاحب

● الحقائق والوثائق تفضح الكاتب وتكشف زيف دعواه .

التفسير الكبير المعروف بتفسير الثعلبي ، والثعلبي هو الامام الحجة الثبت (أبو اسحاق أحمد بن ابراهيم الثعلبي) فهو شخص آخر غير أبي منصور الثعالبي .

ومن أخطائه قوله أن القصائد طالت في العصر الثالث من حكم بني العباس وطول القصائد لم يختص في عصر دون عصر ، وقوله : ان العرب لم يدركوا شأن اليونان والفرس في تطويل القصائد ، فان المؤلف لم يفطن الى الفرق بين الشعر العربي والاعجمي ، فان الشعر العربي تنظم القصيدة فيه من بحر واحد وقافية واحدة وروي واحد ، وشعر الامم الاعجمية ليس له قافية .

ومن الخطأ في الاستنتاج ، زعم المؤلف أن التصوف لم ينشأ الا في العصر الثالث أي بعد ٣٢٤هـ وينعي على ابن خلدون وغيره ممن يرى ان اشتقاقه من الصوف ، ويرى أن اشتقاقه من كلمة سوفيا اليونانية (بمعنى الحكمة) .

وأقول ان طريقة القوم قد اشتهرت بهذا الاسم قبل شيوع ترجمة الكتب اليونانية وانتشار الفلسفة .

بين ابن اسحاق وابن هشام :

ومن خطأ الاستنتاج واضطراب الكلام واختلاطه : الفصل الذي كتبه المؤلف عن السيرة النبوية ، فقد جعل سيرة ابن اسحاق وابن هشام واحدة ، وابن هشام لم يكن راويا ، والحقيقة أن سيرة ابن اسحاق سيرة كبيرة مستقلة عن سيرة ابن هشام ، وهي التي يطعن في شعرها ولم يتفق على صحتها وان ابن هشام لم يكن هو الراوي لهذه السيرة بل لخص سيرته النبوية عن سيرة ابن اسحاق وغيرها من كتب المغازي .

ثانيا : دعاوى المؤلف :

ومن دعاوى المؤلف بغير دليل دعواه ان ابن قتيبة أول من تجرأ على النقد الادبي فألف في أكثر فنون الادب المعروفة .

.. فان أراد المؤلف : أنه أول من كتب في نقد الشعر ، فليس بصحيح اذ سبقه الى ذلك كثير منهم محمد بن سلام الجمحي ، في كتابه طبقات الشعراء ، وقبله ألف أبوعبيدة كتاب نقائض جرير والفرزدق .

ومن دعاوى المؤلف قوله : ان الشعر في العصر الاول من بني العباس قد بطل استعماله في العصبية ، كما بطل استناد الخلفاء للشعراء بسبب انتصارهم لفريق على فريق .

والحقيقة أن الشعر بقي يستعمل في العصبية طوال العصر العباسي الاول وبعض العصر الثاني ، بل لقد فتح الخلفاء العباسيون في العصبية بابا شرا من عصبية القبائل ، وهو تفضيل العباسيين على الطالبيين .

ومن دعاوى المؤلف : قوله «ولم يكن للشاعر العربي بد من الرحلة الى بلاد العرب لاقتباس أساليبهم» فليقل لنا المؤلف ما هي رحلات أبي نواس ومسلم والحسين بن الضحاك ، ومطيع بن اياس وحماد عجرد وأبان اللاحقي الى بادية العرب .

ان الرحلة الى بلاد العرب كانت خاصة بالعلماء ورواة الادب واللغة أمثال الخليل والاصمعي وأبي عبيدة والكسائي .

دعاوى .. ما لها من أصل :

ومن دعاوى المؤلف أن ابن المقفع كان يعرف اليونانية جيدا ، ولم نر في كتب الادب والتاريخ من ذكر هذا .

ومن دعاوى المؤلف في الكلام على طريقة أبي الحسن الاشعري في علم الكلام ، أن الناس عولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين الآراء ، فكيف يعقل أن مذهبا يسوي بين آراء كل الطوائف ، وفيهم من يناقض مذهبه مذهب الآخر ، وغاية الامر أنه اعتدل بين مذهبي المعتزلة والسلفية من أهل السنة .

رفع الفتنة :

ومن دعاوى المؤلف : عن المتوكل الخليفة العباسي أنه أهلك جماعة من العلماء ، وحط مراتبهم وعادى العلم وأهله .

فمن أين للمؤلف هذا الكلام وكل هذه الغارة على المتوكل من جراء أنه رفع الفتنة بخلق القرآن ، ونهى الناس عن الجدل فيها بعد أن أنهكت دينهم وأخلاقهم وأنه أمر أهل الذمة بلبس شارات تميز زيهم وأنه صادر بختيشوع الطبيب وبعض الكتّاب لخيانة ظهرت له منهم .

والكلاسيكية :

ومن دعاوى المؤلف أن الانشاء في العصر الثالث العباسي قد صار له طريقة خاصة سماها (كلاسيك) أخذ من اصطلاح الافرنج ، ثم أخذ يسرد شروطا للانشاء المدرسي ، والمتتبع لها يجد أن أكثرها لايختص بعصر دون عصر ، وأن أغلبها أمور طبيعية وعادية في كل زمان .

ومن دعاوى المؤلف زعمه أن العرب نقلت محاضراتها عن اليونان ، وما نقله المؤلف من تعريف المحاضرات انما يؤكد أنها فن عربي بحت كان يطلق قديما على عدة علوم من أنواع التاريخ والاخبار والنوادر والشعر ومنه كامل المبرد وآمال القالي وكثير من كتب الجاحظ وأبي حنيفة الدينوري .

ومن دعـاوى المـؤلف أن كتب (السـيرافي) لم يصلنـا منهـا شيء وعد منها كتاب النحويين البصريين ، والكتاب في دار الكتب المصرية في نسخة قديمة وأظنها من كتب الشنقيطي .

ثالثا : الخطأ في النقل :

أخطأ المؤلف في نقل عبارات المؤلفين أما بتصرفه فيها تصرفا أفسد معناها ، وأما بتحريف الكلم وأما بنقلها من نسخة محرفة من غير تمحيص . وهو كثير ..

ومنها خطؤه في تسمية اسم رجل واحد على مسميين (أحمد بن يوسف ابن صبيح) فقال أحمد بن يوسف وزير المأمون ، وابن صبيح .

ومن تقصير المؤلف في توضيح ما نقله عن السيوطي ، ناقلا عن كتاب العين ومختصر الزبيدي ، احصاء المستعمل من الالفاظ العربية والمهمل منها ، فاستخرج المؤلف من كتاب الزبيدي احصاء المستعمل من الالفاظ العربية ٥٦٢٠ لفظا مع أن كتاب القاموس (وهو ليس الا قطرة من بحر اللغة العربية) يشتمل على ستين الف مادة ، متوسط ما في كل منها من المزيد والمشترك عشرون كلمة على

الاقل أي نحو مئتي الف ألف كلمة فكيف ولسان العرب ، به ثمانون ألف مادة متوسط ما في كل منها ثلاثون كلمة على الاقل .

رابعا : عدم تحري الحقيقة والصواب :

اعتاد المؤلف أن ينقل الى كتبه ما يعتقده بذاته ، أو ما يكون ذائعا على ألسنة عامة القراء والوراقين من غير تمحيص لحقيقتها ، ولكن على كل من تعرض لتدوين التاريخ في السياسة أو الادب ألا يكتفي برواية كتاب واحد أو كتابين ، أو بما يذيع على ألسنة الناس بل يجب عليه تحقيق الخبر وتمحيصه والاخذ بالرواية القريبة من العقل .

ومن ذلك نقله عبارة ابن خلكان عن أن الامين جمع بين سيبويه والكسائي في مجلس للمناظرة وان الكسائي زعم أن العرب تقول كنت أظن الزنبور أشد لسعا من النحلة فاذا هو اياها .. والمشهور أن المناظرة جرت في مجلس يحيى بن خالد البرمكي .

ومن ذلك أنه لم يتحر الحقيقة والصواب في تعداد كتب الواقدي .

خامسا : التناقض :

ناقض المؤلف نفسه في كثير من مواضع كتابه :

فمن ذلك ما ذكره عن ابن الرومي والمتنبي وما شكك من نسبه كتاب العين الى الخليل ، وناقض المؤلف نفسه في نشأة علم الجغرافيا في العصر العباسي الثاني .

ومن تناقض المؤلف قوله «نشأ علم الجغرافيا في هذا العصر (العصر الثاني العباسي) بعد نقل علوم القدماء الى العربية وفي جملتها كتاب بطليموس ، وعليه معولهم في تقويم البلدان .

على أن المسلمين بدؤوا بوضع الجغرافيا قبل اطلاعهم على هذا الكتاب ، لأسباب غير التي دعت اليونان الى وضعها الخ .

وهذا تناقض من المؤلف اذ ذكر الجغرافية أولا بمعنى الجغرافيا الرياضية ، وأعادها ثانيا باسم الجغرافيا التخطيطية ، التي كانت تسمى علم المسالك والممالك ، والمعروف أن العرب اشتغلوا بالجغرافية اليونانية قبل العصر الثاني ، والمأمون وعلماؤه ممن صحح أغلاط بطليموس وغيره ، في محيط الارض وقطرها ومقياس الدرجة الارضية .

أشعار أبي العتاهية :

ومن تناقض المؤلف وتحيره قوله في أبي العتاهية : «قد نظم في كل أبواب الشعر وأمتار منها بالزهد ويؤخذ من سيرة حياته أنه كان مترددا متقلبا على أن تمنع أبي العتاهية عن قول الغزل بعد أن أمره به الرشيد يخالف هذه القاعدة» .

والرأي أن هذا العلل لو صدقت على كل شاعر يتكسب بالشعر لتبرمت الدنيا بكثرة المحرورين والموسوسين .

سادسا : الاختصار فيما يجب الاطناب فيه :

ومن أعجب أمور المؤلف أنه يعلم ، ويعلم أن الناس تعلم ، أنه يؤلف كتابه في آداب اللغة العربية لا آداب اللغة اليونانية القديمة ولا الفارسية ولا اللغات الاوروبية ، ثم نراه اذا خاض في ذكر بحث من مباحث الآداب العربية أو عدد النبغاء أو ذكر ترجمة شاعر أو كاتب ، اقتصر على ذكر نتف

قليلة أو اقتصر على العدد القليل من مشهوري النبغاء واختصر تراجمهم مكتفيا بذكر ما لا يلزم الناقد الاديب وبذكر الكتب التي يراجعها من شاء التوسع .

وأشار الى تقصير المؤلف باهماله ذكر الجرمي من نحاة العصر الثاني مع ترجمته لابن ولاء وأبي جعفر النحاس ، واهماله ذكر الاوزان والقوافي التي طرأت على الشعر في جميع العصور التي ذكرها كالمواليا والدوبيت ، وتخصيصه اثني عشر صفحة من كتابه لموضوع أجنبي عن موضوع آداب اللغة العربية بالمرة ، وهو آداب اللغة اليونانية وأطوارها وتراجم فلاسفة اليونان .

ومن ذلك اسهاب المؤلف في شرح الادب والانشاء عند الافرنج وذكره لبعض قصص الافرنج الخرافية .

تأثير القرآن الكريم :

ومن التطويل المخل بالنظام وضع الكلام في مبحث تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية في هذا الجزء ومن حقه أن يدرج في الجزء الاول ومن التطويل تكرار الكلام في موضعين أو ثلاثة لغير موجب مثل وصف التهتك والخلاعة عند الشعراء .

سابعا : الاستدلال بحادثة جزئية على أمر كلي :

اعتاد المؤلف في كتبه أن يستنتج من حادثة جزئية أمرا كليا وهذه الخصلة من أكثر ما ينعاه عليه النقاد وقد عمل بها في كتابه هذا غير مرة (وقدم الباحث في ذلك نماذج متعددة) .

ثامنا : تقليد مستعربي الفرنجة حتى في الخطأ :

للمصنف ولع بنقل ما يكتبه المستعربون عن العرب وآدابهم ولو خالف الواقع ، ومن ذلك نقله فصولا برمتها مشوبة بالخطأ من كتاب نيكلسن الانجليزي وبروكلمان الالماني ، مثل مقالة الشعر في العصر الاول وغيرها .

اضطراب التبويب والتقسيم :

من ذلك أن وضع ما يصلح أن يذكر في آداب الفرنجة في آداب العرب ، وما ينبغي أن يجعل في عصور ظهور الاسلام جعله في عصر بني العباس ، ومن يجب أن يترجم له في عصر معين أو في طائفة بعينها ترجم له في عصر غير عصره أو طائفة غير طائفته ، بحيث تضطرب المباحث وتتداخل العصور .

من ذلك ذكره أن الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين حصل في العصر الثاني وما بعده من عصور الدولة العباسية ، والحقيقة أنه حصل في العصر الاول .

ومن ذلك تأخيره الكلام عن نشأة علم الفرائض الى العصر الثالث مع أنه قديم دوّن منذ دون الفقه في العصر الاول .

عاشرا : تهافت المؤلف :

للمؤلف تهافت وولع بالشيء لا يؤبه له ، أو بالامر يناسب مقاما خاصا فيقحمه في كل مقام ، كما فعل هذا في كتابه في مواضيع شتى .

من ذلك حالة النشوء والارتقاء يقيس بها كل أمر حتى خرج به القياس الى عكس ما يراد بها وذكر أن اضطراب الخلافة الاسلامية وانحلالها الى امارات وممالك صغيرة متنافسة متشاكسة من

دواعي النشوء والارتقاء في حين يعده المؤرخون من دواعي الانقراض والفناء .

حادي عشر : اللحن والاغلاط اللغوية :

لا تكاد تمر بالقارىء صفحة الا وهي مشتملة على خطأ لفظي ، أما في النحو أو الصرف أو اللغة ، واذ كانت هذه الاغلاط تعد بالعشرات بل بالمئات فاننا لانستطيع تعدادها .

وفي النهاية يختم الشيخ السكندري رحمه الله نقده ختاما مؤدبا حيث يقول :

والنتيجة أن الكتاب على ما فيه من مواضع النقد لايخلو من منافع في موضوعه وغير موضوعه .

وهي عبارة مؤدبة تعني أن المؤلف لم يكن منضبط المنهاج فكان كلامه أحيانا يخرج عن موضوع الكتاب .

هذا البحث نشره الشيخ أحمد السكندري في مجلة المنار المجلدين ١٥ ، ١٦ (١٩١٢ - ١٩١٣) وهو عن الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية تأليف جرجي زيدان .





روايات جورجي زيدان لا روايات الاسلام

● جورجي زيدان حاول افساد مفهوم الشخصية والبطولة .

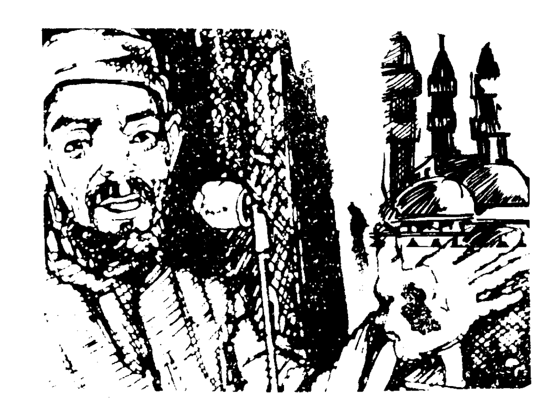
ان اعادة النظر في كتابات جورجي زيدان تكشف بوضوح انه يمثل اتجاه الاستشراق والتبشير والتفريق ، حاملا شبهاته وسمومه ، وعاملا على غرسها في أبحاث التاريخ الاسلامي ، وقد كانت هذه الكتابات مجهولة المصدر ، حتى ترجمت دائرة المعارف الاسلامية ، التي كتبها متعصبو المستشرقين ، وتبين أنها تضاهيها من حيث وحدة المصدر .

ثم جاء بعد ذلك طه حسين وأحمد أمين وأمين الخولي وغيرهم ، فأدخلوا التاريخ الاسلامي في مراحل جديدة أشد خطورة ، ثم جاءت بعد ذلك محاولات التفسير المادي للتاريخ الاسلامي التي حمل لواءها عبدالرحمن الشرقاوي وغيره .

روايات جورجي زيدان :

أما المجال الذي استطاع جورجي زيدان أن يبث فيه سمومه ، فهو مجال القصص ، فقد الف عددا من القصص تحت اسم روايات الاسلام ، دس فيها كثيرا من الدسائس والمؤامرات والاهواء ، وحاول افساد مفهوم الشخصية والبطولة الاسلامية حيث أساء اساءة بالغة الى الاعلام من أمثال





صلاح الدين الأيوبي ، وهارون الرشيد والسلطان عبد الحميد ، وعبد الرحمن الناصر ، وعبد الرحمن الغافقي وأحمد بن طولون ، والامين والمأمون ، وعبد الرحمن الداخل ، وشجرة الدر .. الخ وما زالت هذه الروايات تظهر بين وقت وآخر مطبوعة طباعة فاخرة ، لتخدع الشباب بذلك الاسلوب القصصي ، وقد أقام جورجي زيدان تصوره على أساس خطير .

أولا : تصـويره للخلفاء والصحابة والتابعين بصورة الوصوليين الذين يريدون الوصول الى الحكم بأية وسيلة ، ولو كان على حساب الدين والخلق القويم ، مع تجريحهم واتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات .

ثانيا : تزييف النصوص التي نقلها عن المؤرخين القدامى ، وحولها عن هدفها ، تحويلا اراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين ، وبنى عليها قصصا غرامية باطلة .

ثالثـا : استهدف من حشد العلاقات الغرامية ، ذات المواقف الميتة ، داخل روايات تاريخ الاسـلام ، اثـارة غريزة الشباب وتحريك شهوة المراهقين ، مستغلا ضعف ثقافة الكثيرين منهم ، وجهلهم بالغاية التي يرمي اليها في رواياته ، مع الاستشهاد بالابيات الشعرية المكشوفة الساقطة ، التي تحرك الغرائز الدنيا .

رابعا : تبين من البحث الذي قدمه عالم ازهري ، درس باستفاضة روايات جرجي زيدان ، ان معظم الاحداث التاريخية في رواياته قد حرفت وبنيت على أساس فاسد ، فقد ظل جرجي زيدان ، على حد تعبير الباحث ، ينقب وينقر ويجهد نفسه في مزج الحق بالباطل ، وتقديمه في أسلوب براق جذاب ، معتمدا على فن أدبي ذي أثر بالغ ، وذلك هو فن القصة والرواية ، حيث لم يكن حريصا على تحري الحقائق التاريخية قدر حرصه على الحنكة القصصية وخلق الحوادث المثيرة خلقا ، وقد عمل جاهدا على طمس التاريخ الاسلامي وتشويه معالمه ، بغية تنفير أبناء العرب والمسلمين من ماضي آبائهم المجيد .

خامسا : من أخطر شبهاته : أنه قال ببشرية القرآن ، وشك في مصادر العربية الاولى ، ومدح بني العباس لانهم أنزلوا العرب منزلة الكلب (على حد قوله) ونسب احراق مكتبة الاسكندرية الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقد طبع اللبنانيون ودار الهلال في مصر روايات جرجي زيدان مزدانة بالصور الملونة والالوان الصارخة بقصد استهواء الشباب وحثهم على قراءة هذه الكتب ، التي لاتعطيهم الا صورا مشوهة لتاريخ أمتهم ، واخبارا ملفقة بغية التشكيك في ذلك التاريخ .

● معظم الأحداث التاريخية في روايات جورجي حرفت وبنيت على أساس فاسد .

● لماذا لم يهتم المؤلف بالتصوير الحي لشخصية صلاح الدين ، ولم يسجل مواقفه الحاسمة .؟

سادسا : أعطى نفسه الحرية المطلقة في تفسير أحداث التاريخ في معظم رواياته ، استنادا الى ما يسمى موقف الاديب من التاريخ ، وكانت تفسيراته متعسفة متكلفة ، تخفي محاولة لاثارة مشاعر السخط في نفوس المسلمين .

سابعا : تفسيره لتصرفات هارون الرشيد مع اخته العباسة وجعفر البرمكي وما أثير حولهما من أخبار ، بما لايتفق مع ما عرف عن الرشيد من أنه كان يحج عاما ويغزو عاما ، بل وبما لايتفق مع أيسر قواعد التفكير والمنطق السليم . وفي رواية (أرمانوسه المصرية) - والتي تحكي قصة فتح عمرو بن العاص لمصر حاول أن يقول أن الحب بين ارمانوسه واركاديوس قائد حصن الروم ، هو السبب في هزيمة الروم وانتصار المسلمين ، واتهم المسلمين بأنهم دخلوا البيوت ينهبون ويسلبون عندما فتحوا بلبيس ، وهو مناقض تماما لما أورده المؤرخون المنصفون من المسلمين وغير المسلمين .

فتاة غسان

ثامنا : في رواية «فتاة غسان» والتي تحكي فتوح الشام وبدء ظهور الاسلام أورد شبهة بأن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم أخذ تعاليمه من الرهبان ، وتأثر بتوجيهات الراهب بحيرا ، واتسمت كتابته بالسخرية والاستخفاف بوثائق العهد النبوي ، ووصف حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالغرابة ، وادعى ان هناك خصومة بين خالد بن الوليد وابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما ، وأخذ مصادره في هذا من كتب المستشرقين .

تاسعا : في رواية (عذراء قريش) - والتي تناولت عصر الخلفاء الراشدين ، أقام منطقه على تجريح الصحابة رضي الله عنهم ، واتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات ، واتهم السيدة عائشة رضي الله عنها بالميل الى سفك الدماء والنزوع الى الشر !!

ووصف الخليفة عثمان رضي الله عنه بأنه رجل إمعة وذليل ومستسلم لابن عمه ، وافترى على (علي بن ابي طالب كرم الله وجهه) وفسر الفتنة تفسيرا مغرضا واتهم عليا رضي الله عنه بالتهاون في المطالبة بدم عثمان .

عاشرا : وفي رواية «العباسة» التي تحكي قصة نكبة البرامكة - اتهم الرشيد بالاستهتار والمجون والاستبداد والظلم ، وقدم تفسيرا خاطئا ومغرضا لقتل بني برمك ، وشوه شخصية العباسة أخت الرشيد .

الحادي عشر : في رواية (شارل وعبدالرحمن) - والتي تحكي جزءا من عصر الولاة بالاندلس - زعم بأن القواد وأمراء الجند من المسلمين كانوا مشغولين بحب فتيات النصارى ، وقد فتنوا بجمالهن ، وان هذا الحب قد صرفهم عن أمر الفتح ، فتركوا جنودهم في ساحة القتال وادعى انهم

● اعتمد جورجي على روايات طائفة الحشاشين" الاسماعيلية"

وحاول أن ينسب الى صلاح الدين قصصا غرامية كاذبة

كانوا يهتمون بالغنائم أكثر من اهتمامهم بما عداها ، وجرى على تصوير حروب الاسلام على أنها حروب غنائم .

الثاني عشر : أجرى على لسان ابي مسلم الخراساني من الافتراء ، ما قال من أن «العرب كانوا يحتقرون غير العرب ، ويسومونهم سوء العذاب ، ثم يفتخرون عليهم بالنبوة» وطمس معالم التاريخ الاسلامي في هذه الرواية بالدس والافتراء ، وقدم صورا باهرة للكنيسة ورهبانها ، وأشاد بالاديرة والرهبان حيث جعلها ملجأ الضعفاء وملاذ التائهين والخائفين .

وفي رواية الامين والمأمون ، كان واضح التحامل على العرب ، واصفا اياهم بالاستبداد وسوء التصرف مع الاجناس الاخرى ، التي تربطهم رابطة الاسلام قبل كل شيء .

وفتاة القيروان

الثالث عشر : في رواية «فتاة القيروان» – التي تحكي أخبار الفاطميين ومن عاصرهم – حاول التشكيك في أنساب الكثيرين من حكام المسلمين ، وكذلك عمد الى التشكيك في نسب «المعز لدين الله» . واعتمد في قصصه الغرامية على الخيال ، اذ لايوجد ذكر لكل هذه المواقف في جميع كتب التاريخ وخاصة حاكم سلجماسة الامير حمدون ، بل ان صاحب سلجماسة في كتب التاريخ يختلف تماما عما جاء في رواية زيدان ، مما يؤكد ميل زيدان الى التزويرلا والتحريف .

بل ان صاحب سلجماسة هو محمد بن داسول ، وليس الامير حمدون ، ولم يقل ابن الاثير ان له بنتا شغلت القائد جوهر فخطبها لابنه ، وقد أعطى زيدان لليهود في روايته دورا ايجابيا ، وجعلهم أصحاب الفضل الاول في ازالة الدولة الاخشيدية ، واقامة دولة الفاطميين مقامها وربما يكون قد أصاب في النقطة الأخيرة .

الرابع عشر : في رواية صلاح الدين تلفيق وتزوير وافساد للتاريخ ، فقد ذهب الى ان الخليفة العاضد لما ضعف أمره ، استدعى صلاح الدين وأوصاه بأهله خيرا ، وان صلاح الدين نقض هذا العهد بعد سويعات ، وحاصر قصر الخليفة وأخذ كل ما فيه ومن فيه .

ولا ذكر في كتب التاريخ لتلك الوصية والاشارة في كتب التاريخ الى سيرة الملك هذه .

وهذه الوصية التي ذكرها (زيدان) لم ترد في الكامل لابن الاثير ولا غيره فهي ملفقة مزورة ، كذلك فقد زيف زيدان النصوص التي نقلها من ابن الاثير ، وحولها تحويلا اراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين وبنى عليها قصصا غرامية باطلة .

ولم يعن المؤلف بالتصوير الحي لشخصية صلاح الدين ، ولم يسجل مواقفه الحاسمة ، وصرف الشباب عن الحديث عن الدور المهم الذي قام به صلاح الدين ، بالحديث عن مكائد الحشاشين – الاسماعيلية – وتهديدهم لصلاح الدين ، واعتمد على روايات طائفة الحشاشين ، تلك الجماعة الضالة المنحرفة ، وحاول أن ينسب الى صلاح الدين قصصا غرامية كاذبة .

الخامس عشر : وفي رواية (شجرة الدر) والتي تحكي أحداث نهاية العصر الايوبي وبداية المماليك في مصر – حاول أن يصور نساء السلطان الصالح نجم الدين أيوب بصورة النساء اللائي يتاجرن بأعراضهن ، في سبيل الحصول على ما يتطلعن اليه ، وليس معه أي دليل من التاريخ وهذه

الدعاوى التي أوردها حول شجرة الدر تختلف عن الحقائق الواردة في الكتب التي أرَّخت لهذه الفترة من أمثال النجوم الزاهرة لابي المحاسن . المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار وصبح الاعشى للقلقشندي .

التلاعب بالمراجع

السادس عشر : وخلاصة ما يصل اليه البحث حول روايات جرجي زيدان :

(١) تحوير مواقف الشخصيات التاريخية .

(٢) اثارة الشكوك حول البطولات الاسلامية .

(٣) تعمد اغفال الحوادث التاريخية المهمة .

(٤) اضفاء حالات مثالية عن الاديرة والرهبان ودور النصارى واليهود في التاريخ الاسلامي .

(٥) التلاعب بالمصادر والمراجع .

رأي مجلة الموسوعات :

قالت مجلة الموسوعات (١٨٩٩) لم يلتزم جرجي زيدان بتمحيص الحوادث التاريخية ، فاختلق شخوصا ونسب الى بعض الشخصيات الاسلامية البارزة ما ليس فيها ، مما أثار جمهور المسلمين .

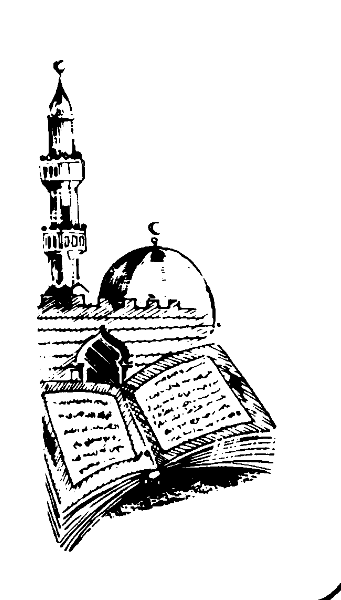
فعذراء قريش (أسماء) بطلة الرواية لا وجود لها ، الا في ذهن المؤلف ، وقد يكون له بعض العذر التأليفي كقاص ، ولكن الباطل أنه نسب لمحمد بن أبي بكر ، المعروف عنه الزهد عشق هذه العذراء ، بل ان صاحب الهلال بنى على هذا الباطل باطلا ، فاختلق سببا من عنده ليس له أسانيد تاريخية ، في تفسير بعض الاحداث ، وزعم أن عشق محمد بن أبي بكر (كان سببا) في ازدياد هياجه على عثمان رضي الله عنه ونسب الى الحسين بن علي رضي الله عنهما عشقه لهذه العذراء الوهمية ، وغيرة محمد بن أبي بكر منه .

وادعى أن الامام عليا رضي الله عنه اعجب بعذراء قريش عندما ادخلت عليه في زي رجل ، مع ان الدين كان يحث على عدم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، وقد عرف عن (علي) كرم الله وجهه تمسكه بالدين مما ينفي عنه أنه يعجب بمثل هذا .

وقد أقر (جرجي زيدان) بخطئه في هذه الوقائع (هلال مايو ١٨٩٩) وحاول أن يدافع عن نفسه ولكن دفاع الطائر الذي وقع في شبكة الصياد .

ونقول : (ان المجلة انطوت وبقيت القصة في أيدي القراء ، يعاد طبعها دون التفات الى هذه الملاحظات) وقد أرسل العلامة رفيق العظم ، الى جرجي زيدان (مايو ١٨٩٩) يؤاخذه على اغفاله الاعتبارات التاريخية ويستنكر تأليف التاريخ الاسلامي برمته في قالب قصصي .

وهذه الملاحظة قد تكررت من الناقدين ، وقد انتقدوه في شأن هذه القصص وما أورد فيها من أخباره الكاذبة ، وثانيا نسب العشق والغرام الى رجال سلفنا الكرام ، وقد أشارت جريدة المؤيد الى ذلك في التعليق على قصة (الحجاج بن يوسف) فقالت : الحوادث الغرامية لم تسند الى احد من رجال السلف العظام والائمة الذين يجلون عن هذه الانحرافات ، هذا فضلا عن الاخطاء في الامور التاريخية المشهورة .





الفن القصصي في القرآن الكريم

● منهج المسلمين هو منهج العلم والعقل
● أخطر من يحكم في مسألة الجاهل بتفاصيلها

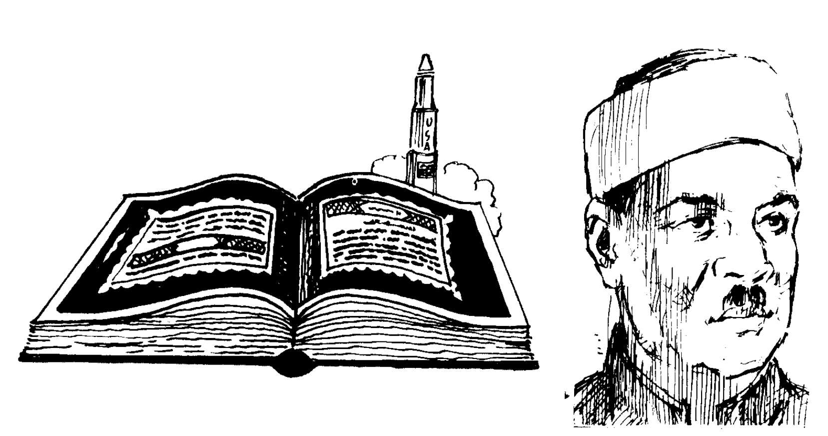
يقول الأستاذ أحمد الشايب ، في دراسة عن حياته العلمية (١٩١٣ - ١٩٧٠) : أشير في ايجاز الى هذه المعركة العلمية التي دارت في كلية الآداب ، عام ١٩٤٧م حول مشروع رسالة (الفن القصصي في القرآن الكريم) ، تقدم به طالب يدعى محمد أحمد خلف الله ، باشراف الاستاذ الشيخ أمين الخولي ، وتأييده والدفاع عنه .

وقد قام هذا المشروع على أساس أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - مؤلف القرآن ، وان القرآن في قصصه لم يتحر الصدق ، وانه كان يغير ويبدل في القصص نزولا على ظروفه الخاصة ، التي كانت تحيط بالدعوة الاسلامية ، وان محمدا - صلى الله عليه وسلم - في القصص القرآني الكريم كان يخلق من الحوادث مالم يقع ، ويصوره على أنه الواقع التاريخي ، الى نحو ذلك مما لم يستند الى برهان علمي ، وانما كان مجاراة للمبشرين .

وقد شغلت هذه المسألة الجهات الجامعية والأزهرية والبرلمانية ، والصحافة ومجلس الدولة ، وقد رفض أحمد الشايب هذا المشروع اذ كان معينا لفحصه ، وبرأيه أخذت كل الهيئات المذكورة وقد أبعد أصحابه عن الجامعة .

الكفر : أول الكلام

هذا هو ملخص كتاب «الفن القصصي في القرآن» الذي يقول كاتبه بالنص في الرسالة ، والتي تمثل الخطوط العامة لرسالته : «ان القصص القرآني لم يراع الحقيقة التاريخية ، وان المقصود منه عرض فني ، فلسنا ملزمين بتصديق حقائق هذا القصص ، وانما نقدر فيه «الغاية الفنية» وان



■ امين الخولي .

القصص مستمدة من مصادر أخرى غير عربية ، كالتوراة والأدب اليوناني والأدب الفارسي ، وان فيه أساطير لا أساس لها .

عمل فني وليس وحيا

ويقول تقرير الفاحصين للرسالة من أساتذة الجامعة والأزهر (الشيخ عبد الوهاب خلاف ، والدكتور زكي حسن ، والدكتور الشرقاوي) ..

ان أساس هذه الرسالة ان القصص في القرآن عمل فني ، خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار ، من غير التزام الصدق التاريخي والواقعة ، وهذا صريح وواضح من جملة مواضع في الرسالة : وقد أيده الكاتب بما استشهد به من الأمثلة .

ففي (ص ٢٦ سطر ١٠) قرر : ان القرآن «انطق اليهود بما لم ينطقوا به» ، وذلك في قوله تعالى في سورة النساء (وقولهم انا قتلنا المسيح) ، وص٢٦ قرر كاتب الرسالة عن قوله تعالى في سورة المائدة : (واذ قال الله يا عيسى بن مريم (الآية) ان هذا القول وهذا الحوار تصوير لموقف لم يحدث بعد ، بل لعله لن يحدث ، و(في ص٨٩) قرر الكاتب ان قصة موسى عليه السلام في سورة الكهف لم تعتمد على أصل في واقع الحياة وفي هذا مخالفة ظاهرة لقوله تعالى : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) ولقوله سبحانه وتعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى) وقد واجه هذه الشبهات سبعة من العلماء بالكشف عن زيفها وفسادها .

أولا : رأي الشيخ عبد المتعال الصعيدي

صاحب هذه الرسالة لم يكن له ان يطفر الى الكتابة عن موضوع القرآن ، وهو يجهل تعريف التناقض في المنطق ، ويبني على جهله به حكما خطيرا في قصة ابراهيم عليه السلام ، وهو يدل على مستوى صاحب الرسالة في العلم ، وعلى انه جرى في رسالته على هذا المنوال فقذف نفسه في بحر لا يحسن السباحة فيه ، ولم يخض فيه فحول العلماء وأكابر الحكماء ، من الطبري الى الزمخشري الى الرازي ، الى أمثالهم في علمهم وحكمتهم .

وقد ذكر الاستاذ أحمد أمين : ان صاحب الرسالة يرى أن القصة في التاريخ لا تلتزم الصدق

التاريخي وانما تتجه كما يتجه الأدب الى تصوير الحادثة ، تصويرا فنيا ، بدليل التناقض في رواية الخبر الواحد ، مثل : ان البشري كانت لابراهيم أو لامرأته ، فدعوى هذا التناقض ، تدل على أن صاحب هذه الرسالة لا يعرف تعريف (التناقض) ، وعلى أنه سار في رسالته بهذا العلم الذي لا يزال في طور الطفولة ، فضل الصواب وخبط خبط عشواء ، والقرآن أجل من أن يتناول بمثل هذا العلم العاجز ، وأخطر من أن يحكم في مسائله من لا يزال يجهل تعريف التناقض .

بشارة ابراهيم

ولقد قال الله تعالى في البشرى بهذا الغلام : (وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) الآية ٧١ من سور هود . وفي هذه الآية كانت البشرى لسارة امرأة ابراهيم عليه السلام ، ثم ان الله تعالى في هذه البشرى (قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم) الآية ٥٣ من سورة الحجر ، وقال : (فبشرناه بغلام حليم) الآية ١٠١ من سورة الصافات ، وكانت البشرى في الآيتين لابراهيم عليه السلام ، فهل تبشير سارة مرة بهذا الغلام ، وتبشير ابراهيم مرة به ، من التناقض الذي يصح ان تضرب به قصة ابراهيم مثلا ، للقصة التي لا يلتزم فيها الصدق التاريخي .

التناقض المزعوم

اللهم لا .. لأن التناقض اختلاف قضيتين في الايجاب والسلب ، اختلافا يلزم لذاته من صدق احدى القضيتين كذب الأخرى ، فلا بد فيه من الاختلاف في الايجاب والسلب ، ولا بد فيه من الاتحاد في الموضوع والمحمول وقيودهما .

ليس في هذه القصة اختلاف في قضية البشرى من جهة الايجاب والسلب ، فلا يكون التناقض الذي يلزم فيه صدق احدى القضيتين وكذب الاخرى .

وانما الذي كان أن كلا من ابراهيم وامرأته يبشر بهذا الغلام ، وقد تكررت هذه القصة في هذه السور فذكرت في بعضها بشرى ابراهيم به ، وذكرت في بعضها بشرى امرأته به ، تنويعا في الاسلوب وتصريفا في القصة لمقامات تقتضي التنويع وتستدعي ذلك التعريف .

الاسطورة والمثل وقصص الانبياء

صاحب الرسالة لا يفرق بين القصص الذي نص القرآن على وقوعها ، وبين الأمثال التي يجوز فيها الوقوع وعدمه . وهي أمثال لا أساطير وقد ورد كثير منها في القرآن أيضا ، ولكن صاحب الرسالة لم يرزق قوة التمييز بينها ، فخبط فيها خبط عشواء ، وسقط سقوط من يتناول ما فوق طاقته .

لقد ذكر الله تبارك وتعالى قصة مريم في سورة آل عمران ثم قال فيما ذكره منها (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) (الآية ٤٤ من سورة آل عمران) وهذا نص قاطع على وقوع هذه القصة .

وذكر قصة نوح في سورة هود ، ثم ختمها بقوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) فجعل تلك الانباء وهي من الغيب من دلائل نبوته – صلى الله عليه وسلم – ولا يصح الاستدلال بها على نبوته الا اذا كانت صحيحة .

وذكر قصة يوسف في سورة يوسف ثم ختمها بقوله تعالى : (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم إذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وهذا نص قاطع على وقوع القصة ، وهكذا اعتبر هذه القصص من قصص الانبياء ونحوها .

أمثال قرآنية

وهناك أمثال يضربها الله تعالى للناس كقوله تعالى : «ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون» الآية ٧٥ من سورة النحل .

فهذا مثل لا يلزم أن يكون واقعا وكذلك ما أشبهه في أمثال القرآن ، وقد فات صاحب الرسالة الفرق بين هذين الاسلوبين ، فأساء الى نفسه وأساء الى عمله .

ثانيا رأى الاستاذ أحمد أمين في الرسالة

هذه الرسالة ليست عادية بل رسالة خطيرة ، أساسها : ان القصص القرآني عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار ، من غير التزام لصدق التاريخ والواقع ، وان محمدا – صلى الله عليه وسلم – فنان ، وبهذا المعنى يرى المؤلف ان القصة في القرآن لا تلتزم الصدق التاريخي ، وانها تتجه كما يتجه الأدب في تصوير الحادثة تصويرا فنيا ، بدليل التناقض في رواية الخبر الواحد ..

١ – مثل ان البشرى بالغلام كانت لابراهيم وامرأته .

٢ – القصة مخلوقة : مثل (اذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت) الآية .

٣ – والاجابة عن الأسئلة التي كان يوجهها المشركون للنبي – صلى الله عليه وسلم – ليست تاريخية ولا واقعة ، وانما هي لتصوير واقع نفسي عن أحداث مضت في القدم سواء أكان ذلك الواقع النفسي متفقا مع الحق والواقع أم مخالفا له .

هل أخطأ المفسرون

٤ – وربما كانت مسألة الجن ، التي تصور رأي الجاهلية في تسمع الجن لأخبار السماء ميدانا من الميدان القصصي ، والقرآن يقرر ان الجن تعلم بعض الشيء ، ثم لما تقدم الزمن قرر القرآن أنهم لا يعلمون شيئا ، والمفسرون يخطؤون حين يأخذون الأمر مأخذ الجد .

٥ – الانبياء أبطال «ولدوا في البيئة وتأدبوا بآدابها وخالطوا الأهل والعشيرة وقلدوهم في كل ما يقال ويفعل ، وآمنوا بما تؤمن به البيئة من عقيدة ودانوا بما تدين به من رأي وعبدوا ما تعبد من آلهة» .

٦ – تصوير أخلاق الأمم كبني اسرائيل ليس بضروري أن يكون واقعيا ، بل يصح أن يكون تصويرا فنيا يلاحظ الواقع النفسي أكثر من صدق القضايا .

بين الواقع والخيال

٧ – القصة هي العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيل القاص لحوادث وقعت من بطل لا وجود له أو لبطل له وجود ولكن الحوادث التي ألمت به لم تقع أصلا ، أو وقعت ولكنها نظمت على أساس فني ، اذ قدم بعضها وأخر بعضها ، أو حذف بعضها وأضيف الى الباقي بعض آخر أو بولغ في تصويرها ، الى حد يخرج بالشخصية التاريخية عن ان تكون حقيقية الى ما يجعلها في عداد الاشخاص الخيالية . وهذا قصدنا من الدراسة القرآنية .

٨ – اخطأ الاقدمون في عد القصص تاريخا .

٩ – منهجه هو معالجة القصة من حيث هي أدب ، ويعني بذلك خلق الصور والابتكار والاختراع .

١٠ – لذلك لا مانع من اختلاف تصوير الشخصية الواحدة في القرآن .

١١ – لعل قصة موسى في سورة الكهف لم تعتمد على أصل من واقع الحياة ، بل ابتدعت على غير أساس من التاريخ .
١٢ – القرآن عمد الى بعض التاريخ الشعبي للعرب ، وأهل الكتاب ، ونشره نشرا يدعم غرضه كقصة ذي القرنين ؟؟!!
١٣ – قصة ابليس من نوع الخلق الفني الذي يتشبث فيه القرآن بالواقع .
١٤ – عناصر القصة هي العناصر الفنية والأدبية ، التي اتخذ منها الفنان مادته التركيبية والتي أعمل فيها خياله وسلط عقله ونالها بالتغيير والتبديل ، حتى أصبحت وكأنها مادة جديدة بما بث فيها من روحه وكذلك القصص في القرآن والبحث عن المصادر في القصص القرآني على هذا الأساس .
١٥ – يجب الا يزعجنا هذا لأنه الواقع العملي في حياة كل الفنون والآداب .
١٦ – إن القرآن كان يغير من العناصر ليجعلها ملائمة للبيئة ولطبيعة الدعوة .
١٧ – ومـا تمسك به الباحثون من المستشرقين ليس سببه جهل محمد – صلى الله عليه وسلم – بالتاريخ ، بل قد يكون ذلك من عمل الفنان ، الذي لا يعنيه الواقع التاريخي ، ولا الحرص على الصـدق العقـلي ، وانمـا ينتج عمله ويبرز صوره بما يملك من الموهبة والقدرة على الابتكار والاختراع والتغيير والتبديل .
١٨ – ومن هذا القبيل خلق صور الجن والملائكة .
١٩ – تدرج القصص في القرآن كما يتدرج أدب كل أديب ، فالأدباء يلتمسون المتعة واللذة في كل أمر فني يعرض لهم ، ثم يتقدمون خطوة فيتبعون الاستمتاع واللذة بالمحاولات التي تقوم على التقليـد والمحـاكـاة ، ثم يكون التخلف شيئا فشيئا ، والدخول في ميدان التجارب الخاصة ومظاهر ذلك النسخ والتدرج بالتشريع .

ثالثا رأي الاستاذ عبد الفتاح بدوي

يدعي المؤلف ان الاستاذ محمد عبده قال : ان القرآن الكريم ليس كتابا أنزل للتاريخ وضبط الوقائع وترتيب الحوادث التاريخية بعضها على بعض ، ولكنه بالاجماع يستخدم التاريخ ويقص من هذا التاريخ حقائق واقعة ثابتة ، مرتبا بعضها ترتيبا لا استنتاج فيه ، كما يستنتج المؤرخ ، ولكن ترتيب الحق والواقع وينزل بذلك الواقع المرتب ترتيب الحقائق لهداية الناس وارشادهم الى الخير والفلاح .

بين القرآن وكتب التاريخ

فالقرآن يخالف كتب التاريخ في أمور ، ويوافقها في أمور ، فالمؤرخ قد يرى من واجبه أن يتتبع تفاصيل الواقعة من الاسماء والزمان والمكان والاحداث ، وتفاصيلها ، لأن هذا كله قد يعينه على استنتاج الحكم التاريخي الذي يحكم به على الواقعة ، أو يشبع به صم العواطف فقد لا يعنيه بعض **هذا ، لأنه لا يستنتج الاحكام التاريخية** ، ولكنه الفيصل فيها .

انه يرتب المقدمات ترتيبا يقينيا ، لا شك فيه : (ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة **يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) فالقرآن مصدر من مصادر التاريخ ، وليس كتابا من التاريخ** .

الكذب على القرآن والعلماء

يقل المؤلف : (على ان هذه المسألة قديمة ، ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآني من المتشابه ، ولقد نتج عن ذلك طريقتان : طريقة السلف وطريقة الخلف . أما الأولون فيذهبون الى ان كل ما ورد في القصص القرآني من أحداث قد وقع ، وأما الآخرون فلا يلتزمون هذا وعلى طريقتهم جرى الاستاذ الامام) .

وهذا الذي يقوله المؤلف : جرأة أخرى على الأصوليين ، وتقول مفترى على الامام محمد عبده . فلسنا نعرف أحدا من الأصوليين ولا أحدا من المسلمين يعتبر القصص القرآني متشابها ، ولا نعرف أحدا من الأصوليين ولا المسلمين لا يلتزم بما ورد في القرآن من القصص ، وانما هي أحداث وقعت وحوادث هي خلاصة الحقيقة التي وقعت في سوالف الأزمان ، يسوقها القرآن عبرة وهدى للعالمين ، وليدلنا المؤلف على أصولي لا يقول هذا ، أو عن مسلم لا يقول هذا .

وكلام المؤلف افتراء على الاستاذ الامام يكذبه قول الامام ومنهجه الذي اختطه لنفسه في صراحة لا شبهة فيها ولا اختلاط .

قال الامام :

اذا جاء في نصوص الكتاب والسنة شيء ينافي ظاهره التنزيه (لله تعالى) فللمسلمين فيه طريقتان : احداهما طريقة السلف ، وهي التنزيه الذي أيد العقل فيه النقل ، كقوله تعالى (ليس كمثله شيء) ، وقوله عز وجل (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وتفويض الأمر الى الله في فهم حقيقة ذلك ، مع العلم بأن الله يعلمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به في اخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا .

والثانية : طريقة الخلف وهي التأويل : يقولون ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على أساس العقل ، فلا يخرج شيء منها عن المعقول ، فاذا جزم العقل بشيء ، وورد في النقل خلافه يكون الحكم القاطع قرينة على ان النقل لا يُراد به ظاهره ، ولا بد من معنى موافق يحمل عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل .

وقال الامام : واننا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض ، فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ، وعالم الغيب ، وأنا نسير في فهم الآيات على كلتا الطريقتين .

فالاستاذ الامام لم يقل ان القصص من المتشابه ، ولم يقل بذلك مسلم قبله ولا بعده .

جهل الباحث

التهمة الأولى الموجهة الى الباحث : انه يجهل المقررات المنطقية التي تجمع عليها العقول . التهمة الثانية : انه جهل المنهج الذي يدرس عليه القرآن الكريم . فالقرآن الكريم يدرس على منهجين :

المنهج الأول :

منهج الباطنية وهم فرقة من الملاحدة يعطلون ألفاظ القرآن عن مدلولاتها ، ويسلكون بها سبلا تخيلية وهمية ، توصلا بذلك الى تعطيل الشريعة الغراء ، فهم يدعون للالفاظ أو للجمل مرادا عاما لا ينبني على أسس علمية ، وهؤلاء كفار ، والجري على طريقتهم كفر وجهالة لأن مذهبهم هذا مجرد دعاوي لا تنبني على شيء من العلم ، فهم يقولون مثلا في تفسير قول الله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا

الزكاة واركعوا مع الراكعين) استقيموا لله وطهروا أنفسكم بالاخلاق الحسنة ، وكونوا خاضعين ، وليست هناك صلاة شرعية ولا زكاة شرعية ولا سجود ولا ركوع .

المنهج الثاني

منهج المسلمين ، وهو منهج العلم والعقل الذي تقوم عليه نواحي الحياة كلها ، وليس القرآن وحده ، ذلك ان الكلام يجب أن يكون لالفاظه مدلولات حقيقية تنصرف اليها تلك الألفاظ ولا يعدل عنها الا اذا وجدت قرينة تمنع من ارادة تلك المدلولات الحقيقية .

فأما ترك تلك المدلولات الحقيقية ، مع عدم وجود تلك القرينة ، التي تمنع من ارادة الحقيقة فانما هو في غير طريق القرآن خبل وجهالة .

خبل وجهالة وزندقة

واذا ادعي شيء من ذلك في مقام القرآن فهو خبالة وجهالة وزندقة ، يخرج بها صاحبها من عداد المسلمين ، لأنها تعطيل لكلام الله تعالى الذي أنزل لهداية البشر أجمعين . ومن المسلمين من يقف عند هذا الحد لا يتعداه ، بل يحمل الكلام على الحقيقة ماأمكنه ذلك ، ثم على المجاز الذي تدل عليه القرينة عند وجودها ، ولا يقولون ان القرآن يشير من وراء هذه الحقيقة أو هذا المجاز الى شيء من باب الاشارة والايماء ، لأن هذه الاشارة وهذا الايماء ، لا تدل الالفاظ عليه .

والباطنية لا يعتبرون الله (جل جلاله) ذاتا ، ولا الملائكة موجودات ، ولا الجنة شيئا ، ولا أبليس حقيقة ، وانما يقولون في ذلك كله ما يقوله المؤلف من أن القرآن في ذلك لم يتشبث بالواقع .

سلوك المدلسين

ولقد حاولت ان التمس بعض المعاذير ولو أوهاها في التورط فيما تورط فيه ، فمنعني سلوكه وحالت بيني وبين ذلك خلائقه ، ذلك انني وجدته مدلسا في النقل ، خائنا للأمانة العلمية ، فهو يكذب في النقل أو يبتر المنقول ولا يتمه ، بل يخفى منه ما يبين المراد منه ، تمويها للحقيقة والباسا على الناس .

مثال من التدليس

ومن ذلك ما نقله عن الرازي «محرفا» في رسالته ، فالفخر الرازي ليس فيه شيء مطلقا لا من قريب ولا من بعيد مما نسبه اليه المؤلف فرية واختلاقا . ولعل عند المؤلف أو الذي كان يشرف معه على رسالته ، نسخ خطية خاصة من كتاب الفخر الرازي ، عملت لهما فقط ، وخط لهما فيها ما يشاءان . ماهذا ياأستاذ وماهذه الخيانة في العلم .

كما أورد الاستاذ عبد الفتاح بدوي مثالا للبتر في النقل ، نقل منه المؤلف أيضا من الفخر الرازي ولم يتمه فجاء الناقد بالجزء الباقي ، وهو يغير مفهوم ماأخذه تغييرا كاملا ، ثم قال : وكلام الرازي صريح في ان القرآن لا يذكر القصة لأنه كتاب تاريخ ، بل يذكرها لما في ذكرها من الفوائد التي ذكرها .

وكلام الفخر الرازي صريح في ان القرآن لم يحرف في القصص ولم يغير وكان ذلك دليلا على انه بوحي من الله ، أما دعوى المؤلف فهي ان القصص القرآني لا يثبت بالواقع ، واذن فلا بد له من التدليس في النقل ، ليوهم القارىء ان للكلام الذي يقوله المؤلف أصلا في كلام السابقين .

وبذلك صارت صفات المؤلف ثلاث : (الجهل والكذب والخيانة) .

كتاب الفن القصصي
جهل .. وفساد

● صاحب الكتاب يعتبر القرآن فنيا يخضع لمعايير البشر الفنيــة . ومعــايــير البشر الفنية لاتتقيد بالصدق . أما القرآن فهو صادق لأنه كلام الله .

كان لصدور هذا الكتاب عام ١٩٤٧ ضجة كبرى ، وقد تناوله الكثيرون بالنقد ، وعارضه كثير من العلماء ، وكشفوا زيفه .

وقد قدمنا في الحلقة الأولى آراء الاساتذة عبد المتعال الصعيدي ، أحمد أمين ، عبد الفتاح بدوى حول الكتاب .

ونقدم في هذه الحلقة آراء الاساتذة محمد أحمد الغمراوي ، أحمد الشايب ، محب الدين الخطيب ، محمود شلتوت .

ومما يذكر أنه حدث إشكال في اقرار اجازة الدكتوراة له ، وقرر مجلس الجامعة ضرورة ان يثبت في مقدمة الكتاب عند طبعه هذا الاشكال ، الذي يوحى باعتراض هذا المجلس ، وقد صدرت الطبعة الأولى متضمنة ذلك ثم رفعت في الطبعات التالية .

(٤) الاستاذ محمد أحمد الغمراوي :

كل من تعود البحث العلمي وعرف ما في القرآن الكريم واطلع على كتاب الفن القصصي لا يشك في انــه بعيد كل البعد عن التفكير العلمي ، لما فيه من خبط وخلط كثير ، جرى فيه صاحبه خلف قساوسة المستشرقين أمثال روديل ومرجليوث حتى بلغ به الأمر انه لم يدرك ما هنالك من تناقض ، بين نسبة القرآن الى الحق تبارك وتعالى ، والحكم على قصص القرآن الكريم : ان أكثره غير صحيح .

واذا كان البعض لا يرى في هذا الحكم كفرا ولا شبه كفر فلعله يرى على الاقل انه تفكير يؤدي الى جواز الجهل والكذب على الله (جل شأنه) وهو تفكير لا يمكن بوجه من الوجوه ، أن يمت الى التفكير الصحيح .

انه تفكير لا يستقيم الا على فرض أن القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم لا من عند الله ، كما يقول قساوسة المستشرقين .

(٥) الاستاذ أحمد الشايب :

ان مشروع الرســالة حين تقدم الى كلية الآداب سنة ١٩٤٧ رفضت لجنة الفحص تقديمه للمنــاقشــة وأسقطته لأسباب دينية خلقية ، ويكفي أن أشير بغاية الايجاز الى أن الرسالة تقيس

القصص القرآني بمقاييس ليست وثيقة ولا مقررة ، فان خالف القرآن تلك المقاييس كان عند أصحابها كذبا وافتراء على التاريخ ، أو كان نوعا من ذلك الفن الأدبي الذي لا يلتزم بالواقع التاريخي ولا الصدق العقلي ، وانما يخضع في تأليفه لهذه الحرية الفنية .. التي يخضع لها كل فنان موهوب .

وتطبيقا لهذه القاعدة صار القرآن الكريم (في رأي صاحب الرسالة) : يتقول على اليهود وينطقهم بما لم ينطقوا به ، ويتقول أمورا لن تحدث ، ويقرر أمرا خرافيا أو اسطوريا . ثم يعود فيقرر نقيضه ، ويغير الواقع ويبدل ، ويزيد وينقص بحكم هذه الحرية الفنية .

وهكذا كانت صورة موسى ، في سورة الكهف ليس لها أصل تاريخي أو اسطوري ، والاجابة على الأسئلة التي كان يوجهها المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم ليست تاريخية ولا واقعية .

وقصة إبليس مع آدم من الخلق الفني ، الذي لم يتشبث فيه القرآن بالواقع ، ومصادر القصص القرآني هي : التوراة والانجيل والأقاصيص الشعبية ، وما امتزج بها من عناصر فارسية واسرائيلية .

وأن ما تمسك به المستشرقون ، على انه من اخطاء محمد صلى الله عليه وسلم الناتجة عن جهله بالتاريخ ليس بذى بال .

مدحه أم ذمه ؟؟:

ذلك لأن المسألة تعلل بأكثر من سبب ، فقد يكون ذلك من عمل الفنان الذي لا يعنيه الواقع التاريخي ولا الحرص على الصدق العقلي ، وانما ينتج عمله ويبرر صوره ويوحى بما يشاء بقدرته على الابتكار والاختراع والتغيير والتبديل ، ثم يدعى - صاحب الرسالة - كذبا وجهلا ، على أمثال الزمخشري والفخر الرازي ومحمد عبده انهم قالوا بما يؤيد هذا الهراء الجاهلي الضال .

السنهورى وشلتوت :

ثم يطلب السيد عبد الرزاق السنهوري - وزير المعارف جينذاك - الى الشيخ محمود شلتوت رحمه الله ، فحص هذه الرسالة ، وكتابة تقرير عنها ، فاذا بهذا التقرير يدمغها بالكفر والجهل والفساد لأنها قامت على أسس فاسدة وانها غارقة في تكذيب القرآن ، وان كاتبها افترى على العلماء ، وانه جاهل لا يفهم النصوص وختم تقريره : بأن تطهر الجامعة من هذه الدراسة التي تناف الحرية العلمية وتنتهي الى الفوضى ، وتهدم الأصول الاسلامية في هذا البلد الاسلامي .

كما افتى أكثر من مائة عالم ازهرى في طائفة كثيرة من نصوص هذه الرسالة بأنها مكفرة تخرج بها صاحبها عن الدين الاسلامي .

الكتاب الموجود الآن :

ثم نسأل : هل هذه الصورة المطبوعة الآن هي مطابقة لذلك الأصل الذي قدم الى لجنة الفحص بكلية الآداب عام ١٩٤٧ . والواقع ان هذه الصورة المطبوعة ليست مطابقة لذلك الأصل أولا ، ثم هي صورة لا تزال جاهلة ضالة فاسدة ثانيا .

أما (أولا) فأين هي هذه القصة المنشورة ، ما قيل في الأصل عن مصادر القرآن ، وأين ما قيل عن قصة موسى في سورة الكهف وما قيل مما يفيد أن محمدا صلى الله عليه وسلم فنان هذا القرآن وصاحبه واما أنه من عمل الذي لا يعنيه الواقع التاريخي والصدق العقلي وانما يغير ويبدل ويزيد ويخترع لأنه فنان موهوب ، وكيف حرفت عبارة تدل على أن القرآن يتشبث بالواقع في قصة إبليس وآدم ، وكيف اضطرب الأمر أمام الاسطورة والأساطير ، بعدما قال الاقدمون إن الاساطير كذب

● رأي صاحب القصص الفني يجيز الجهل والكذب على الله ، تعالى الله عن ذلك .

وبهتان لم ينزل به وحي ، إلى غير ذلك مما يثبت التزوير والتضليل .

أما (ثانيا) ، فلا يزال القرآن – في هذه الصورة المنشورة – يتقول على اليهود ويتقول ما لم يحدث ويحكى غير الواقع .

وحين يقول القرآن الكريم (لَقَد كانَ في قَصَصِهم عِبْرة لأولى الألباب مَا كَان حَديثا يفترى) تتوقف هذه الصورة المنشورة أمام هذا النص الحاسم ، الذي يقطع بأن قصص الرسل غير كاذب ولا مفترى .

ونقول : ولا يصح لمعترض أن يعترض على أن في الاقاصيص القرآنية مخالفة للحق والواقع ، أو مخالفات التاريخ – الى غير ذلك – ما هو آخذ بآفاقها .

جرأة على الله وكتابه :

وأحب أن أشير هنا الى أن ما ورد في هذه الصورة المطبوعة عن قول الله تعالى عن اليهود (وقولهم إنا قتلنا المَسِيح عيسى ابن مَرْيم رَسُول اللَّه) يقول كاتب الرسالة بالحرف الواحد «فليس من شك أن اليهود ينكرون رسالة عيسى ومن أجل ذلك قتلوه فهم لم يقولوا هذا القول وإنما انطقهم القرآن . ويدعي أن عبارة (رسول الله) إما أنها من قول اليهود سخرية واما من قول الله تعالى بيانا للواقع وإكبارا لعيسى عليه السلام ، وهذا ما أراده صاحب الكشاف وإن لم يفهمه أصحاب الرسالة (خلف الله وأمين الخولي) .

ماذا قال جار الله الزمخشري ؟

ومن الخير لهم أن يرجعوا الى (الكشاف) في هذه الآية ليعرفوا أن الزمخشري يقول في بيان ذلك : قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون (إن رَسُولكُم الذي أرسلَ إليكُم لَمجنون) ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به ، وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله : (لَيَقُولنَّ خَلقَهُن العزيزُ العَليم ، الذي جَعَل لَكُم الأرضَ مهداً) .

وواضح أن صاحب الكشاف يريد أن الله يضع الذكر الحسن ، على أنه من قوله تعالى ، لا على أنه من قول اليهود ، يفعل ذلك أثناء حكاية قصصهم ومجادلتهم ، وإذا أرادوا زيادة الايضاح فليرجعوا الى ما قاله الزمخشري نفسه في تفسير هذه الآية : (ليقُولُنَّ خَلَقهُنَّ العَزيزُ العليمُ) من سورة الزخرف لعلهم يعلمون من هذه المقايسة ما يريد صاحب الكشاف أن يقوله في تفسير آية النساء .

افتراء على الشيخ محمد عبده :

كذلك يقولون – وهم على سبيل الدفاع عن الرسالة – على الاستاذ محمد عبده : انه يجرى على طريقة الخلف ، ازاء القول في القصص القرآني ، فيكذبهم الشيخ محمد عبده نفسه ، حيث يقول (وانا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض) وذلك بصدد القول في قصة الخليقة .

وتقولوا على الشيخ محمد عبده أنه قال : إن القرآن لا يلتزم حدود التاريخ ، وذلك في تفسير قوله تعالى : (ألم تَرَ إلى الذين خَرجوا منْ ديارهِم) الآية ولكن الشيخ محمد عبده لم يقل ذلك ولم يعلنه

في الرواق العباسي كما ادعوا عليه ، فليرجعوا الى تفسير المنار لعلهم يعلمون ما قاله بل لعلهم يفهمون ما قبل ذلك .

وفي ذلك قول الشيخ شلتوت : إن القصص القرآني من المتشابه بهذا المعنى الذي يجري فيه التـأويل والتفويض . أما موقفهم من الفخر الرازي فقد سبق أن بينه الشيخ عبد الفتاح بدوى ، وبيناه في الحلقة السابقة .

(٦) السيد محب الدين الخطيب :

فيما ذهب اليه المؤلف في هذه الرسالة تلميح بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في أن القرآن موحى به اليـه من الله عز وجل . وزعم انه من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم وأن ما فيه من القصص عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار ، من غير التزام بصدق التاريخ .

«والواقع أن محمدا صلى الله عليه وسلم فنان بهذا المعنى ، وأن الانبياء أبطال ولدوا في البيئة وتأدبوا بأدبها ، وخالطوا الأهل والعشيرة وقلدوهم في كل ما يقال ويفعل . وآمنوا بما تؤمن به البيئة من عقيدة ودانوا بما تدين به من رأي وعبدوا ما تعبد من اله» . هذا ما ذهب اليه المؤلف وهو كذب .

كما زعم ان القرآن متناقض ، فكان يقرر أولا أن الجن تعلم بعض الشىء ثم لما تقدم الزمن قرر انهم لا يعلمون شيئا ، وان قصة موسى في سورة الكهف لم تعتمد على أصل من واقع الحياة ، بل ابتدعت على غير أساس من التاريخ .

ويمن محمد أحمد خلف الله على الاسلام ، بأنه دافع عنه بقوله : ان ما تمسك به الباحثون من المستشرقين ، ليس سببه جهل محمد صلى الله عليه وسلم بالتاريخ بل قد يكون ذلك من عمل الفنان الذي لا يعنيه الواقع التاريخي ولا الحرص على الصدق العقلي . والواقع أن هذا الكلام فرية لا تقل عن خلط المستشرقين .

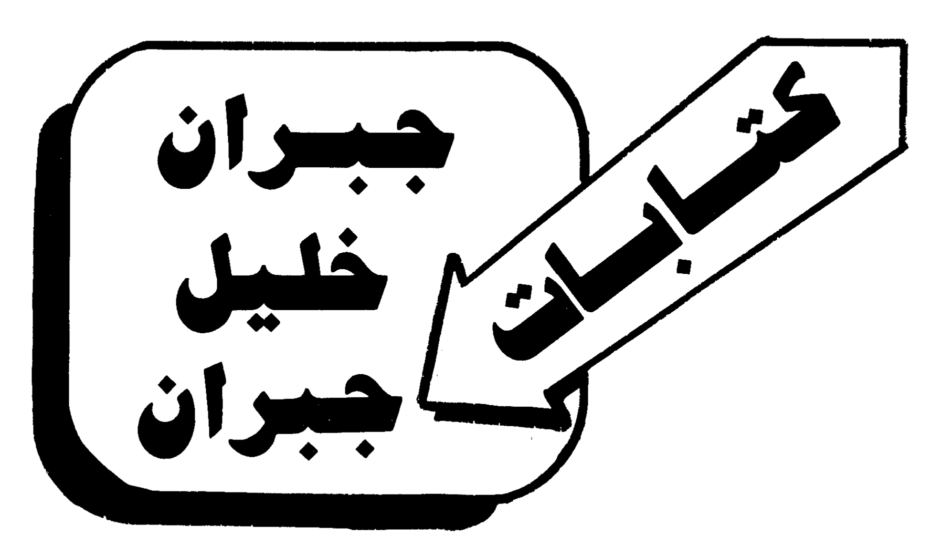
(٧) الشيخ محمود شلتوت :

هذه الرسالة تقيس القصص القرآني بمقاييس ليست دقيقة ولا مقررة ، فإن خالف القرآن تلك المقاييس كان عند أصحابها كذبا وافتراء على التاريخ ، أو كان نوعا من ذلك الفن الأدبي الذي لا يلتزم الواقع التاريخي ولا الصدق العقلي ، وانما يخضع في تأليفه لهذه الحرية الفنية التي يخضع لها كل فنان موهوب ، وطبقا لهذه القاعدة : صار القرآن في هذه الرسالة يتقول على اليهود وينطقهم بما لم ينطقوا به ، ويتقول أمورا لن تحدث ، ويقرر أمرا خرافيا أو اسطوريا ثم يعود فيقرر نقيضه ويغير الواقع ويبدل ويزيد وينقص بحكم هذه الحرية الفنية .

وهكذا كانت قصة موسى في سورة الكهف ليس لها أساس تاريخي ، ولا أسطوري ، والاجابة عن الاسئلة التي يوجهها المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم ليست تاريخية ولا واقعية .

وقصة ابليس مع آدم من الخلق الفني الذي لم يتشبث فيه القرآن بالواقع ، ومصادر القصص القرآني هي التوراة والانجيل والاقاصيص الشعبية ، وما امتزج بها من عناصر فارسية واسرائيلية . وان ما تمسك به المستشرقون على أنه من أخطاء محمد الناتجة عن جهله بالتاريخ ليس بذى بال ، والادعاء على الزمخشرى والفخر الرازي ومحمد عبده انهم قالوا بما يؤيد هذا الهراء .

نشرت تفصيلات هذه القضية في مجلات الرسالة والأزهر والفتح عام ١٩٤٧ كما تبادل السيد محب الدين الخطيب وأمين الخولي الحوار حول هذا الموضوع : محب الدين الخطيب في جريدة الاخوان المسلمون ، وأمين الخولي في اخبار اليوم وعندما أقر أمين الخولي بموافقته على كل ما جاء بالرسالة ، اجابه محب الدين الخطيب «والقى بنفسه وبصاحبه في النار» المجلة .



● أسلوب جبران : إباحي .. إقليمي .. فوضوي .. ملحد .. متطرف ..

● الكتابات المهجرية قائمة على الاباحية والتشكيك والتحلل

● المدارس المهجرية الشمالية ثمرة للارساليات التبشيرية

استشرى هذا اللون من الكتابات المهجرية وعرف بأدب الظلال والرموز والأضواء وجرت محاولات ضخمة لاذاعته واعلاء أمره لأنه يقوم على (الجملة التوراتية) وذلك في مواجهة (الجملة القرآنية) التي كان يحمل لواءها مصطفى لطفي المنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي ، كما كان في مضمونه قائما على الاباحية والتحلل والتشكيك في العقائد والنبوات ، ظهر ذلك في كتابات جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه وأمين الريحاني .

ولقد اعتمد الأدب المهجري على عناصر ستة :

أولا : الحملة العنيفة على اللغة والدين ومقومات المجتمع الاسلامي .

ثانيا : استمد المهجريون ، أسلوبهم في الشعر والكتابة النثرية ، من مذهب ويتمان واستمدوا مفاهيمهم من نيتشه ومذهب وحدة الوجود واللاادرية .

ثالثا : الثورة على الألوهية والافراط في الاباحية وادخالها مرحلة التصوف ومهاجمة القيم الاخلاقية في الحب والزواج .

رابعا : حاولوا تغيير قيم الأدب العربي بادخال أسلوب جديد مستغرب يصادم مفاهيم البلاغة

ويعلي عليها صيغة التوراة والمجاز الغربي .

خامسا : تغلبت عندهم النظرة العالمية المغرقة في الأممية والتبعية على النزعة الوطنية المناضلة في سبيل الحرية والقوة .

سادسا : الاسراف في الجانب الرومانسي الملىء بالظلال والحالم المهوم الرمزي المغرق في العاطفة والخيال المضاد لطابع النفس العربية المسلمة .

ثمرة للارساليات التبشيرية

ويمكن القول بأن المدرسة المهجرية الشمالية ، كانت ثمرة من ثمار الارساليات التبشيرية ، التي وردت لبنان وسيطرت على وجوه التعليم والثقافة فيه ، ثم كان لهذه الثمار اتصالها بالمدارس الغربية وخاصة مدرسة بوسطن التي اتخذها المهجريون مقرا لهم ، وهي من قديم مقر الارساليات التبشيرية في الولايات المتحدة ، فلما صدرت عن أدبها الجديد تلقفته أيدي دعاة الغزو الثقافي وعملت على اذاعته والدعوة اليه بوصفه لونا جديدا من ألوان الأدب العربي المتسم بالعنصرية والجرأة على القيم وذلك في مواجهة المدرسة العربية الاسلامية .

ولعل أصدق ما يمثله الأدب المهجري ما كتبه (جبران خليل جبران) نفسه عام ١٩١٩ بعد أربعة عشر عاما من بدء كتاباته عام ١٩٠٥ قال في خطاب له الى (اميل زيدان) : ان فكري لم يثمر غير الحصرم وشبكتي مابرحت مغمورة بالماء). ومن الحق ان اسلوب جبران قد بهر كثيرا من الشباب وسرى سريان النار في الهشيم ، ولكن سرعان ما انطفأ وفقد أثره ، وذلك لمصادمته للنفس العربية الاسلامية ، ومعارضته لمنهجها ، وتضاربه مع مزاجها النفسي والاجتماعي ، ذلك ان جبران كان اقليميا مغرقا في الاقليمية اباحيا مسرفا في الاباحية . وقد حاول في الكثير من نبراته محاكاة (مزامير داود) ونشيد سليمان وسفر أيوب ومراثي أرميا ، وتخيلات أشعيا ، حيث كان أسلوب التوراة هو المثال الأدبي الأول الذي تأثر به ، فقد حفلت كتاباته بمجموعة من الصور والتعبيرات التي استقاها من الأسفار ، فهو يقدم اشباه الجمل والظروف والأحوال ، ثم يمزج ذلك بعين وافد هو اسلوب (ولت ويتمان) الشاعر الامريكي .

كما أشار كثير من مترجمي سيرته الى انه بعد حرمان الكنيسة له وهو في العشرين من عمره ، على أثر قصيدته التي هاجم فيها الاديان ، اندفع في طريق أحياء امجاد فينيقية وحضارة الكلدانيين . وقد اشار في خطاب له من بوسطن عام ١٩٢٠ الى صديقه نخله الى هذا المعنى فقال :

ان القوم في سوريا يدعونني كافرا والأدباء في مصر ينتقدونني قائلين : هذا عدو الشرائع القديمة والروابط القديمة والتقاليد القديمة وهؤلاء الكتاب يا نخلة يقولون الحقيقة ، لأني بعد استفسار نفسي وجدتها تكره الشرائع .

مفاهيم منحرفة

بل لقد صور جبران مفاهيمه وانحرافاته في مقال مطول استهله على هذا النحو : «هو متطرف بمبادئه حتى الجنون» .

«هو خيالي يكتب ليفسد أخلاق الناشئة» .

«لو اتبع الرجال والنساء المتزوجون وغير المتزوجين آراء جبران في الزواج لتقوضت أركان العائلة وانهدمت مباني الجامعة البشرية وأصبح هذا العالم جحيما وسكانه شياطين» .

«قهرا عما في اسلوبه في الكتابة من الجمال فهو من اعداء الانسانية» .

«هو فوضوي كافر ملحد ، ونحن ننصح لسكان هذا الجيل المبارك بأن ينبذوا تعاليمه ويحرقوا

مؤلفاته لئلا يعلق منها شيء في نفوسهم» .

«وقد قرأنا له الأجنحة المتكسرة ، فوجدناها سما في الدسم» .

«هذا ما يقوله الناس عني وهم مصيبون فأنا متطرف حتى الجنون ، أميل الى الهدم ميلي الى البناء ، وفي قلبي كره لما يقدسه الناس ، وحب لما يأبونه ولو كان بامكاني استئصال عوائد البشر وعقـائـدهم وتقاليدهم لما ترددت دقيقة ، أما قول بعضهم ان كتاباتي (سم في دسم) فكلام يبين الحقيقة من وراء نقاب كثيف ، فالحقيقة العارية هي انني لا أمزج السم بالدسم ، بل اسكبه صرفا غير اني اسكبه في كؤوس نظيفة شفافة .

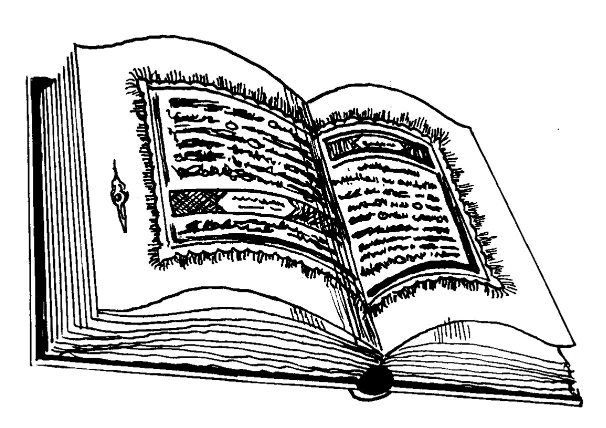
«اما الذين يعتذرون عني امام أنفسهم قائلين : «هو خيالي يسبح مرفرفا بين الغيوم ، فهم الذين يحدقون بلمعان تلك الكؤوس الشفافة ، منصرفين عما في داخلها من الشراب الذي يدعونه (سما) لأن معدهم الضعيفة لا تهضمه ، قد تدل هذه المواطأة على الوقاحة الخشنة ، ولكن ليست الوقـاحة بخشونتها أفضل من الخيانة بنعومتها ، ان الوقاحة تظهر نفسها بنفسها ، أما الخيانة فترتدي ملابس فصلت لغيرها» .

هذه الاعترافات الجبرانية تكشف بوضوح عن طابع غريب عن الأدب العربي وقيمه ومزاجه النفسي وانتمائه الاسلامي ، هو طابع دخيل مسرف في التحدي والتشويه وهو ليس في الأغلب طابع النفس المنحرفة التي حملها جبران ولكنه طابع الغزو الثقافي الذي يدفع جبران ويرسم من وراء ذلك أهدافا وغايات .

وسقط أدب جبران

ومع ذلك فقد سقط (أدب جبران) ولم يحقق النتائج التي عول عليها دعاة التغريب .

واذا رجعنا الى حياة جبران نفسه ، وجدنا تفسيرا واضحا لاتجاهاته الأدبية ، وقد عرض لهذه الحيـاة أصـدق أصدقائه – «ميخائيل نعيمه» في كتابه عنه ، كما أفاض في ذلك كل الذين أرَّخوا لحياته ، فقد كان أبوه ميَّالا الى حياة اللهو والشراب ، سكيرا مرحا ، وكانت أمه مريضة واخواته كن مرضى بنفس المرض الخبيث ، وانه بدأ حياته بقراءات بسيطة فحفظ (مزامير داود) ولم يستطب قواعد اللغة العربية من صرف ونحو ، ثم قصد الى بوسطن «١٨٩٥» دفعا لشقاء العيش وضيق ذات اليد مع أخيه واختيه (بطرس ومريانا وسلطانه) ، حيث تعلم اللغة الانجليزية واحتضنته الأيدي المتطلعة الى المشارقة الاغرار ، ولم يكن يعرف من العربية الا حروف الهجاء ، ولم يلبث أن عاد الى بيروت للتزود من اللغة ، قال جبران : «فأنا لا أكاد أعرف من لغة أجدادي الا ألفها وباءها ، ولا أعرف من بلادي غير مسقط رأسي ، ومن الضروري لي أن أدخل مدرسة في بيروت لاتعلم لغتي على الأقل» . ثم توجه جبران الى الأساطير والميثولوجيا ، وكانت التوراة في ترجمتها العربية هي المكون الأول لأسلوبه الكتابي ، وكانت التوراة قد ترجمت باللغة العامية ، فلما التزم بها المهجريون لم يستطيعوا اعطاء الاسلوب العـربي حقه من البلاغة ، ومن أجل قصورهم هذا هاجموا الاسلوب البليغ وماتت الأم وسلطانـة وبـطرس بنفس الداء ، وبقيت مريـانا تخيط الثياب لتطعمه . وكان جبران مريضا فقد تزاحمت عليـه الأمـراض وحملت رسـائله صراخـا عاليا منذ وقت مبكر في حسابه بما داهمه من الأمراض ، القلب يسارع في الوجيب ، تسمم في المعدة ، داء النقرس ، الانفاس تتفتق بها الرئتان ، ومثـل هذه الشخصية بتلك الوراثيات والتكوين الاجتماعي ، هي شخصية مهزوزة مريضة عقليا واجتماعيا وجسديا ، ولا تصلح بتكوينها ولا بعقائدها لأن تأخذ مكان الصدارة أو التوجيه فيه ، وانما هو الغرور الذي صور له عندما كتب كتابه (النبي) انه هو النبي نفسه وقد استنكر ميخائيل نعيمة : ان يصور جبران نفسه نبيا ولو تحت نقاب من التمويه الفني ، وليس يسع أحدا الا ان يستكثر هذا



الشطط ، غير أن حياة جبران تفسره وتجعله غير مستغرب من مثله وان كان في ذاته مما يستهين على حد تعبير المازني الذي يقول : «ان جبران كان يشعر في سريرته بنقص ويتمرد عليه» .

ومن اهتـزاز شخصيـة جبـران ، انه كان يدعي انه حاز شهادة الامتياز من كلية الفنون الفـرنسيـة وسمى عضوا في جمعية الفنون الفرنسية ، ونال عضوية الشرف في جمعية المصورين الانجليـزيـة ، بينمـا لم ينل شيئا من كل هذا ، ويرى ناقدوه أنه يناقض نفسه في الاعلان بهذه الاكاذيب ، بينما يدعى انه يكره التقاليد التي يحرص عليها الناس ، فاذا هو أشد منهم تهالكا ولما فتن بالفيلسـوف (نيتشه) ظهر هذا الافتتان في كتابه (النبي) ، الذي فيه اسلوب نيتشه في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) وقد بلغ أثر نيتشه في نفسه انه صار يخجل من أن يكون مسقط رأسه بلدة صغيرة (بشري) في بلد صغير (لبنان) ، وكان يقول ان مثله يجب ان يكون قد ولد في بلد عظيم كالهند مثـلا ، ولذلك فانـه عنـدما طلب اليه (نسيب عريضة) بعض معلومات عن حياته لنشرها في مجلة (الفنون) ، قال انه ولد في «بومباي» بالهند .

ويجمع الكتاب على أن أثر نيتشة في أدبه كان بعيد السوء ، وان كتاب (نيتشة) هكذا تكلم زرادشت ، قد أعطى جبران تلك المفاهيم المنحرفة التي اذاعها ، وزرادشت مؤسس المجوسية ، يقول نعيمه (وما عرف جبران (نيتشه) حتى كاد ينسى كل ما عرفهم قبله من كبار الكتاب والشعراء ، وعلى قدر ما كان يطيب له أن يختلي به ، كان يلذ له في البدء ان يحدث غيره عنه وأن يهدي أصحابه ومعارفه اليـه ، حتى انـه قال ، ان كتـاب (هكذا تكلم زرادشت) في نظري أعظم ما عرفته كل العصور ، وما استأنس جبران بزرادشت ونيتشه حتى أحس بوحدة أقسى من ذي قبل تكتنفه اينما سار وبغربة تفصله عن ماضيه الى حد انه صار يخجل أمام نفسه من كل ما كتبه وصوره في ذلك الحين» .

وأشار نعيمه الى انه افتتح عهده الجديد بمقال اطلق عليه اسم (حفر القبور) جرى فيها على نهـج الزرادشتيـة ، وبـدا جبـران المتقمص في جسد رجل يحب العزم والقوة ، لقد سكر جبران بزرادشت وسكر أكثر من ذلك بما قاله فازداد به شهرة في العالم العربي .

الأدب الجنسي

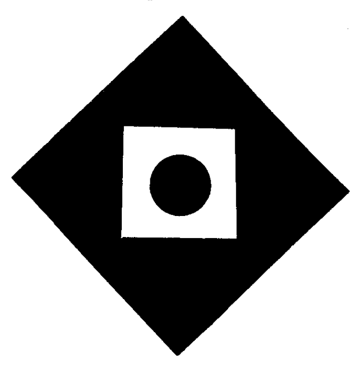
وأخطر مادعا اليه نزعة جبران المهجرية الوافدة على الأدب العربي محاولة تحويل (الجنس) الى نوع من القداسة وتحويل الشهوة الى صوفية ، فقد قام أدب جبران زعيم هذه المدرسة على ثلاث

دعائم : (لذة الجسد – الحب الشهواني – المرأة العارية) وقد تأثر في ذلك على حد قول النقاد بمزامير داود والحياة في باريس ، ومن ثم اعلن سخريته بكل القيم والمثل ، ودعا الى الاستسلام لسلطان الغريزة والعاطفة الجنسية ، وقد راجع كثير من الأدباء آثار جبران ، واجمعوا على انه يتميز بعدم الاكتراث للأخلاق في بحثه عن لذة الجسد والخروج عن قواعد الدين ، وقال عنه الأب الزغبي : انه يهدم صرح الديانة المسيحية وينبذ جميع الأديان ، وانه كثير الآلهة ، ولكن ليس (الله) بينها ، وانه يدين بمذهب عبودية العقل والآراء للشهوة الحيوانية ، وانه هادم للسلطة المدنية والسلطة الدينية والأسرة ، وانه دعا في كل كتاباته الى (الحب المحرم ، والعشق السري ، والفحش) .

يقول : أجل جبران ينادي بحلاوة المرأة العارية ولذة طعمها ، وما هذا سوى الشهوة الجسدية المتجسمة ، ويصرح بأن الجنة قائمة بهذا الحب ، وانه يدعو الى احياء الغرائز ، وتغليب الحب الجنسي ، ويرى الباحثون ان هذا الأدب لا يستأهل الخلود لعدم ترفعه عن الاستسلام للشهوة المحرمة .

ويقول الأب الزغبي ، ان جبران مصور الأجسام العارية وكاتب الشهوة المطلقة من كل قيد ، ولا عبرة عنده بالعقل ولا بالواجب حتى يصطدم الهوى بذلك الواجب ، وليس في موسيقى الأدب الجبراني سوى طبول تدوى عن فرع أصواتها وتذيع ضجة البلاغة اللفظية ، والكلام الطنان الذي يؤثر بالاذن تأثيرا قويا ويصل بالانسان الى عالم الدوخة والانذهال ، ولا وجود فيه للانغام العميقة المركبة من كثرة النفسيات المتشاحنة حيث تبرز واحدة من هذه النفسيات وتتغلب على غيرها تغلبا اخلاقيا فهو معجب بالزوجة التي تركت زوجها ، واتبعت قلب جبيبها ، طروب بالاتصال الجنسي ، شغوف بالمرأة المستسلمة ، الى خادمها المفتري ، هذا جبران الذي يسكب السم الاخلاقي في كؤوس نظيفة شفافة على حد تعبيره ، ان معظم كتاب الغرب في موضوع الميول القلبية والشهوة الانسانية وتكريسها لم يبلغوا من الفساد الاخلاقي والاباحة ما بلغه الادب الجبراني فهو قد حول مزامير التوراة من دعاة الفضيلة الى دعاة الرذيلة . وفي كتاب (النبي) يصور نفسه على انه المصطفى المختار الحبيب .

ولقد حاول الجبرانيون شن حملة عاصفة على المنفلوطي في حقد وشراسة لأنه هدم الاسلوب المهجري وأسقط جبران ، ومن ذلك ما يسوقه مارون عبود في كتابه (جدد وقدماء) من هجوم على المنفلوطي ونسى مارون عبود وغيره : ان المنفلوطي حين أشرق قد كسف شموسا كثيرة ودخل تحت جناحه كثير من الذين اعجبهم بريق جبران الخاطف من الذين انفضوا عنه حين اكتشفوا معارضته للنفس العربية الاسلامية ومضادته للمزاج الاسلامي .



نقد لكتاب النثر الفني في القرن الرابع الهجري

● في كتاب زكي مبارك أخطاء خطيرة ●

● المؤلف تعرض في كتابه للدين بما لا يقره عقل ولا خلق

في كتاب «النثر الفني في القرن الرابع الهجري» للدكتور زكي مبارك أخطاء خطيرة في دراسته للقرآن الكريم تناولها الدكتور محمد أحمد الغمراوي بالبحث في فصول مطولة متعددة نشرتها الرسالة المصرية مجلد ١٩٤٤م ونحاول عرضها هنا بايجاز .

تضمن البحث شبهات ثلاث تخالف ما يعرف من الدين بالضرورة .

أولا : دعوته الى نقد القرآن .

ثانيا : إنكاره إعجاز القرآن .

ثالثا : انه يكاد يصرح بأن القرآن من كلام البشر .

رابعا : ان الأديان كلها نبت البيئة ومن وضع الانبياء .

قال الدكتور محمد أحمد الغمراوي : إن زكي مبارك يحاول إبطال حكمة الله في جعل كتابه الذي انزله على آخر انبيائه ورسله معجزة أدبية ، وهي محاربة لله من غير شك ، ويحاول زكي مبارك إبطال تلك الحكمة عن طريقين :

أولا : طريق نظري في الدعوة الى إنكار (إعجاز القرآن) ليبطل عند صغار العقول أمثاله : إن القرآن من عند الله .

ثانيا : طريق عملي هو العمل على جعل الأدب إباحيا شهوانيا بعد أن جعله الله في القرآن وبالقرآن اصلاحيا ربانيا . وزكي مبارك في هذا تابع مقلد فقبله كان أبو نواس وأمثال «أبو نواس» من الذين صرفوا الأدب عن الوجهة التي شرعها الله للناس في الأدب بالقرآن فجعلوا الأدب للغواية بعد أن كان للهداية وجعلوه للشيطان بعد أن كان لله . ومثله كان ابن الراوندي وغيره من أهل الأهواء .

دعوة صاحب النثر الفني الى نقد القرآن

يتعرض الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني للدين بما لا يمكن أن يقره عليه عقل ولا دين وبما يخالف الكتاب والسنة والاجماع عند المسلمين يتعرض لا لجزئية من الجزئيات يجوز فيها الخلاف بل للأصول التي يقوم الدين بقيامها وينهدم بانهدامها كأصل «إعجاز القرآن» وان القرآن

كتاب الله لا كتاب محمد بن عبدالله – صلى الله عليه وسلم – فنجده في أول فصل من فصول الكتاب يعيب على علماء العربية انهم حين تعرضوا لنقد القرآن لم يذكروا إلا المحاسن .

وفي هذا خرج على علماء العربية وعلى الاجماع ، إذ أن النقد عنده أن يقف الباحث أمام الأثر الأدبي موقف الممتحن للمحاسن والعيوب وهذا صحيح ولكن في نقد كلام الناس لا كلام الله ، ولو كان القرآن كلام بشر لكان أثرا أدبيا لصاحبه ، أما وهو كلام الله خالق البشر أنزله سبحانه معجزة لرسوله وتحدى به كل شاك فيه من العرب وغير العرب بل تحدى به الجن والانس على اختلاف العصور فكيف يمكن أن يقف الناقد أمامه إلا كما يقف العالم أمام آية من آيات الله في الأرض أو في السماء .

إن العهد الذي كان ينظر فيه في القرآن نظرة تطلب العيوب قد مر بالفعل ، مر الى غير رجعة ، والذين نظروا في القرآن تلك النظرة التي يدعو اليها الدكتور زكي مبارك كانوا أقدر منه ألف مرة على إدراك أي عيب لو وجدوه ، وأبصر بنقد الكلام لأنهم كانوا أهل العربية الفصحى .

شبهة أن القرآن أثر جاهلي

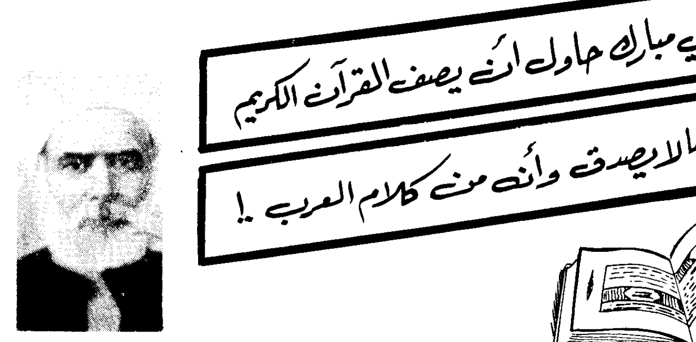
افترض الدكتور زكي مبارك ان القرآن أثر جاهلي وزعم أن للعرب في الجاهلية نهضة علمية وأدبية وسياسية واخلاقية واجتماعية كان الاسلام تاجا لها ، أي أن الاسلام كان نتيجة وتماما لتلك النهضة لا سببا لها .

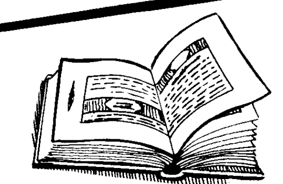
يقول في تعليل ذلك : لأنه لا يمكن لرجل فرد مثل النبي محمد عليه السلام أن ينقل أمة كاملة من العدم الى الوجود ومن الظلمات الى النور ومن العبودية الى السيادة القاهرة ، كل هذا لا يمكن أن يقع دون أن تكون تلك الأمة قد استعدت في أعماقها وفي ضمائرها وفي عقولها بحيث استطاع رجل واحد أن يكون منها (أمة متحدة) وكانت قبائل متفرقة وأن ينظم علومها وآدابها بحيث تستطيع أن تفرض سيادتها وتجاربها وعلومها على أجزاء مهمة من آسيا وأفريقيا وأوربا في زمن وجيز ، ولو كان يكفي أن يكون الانسان (نبيا) ليفعل ما فعله النبي محمد لما رأينا أنبياء أخفقوا ولم يصلوا لأن أممهم لم تكن صالحة للبعث والنهوض .

فزكي مبارك يحاول أن يرد نهضة العرب بعد الاسلام لا الى رسالة الاسلام ونبوة محمد – صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله عليه من قرآن وحكمة ، ولكن الى علوم وآداب وتجارب كانت عند العرب ، وان كل ما فعله النبي هو أن نظمها حتى استطاع أهلها أن يسودوا في القارات الثلاث في زمن وجيز .

وتاريخ نشأة العلوم والآداب في الأمة العربية بعد الاسلام معروف ، كما أن مقاومة العرب للنبي ودعوته ومحاربتهم له ولها معروفة ولكن الرجل ينكر التاريخ ويفتري تاريخا آخر ويزعم زعما لا يجوز ولا يستقيم في منطق أو تفكير الا اذا كان القرآن كلام النبي ، كلام محمد العربي – صلى الله عليه وسلم – لا كلام الله سبحانه ، عندئذ فقط يعقل أن يكون العرب على ما وصف زكي مبارك من نهضة وعلم وأدب ، لأن القرآن أكثر من نهضة وعلم وأدب ، ولا يعقل إن كان كلام بشر أن يأتي به صاحبه في أمة جاهلة كالتي أجمع على وجودها قبل الاسلام مؤرخو اللغة العربية من شرقيين ومستشرقين ومؤرخو الاسلام .

ويلتحق بزعمه الذي زعم لعرب الجاهلية من نهضة علمية ، سياسية ، اجتماعية ، زعمه أن نشأة علوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض قديمة ، أي أنها نشأت قبل الاسلام لا بعده وهو يبني هذا الزعم أيضا على ما افترض من ان القرآن اثر جاهلي .





محمد عبده

افتراض أن القرآن من كلام عربي من العرب

حاول زكي مبارك أن يصف القرآن بكل ما لا يصدق إلا على نتاج البيئة . يقول : فمن الواجب أن يترك الباحثون ذلك الميدان الذي أولعوا بالجري فيه وهو عصر الدولة العباسية وأن يجعلوا ميدان النضال (عصر النبوة) نفسه ، وأن يحدثونا ما هي الصلات الأدبية والاجتماعية التي وصلت الى العرب من الخارج فأعطت نثرهم تلك القوة وذلك الزخرف اللذين تراهما مجسمين في القرآن . هنالك نعرف بالبحث : أكان القرآن صورة عبقرية أم تقليدية .

فهذا شك لا يقبل شكا ولا يحتمل تأويلا في أن صاحب الكتاب يرى القرآن من كلام العرب ، تأثر بما تأثروا به أو يصح أن يكونوا تأثروا به من صلات أدبية واجتماعية أتتهم من الخارج ، وان ماامتلأ به في زعمه من «الزخرف والصنعة المحكمة ، ليس طبيعيا ولكنه مكتسب مجلوب من الخارج» .

وقوله «هنالك نعرف بالبحث أكان القرآن صورة عبقرية أم تقليدية» والتقليد هنا ليس هو تقليد عربي لعربي ولكن تقليد عربي لأعجمي لأن الصلات الخارجية التي يسأل عنها هي صلات بين العرب ومن حولهم من الأعجام فتشكيكه في العبقرية وتجويزه التقليد على القرآن قاطع في أنه لا يرى القرآن من كلام واهب العبقرية وفاطر الانسان ، ولكن من كلام بشر مشكوك حتى في عبقريته .

ويقول زكي مبارك «والقرآن نثر جاهلي والسجع فيه يجري على طريقة جاهلية ، حين يخاطب القلب والوجدان ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات والدعوات ومواقف الغناء والخوف والرجاء سوراً مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنيين ، ولا تنس أن الوثنية كانت دينا يؤمن به أهله في طاعة وخشوع وكانت لهم طقوس في هياكلهم وكانت تلك الطقوس تؤدي على نحو قريب مما يفعل أهل الكتاب من النصارى واليهود» .

وهذا الكلام لا يحتاج الى تعليق في انه يضع القرآن في صف كتب الوثنين وأهل الكتاب ويجري المقارنة والتشابه بينها وبينه ويقول : والقرآن وضع لأهله صلوات وترنيمات تقرب في صيغها الفنية مما كان لأهل الكتاب من صلوات وترنيمات والفرق بين الملتين يرجع الى المعاني ويكاد ينعدم فيما يتعلق بالصور والاشكال ، ذلك بأن الديانات الثلاث ، الاسلام والنصرانية واليهودية ترجع الى مهد

واحد هو الجزيرة العربية ، فاللون الديني واحد وصورة الأداء تكاد تكون واحدة .

وهكذا صارح صاحب «النثر الفني» القارىء بذات نفسه ، لاعن القرآن فقط وتقليده حتى الوثنيين في الصورة والشكل ولكن عن الأديان الثلاثة كيف أنها كانت نبت البيئة ، نبت الجزيرة العربية ، والرجل يقول هذا وقد وضع بين أيدي الناس «المفتاح» الى مذهبه في القرآن والدين .

ما يعتقد وما يعلن

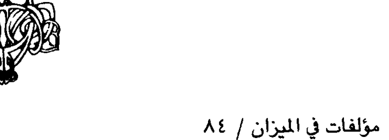
ويقول الدكتور محمد أحمد الغمراوي : إن الخصومة بينه وبين زكي مبارك ليس منشؤها ما يعتقد الدكتور ولكن ما يعلن ويدعو اليه ، فاعتقاده ودينه أمر بينه وبين ربه ، أما ما يعلن ويكتب فأمر بينه وبين الناس ، وهو حر فيما يرى ويفكر وفيما يعتقد ، ما اقتصر ذلك على ذات نفسه أو ظل سرا بينه وبين خلصائه والله تعالى سيجازيه به ، ولكنه يفقد تلك الحرية في اللحظة التي يحاول أن يتخذ من الأدب وسيلة لبث آرائه ومعتقداته بين الناس ، إنه في تلك اللحظة يصطدم بما يعتقد الناس إذا كان ما يعتقد يخالف ما يعتقدون خصوصا إذا كان ما يعتقدون هو الحق وما يدعو اليه هو الباطل .

لقد تركنا الدكتور كل هذه السنين يبدي ويعيد في الأخلاق وغير الأخلاق مما يتصل بالدين اتصالا وثيقا من غير أن نتعرض له إلا مرتين .

الأولى : حين ختم كلمة له في نعيم الجنة بذلك الدعاء الماجن (اشغلني عنك يا رباه بأطايب الجنة فإن نظري لا يقوى على نور وجهك الوهاج) .

والثانية : حين كتب يقول : (اعوذ برب الفلق من خير ما خلق) وقد وقع الرجل على حيلة أخذها من صديقه الشيطان هو أن يسمي المسميات ضد اسمائها ليدخل على بعض النفوس عن طريق الايحاء فستر الانسان جسمه بالثياب رياء واعوجاج في الضمير ، والدعوة الى تعريته دعوة الى الحياة ، واحتضان الفتاة للفتى هو مثال الفرح النبيل ، وهجوم الفتاة على الفتى طاعة لغريزة كريمة ، وانتهاب الجمال هو في ذاته شكران لواهب الجمال ، فتراه مثلا يقول لك : (وانتفع الصوفية بسماحة الاسلام وهو دين يأبى أن يكون بين المسلم وربه وسيط فقرروا أنهم أرفع من الأنبياء وهذا كفر بظاهر القول ولكنه في الجوهر غاية الايمان) .

فانظر كيف رتب على المعنى أن الصوفية يضعون أنفسهم فوق مرتبة النبوة لأنهم أعرف بالله وأرعى له من الانبياء ، وباطنه أنه ليس بهم ولا بك إذا ارتقيت مثلهم الى الأنبياء حاجة والا كان بينك وبين الله وسطاء فتلك هي في رأي زكي مبارك سماحة الاسلام وبها انتفع الصوفية فلا الاسلام يحترم سماحة حمقاء كالتي نسبها اليه زكي مبارك ولا الصوفية بلغ بهم الغرور أن يروا أنفسهم فوق الانبياء أ.هـ.





• أرسطو •

أرسطو
لم يكن معلما للمسلمين

• المسلمون قاوموا ونقدوا فكر اليونان ومنهج أرسطو
• الفلسفة الاسلامية موجودة في كتب المتكلمين والفقهاء

كان الاستاذ احمد لطفي السيد (أستاذ الجيل) كما يسمونه هو أول من ترجم فلسفة أرسطو بترجمته كتاب (الأخلاق) الى العربية عن الترجمة الفرنسية التي قام بها من اليونانية (بارتلمي سانهلير) كمنطلق لتيار جديد أراد به (التغريب) إدخال الفكر الفلسفي اليوناني الى الأدب العربي الحديث من طريق شخصية لامعة مثل أرسطو طاليس .

وكانت تلك خطة خطيرة غاية الخطورة : ذلك ان العرب والمسلمين في العصر العباسي عندما ترجموا الفلسفة اليونانية رفضوا أرسطو وهاجموه وكشفوا زيف منهجه وانشؤوا المنهج العلمي التجريبي الذي تبناه (روجر بيكون) وكان أول خطوات الغرب نحو التجريب بعد التبعية لعصر التأمل الذي كان سمة (الفكر الاغريقي) .

وهكذا نجد ان الغرب أخذ من المسلمين المنهج التجريبي في أول عصر النهضة ، ثم جاء فاعطى المسلمين منهج أرسطو في أول عصر النهضة العربية على يد لطفي السيد وطه حسين وغيرهما ومن ذلك ما أورده لطفي السيد في مقدمة ترجمة كتاب (الاخلاق) يقول : مع ان نقل كتب الفلسفة لم يكن مقصورا على كتب ارسطو فان فلسفة أرسطو هي التي غلبت على الفلسفة العربية وطبعتها بطابعها . والواقع ان الفلسفة ألعربية ليست شيئا آخر غير فلسفة أرسطو طاليس طبعت بالطابع العربي وسميت الفلسفة العربية وبقيت صلة النسب بين الفلسفتين طية الى حد ان الجامعات الأوروبية في العصور الأخيرة من القرون الوسطى كانت تدرس الفلسفة العربية باعتبار انها فلسفة المشائين : أي فلسفة أرسطو .

هذا ما أورده لطفي السيد وقد علق عليه الدكتور صروف محرر المقتطف (يناير ١٩٢٥) فقال : ان ما قاله الاستاذ (يعني لطفي السيد) يؤيده الكتاب الأوربيون الباحثون في الفلسفة العربية ، ان مايعرف بالفلسفة العربية ليس فيه من العربية سوى الاسم واللغة فهو فكر يوناني منظم عبر عنه بلغة سامية وحور بالمؤثرات الشرقية وأدخل بين أهل الاسلام بموازرة واسعي الصدر من خلفائهم وبقى حيا بغيرة جماعة من المفكرين الذين لم يخشوا من المجاهرة بآرائهم على ان أمتهم اساءت بهم الظن ورددَ ماذكره لطفي السيد مما يراه سببا في رجوع العرب والمسلمين والمصريين الى فلسفة أرسطو

فقال :

وكما ان النهضة الأوروبية الحديثة عمدت الى درس فلسفة أرسطو من نصوصها الأصلية فكانت مفتاحا للتفكير العصري الذي أخرج كثيرا من المواهب الفلسفية الحديثة فلا جرم ان نتخذ نحن من فلسفة أرسطو لا سيما انها أشد المذاهب ائتلافا مع طباعنا والطريق الاقرب الى نقل العلم الى بلادنا وتأقلمه فيها رجاء ان ينتج في النهضة الشرقية مثل ماانتج في النهضة الغربية . وقال :

ان فلسفة (المعلم الأول) خالدة ما حدها وطن ولا اخنى عليها زمن فقد بنت عليها كل مدنية صروح مجدها العلمي حتى مدنيتنا الجديدة .

هذا هو الاتجاه الذي بدأ به لطفي السيد عمله مديرا للجامعة المصرية ١٩٢٥ المحولة من الجامعة الأهلية ، وقد جيء به وبتلاميذه واتباعه بوصفه أستاذ الجيل رئيسا لها وفتح الباب لطه حسين وغيره في الدعوة الى الاغريق وأرسطو ومذهب علم الاصنام اليوناني .

هل هذا حق ؟

والسؤال هو : هل حقا كان لطفي السيد – أستاذ الجيل – صادقا فيما قال وفيما دعا اليه ، العرب والمسلمين ، من اتخاذ أرسطو منطلقا الى النهضة الجديدة ، وقد مضت كتاباته وكتابات طه حسين وغيره من بعد دعوة ملحة الى هذا الطريق أم ان الأمر كان فيه شبهة وخدعة . وهل كان حقا (ارسطو)(هو منطلق الحضارة الغربية في عصر النهضة وما بعدها ، أم أن أول عمل قامت به النهضة هو نقض أرسطو وتزييفه والحملة على منهجه واعتبار منهجه هو عامل التجميد الذي عاش فيه الغرب معتقلا قرونا حتى جاء نور الفجر مع منهج التجريب الاسلامي الذي اطلق الطاقات الى عصر العلم الحديث ، ندع هذا للباحثين ، لقد كان علماء المسلمين انطلاقا من القرآن هم الذين انشؤوا المنهج العلمي التجريبي الذي كان أول حجر في بناء الحضارة والعلم بشهادة :

دابر وبريفولت وجوستاف لوبون في القديم وسارتون وهونكه وغيرهم في العصر الحديث ومن أهم الكتب في هذا الشأن كتاب هونكه (شمس الله تشرق على الغرب) وكتاب (أوروبا ولدت في آسيا) .

اذن فلم يكن لطفي السيد صادقا في دعواه ولم يكن عميد الأدب العربي طه حسين أمينا حين نقل الينا هذا المعنى ، ذلك ان المسلمين نقدوا أرسطو أولا (في القرن الرابع الهجري) ثم جاء الأوروبيون فنقدوه ورفضوه في القرن (الخامس عشر الميلادي) واستعملوا أسلوب المسلمين في نقده ، والتمسوا منهج المسلمين الذي دفعهم الى ذروة الحضارة والعلم والتكنولوجيا الآن .

اذن فلماذا هذا التعارض : يسأل عن هذا الاستشراق والاستعمار . ذلك بأنهم على حد تعبير الدكتور محمود قاسم : نقلوا المسلمين الى ارسطو ونقلوا أنفسهم الى منهج المسلمين (جابر وابن الهيثم والبيروني) .

ذلك ان أرسطو هو الذي سيضع المسلمين مرة أخرى داخل القوقعة المنطقية التأملية ويحرمهم من ثمرات منهج التجريب الذي انشؤوه ونماه الغرب .

وهكذا نجد ان هذا المنطلق على يد لطفي السيد وطه حسين وجماعة من أتباعهما يتسع ويمتد حتى يقرر : ان العرب خضعوا لمنهج اليونان وارسطو في القديم ولما كان الفكر الحديث هو ثمرة فكرة اليونان فان تبعية المسلمين والعرب له لا تعد شيئا غريبا ولا جديدا ، لأنهم كانوا تابعين لليونان من قبل فلا عجب ان يتبعوا ما جدده أحفاد اليونان .

لم يكن استاذ الجيل صادقا اذن ولم يكن الدكتور طه حسين منصفا في هذا ، فان المسلمين لم يقبلوا أرسطو ولم يعتنقوا فكر اليونان وانما العكس هو الصحيح ، ذلك انهم قاوموه ونقدوه وابانوا عن وجوه الخلاف العميق بينه وبين منطق القرآن وتصدى كثيرون منهم لهذا وفي مقدمتهم الامام

● الامام الشافعي هو أول الفلاسفة في الاسلام
● المنهج الاسلامي التجريبي نقلته أوروبا في مطلع حضارتها الحديثة

الشافعي – والامام ابن حنبل والغزالي وابن تيميه .

الشافعي أول الفلاسفة

واذا كان الخلاف مازال واسعا حول ما كتبه الفارابي وابن سينا وهل هو فلسفة اسلامية أو متابعة للمشائين اليونان من المشائين المسلمين ، فان رجلا كريما قد ولي قسم الفلسفة في كلية الآداب هو الشيخ مصطفى عبد الرازق قد فصل في هذا الأمر على نحو صحيح ، ومن خلال دراسات الجامعة نفسها ، بالرغم من سيطرة طه حسين على عمادة كلية الأداب حين قال : انما تلتمس الفلسفة الاسلامية في كتب المتكلمين والفقهاء ، وان الامام الشافعي واضع علم أصول الفقه هو أول الفلاسفة في الاسلام وان مقامه في العربية هو بمثابة أرسطو في اليونانية وبذلك نشأت مدرسة الاصالة في مجال الفلسفة وامتدت من بعد واتسعت وكان من اتباعها الحضيري وأبو ريده وعلى سامي النشار ، ومنذ ذلك الوقت ، وقد صدر كتاب (تمهيد في تاريخ الفلسفة الاسلامية) عام ١٩٤٧ – وقد كان منهجه قد تقرر قبل ذلك بوقت طويل – فقد تحررت الفلسفة من التبعية الغربية وبرزت مدرسة الاصالة فيها ، وهو ما يزال عسيرا في مجال الأدب والنقد الادبي فان التبعية لمذاهب النقد الغربي الوافد مازالت قوية .

مدرسة الأصالة

وقد اثبتت مدرسة الاصالة في الفلسفة الاسلامية (مصطفى عبد الرازق – أبو ريده – والنشار) ان المنطق الارسطوطاليسي : هو منهج الحضارة والفكر اليوناني لم تقبل في المدارس العقلية ، وان المنهج التجريبي الاسلامي هو الذي عرفته أوروبا في مطلع حضارتها الحديثة لمباينته للحضارة اليونانية وان اكتشاف وجود هذا المنهج لدى المسلمين يفسر روح الحضارة الاسلامية ، فالحضارة الاسلامية حضارة عملية تجريبية تتجه الى تحقيق الفعل الانساني في ضوء نظرية حية ملموسة كذلك ، فقد كشفت الابحاث المتعددة عن اضطراب خطير في المراجع التي اعتمد عليها الفارابي وباعتراف الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا : «ان الفكر الذي نقل الى المسلمين من اليونان والاغريق لم يكن صحيح الأصول ، بل كان صورة زائفة دخلت عليها مفاهيم السريانية والنساطرة المترجمين وعقائدهم وكانت تهدف الى خدمة مفاهيم دينية ، ومن هنا كان فسادها في أن تعطى الفكر الاسلامي شيئا» .

ومن ناحية أخرى فقد تبين ان المقاومة للفلسفة اليونانية ومذهب ارسطو بالذات قد بدأت منذ ان تمت الترجمة وان المعارضة بدأت منذ اليوم الأول ، ذلك ان الفكر الاسلامي كان قد تم تشكيله قبل الترجمة على أساس قيمه القرآنية من التوحيد والاخلاق ، ومن الربط بين الوحي والعقل ، ولذلك فانه كان من العسير ان تنصهر فيه الفلسفة اليونانية أو ينصهر فيها ، خاصة وهي فلسفة مجتمع وثني قام على العبودية واعلاء الشهوات وعبادة الجسد فضلا عن محاذير الترجمة من فساد

وانتحال وتحريف نصوص وان كانت طائفة من الفلاسفة أطلق عليهم اسم المشائين قاموا بمحاولة شاقة وعسيرة لادخال الفلسفة اليونانية في اطار الاسلام ولكن المحاولة فشلت تماما .

وكانت وقفة الامام الغزالي في وجه الفلسفة اليونانية وقفة صارمة ردت السهم الى صدور أصحابه فقد كشف عن الفرق بين الفلسفة الرياضية والطبيعية وبين الفلسفة الآلهية ورفض الاخيرة لأنها متعارضة مع التوحيد واعلن ان الكلام في الطبيعيات برهاني أما في الآلهيات فهو تخميني عندما يعتمد على آراء الناس وتفكيرهم المنفلت من الوحي .

الغزالي والقضايا الكبرى

وفي الفلسفة الآلهية عارض الغزالي القضايا الكبرى الثلاث التي تقرها الفلسفة اليونانية وتختلف مع مفهوم الاسلام :

١ – عارض ما يقولون به من قدم العالم .

٢ – وعارض زعمهم ان الله (جل وعلا) لا يحيط علما بالجزئيات .

٣ – وعارض انكارهم البعث .

وهاجم الفلاسفة الذين جحدوا الصانع وزعموا ان العالم قديم كالدهرية والزنادقة ، والذين قالوا ان النفس تموت ولا تعود ومن أنكروا الآخرة .

ويقول الدكتور النشار : إن المنطق الأرسطاليسي قد نقل الى العالم الإسلامي وأثر فقط في المدرسة المشائية الاسلامية وبقيت المدارس الأخرى المنبثقة عن النظام الاسلامي بعيدة كل البعد عنه ، تحاربه وتجاهده ، وكانت قد وضعت منطقا مختلفا تمام الاختلاف في روحه وجزئياته .

وقد وصل علماؤنا في مجال البحث عن منهج أرسطو الى حقيقة أساسية هي ان منطق أرسطو يعبر تعبيرا دقيقا عن المجتمع اليوناني العبودي المنقسم الى سادة يتأملون وعبيد يعملون ، السادة هم الصورة والعبيد هم المادة ، ولكن المجتمع الاسلامي يختلف عن المجتمع اليوناني اختلافا كبيرا فدولته تقوم على الاخوة والمساواة وتنطلق من نقطة النظرة في السموات والأرض والعمل والكسب والسعي والتجريب .

ومن هنا اختلف منهج المجتمع الاسلامي عن مجتمع اليونان من جملة جوانب : أهمها التوحيد والغاء العبودية والممارسة في مجال العلم وبذلك بدا ذلك التعارض الواضح العميق بين مجتمع ومجتمع وفكر وفكر .

خرج الفكر الاسلامي من النظرة الارسطية التي ترى ان العلم لا يكون الا بالكلي أما العلم الجزئي فليس علما ، فتقدم الفكر الاسلامي فحطم هذه القاعدة ، وبدأ النزعة التجريبية من الجزئيات وبذلك خرج المفكرون المسلمون عن المفهوم الارسطي للحد والتعريف ، واستطاع رجال الأصول والفقه ان يقيموا نظرة جديدة للتعريف تقوم على أساس الواقع ، وأدى ذلك الخروج عن حدود القياس الارسطي الى الحصول على نتائج عملية وأصبح طابع الفكر العلمي الاسلامي هو «طابع التجريب» ، ونقد المفكرون المسلمون قياس أرسطو وقال عنه ابن خلدون انه قياس ذهني ، أما المسلمون فقد عرفوا ما لم يعرفه اليونان وخطوا أخطر خطوة في تاريخ البشرية وهي بناء قاعدة العلم الحديث نفسه : تلك هي التوحيد بين التأمل والممارسة العملية وأولى المسلمون اهتمامهم بالرابطة العلّية بين الاشياء وعلى هذه الرابطة بين الاشياء قامت التجارب ، وعلى هذه الرابطة العلية (البحث عن العلة) أقام البيروني والرازي وجابر بن حيان وابن سينا تجاربهم العلمية ، وفي نفس الوقت قام المنهج العلمي في الفكر حيث فسر ابن خلدون حركة التاريخ وتطور العلاقة البشرية .

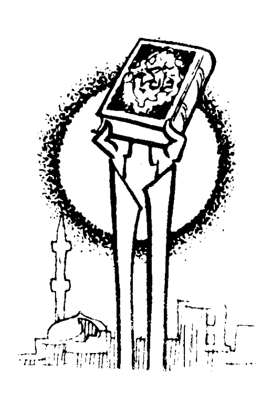
وبهـذه النـظرة المتطورة للكون والانسان اختلف الفكر الاسلامي اختلافا كبيرا عن الفكر اليوناني المترجم وتناقض معه في مختلف فروع الثقافة من علم وأصول وفقه وفلسفة عقلية ونظرة الى الانســان ، ولم يكن هذا الاختــلاف عابـرا أو طارئـا وانما كان نتيجة طبيعية لاختلاف التكوين الاجتماعي للدولة الاسلامية عن الحضارة اليونانية ، وبذلك ظهر الفكر الاسلامي في جوهره فكرا تجريبيا تجاوز منطق أرسطو وأطل على التجربة العلمية رابطا بين التأمل النظري والممارسة العملية ، وخرج بذلك على الفلسفتين الارسطية والافلاطونية .

منهج أرسطو عقيم

وقد صور كثير من الباحثين أثر منهج ارسطو فوصفه الدكتور محمود قاسم بأنه كان منهجا عقيما وانه ضلل كثيرا من مفكري العرب ثم وقف حائلا دون ازدهار الحضارة العربية ويرجع عقمه الى انه كان خلوا من الخيال وانه كان أكثر اهتماما بالقضايا العامة المجردة منه لدراسة التفاصيل والجزئيات ، يستدل على صدق دعوانا بتاريخ النهضة الأوروبية فانها لم تتحرر من الجمود الذي فرضــه غليها منهج اليونان الا بعد أن عرفت مناهج العرب (المسلمين) في العلم والفلسفة ولنا ان نستشهد برئيان نفسه ذلك انه يصف (روجر بيكون) بانه الأمير الحقيقي للفكر الأوروبي في القرن الثالث ، ويجب ان نعلم كيف جاءته امارة الفكر ، اذ ليس في هذا المجال خلق من العدم ومن اليسير ان نكتشف سر أصالته اذا نحن بينا انه أول من نادي بمهاجمة المنهج الارسطاليسي في أوروبا ودعا الى اصطناع نهج العرب المسلمين فهو يأخذ على معاصريه بأنهم يصبون لعناتهم على الرياضية مع أنه من الممكن أن يبرهن بالرياضة على كل ما هو ضروري لفهم الطبيعة ولولا الرياضة لاستحال علينا ان نعرف أشياء هذا العالم معرفة صحيحة تعود علينا بالنفع في الأمور الانسانية والأمور الدينية أيضا ، كذلك يأخذ عليهم الانصراف عن استخدام الملاحظات والتجارب مع ان الطبيعية لا تكشف اسرارها لا بدراسة الأمور الجزئية حتى تصعد بنا الى القوانين الكلية .

وهكذا انتصر المنهج الاسلامي على المنهج الارسطي وحطمه في عقر داره بعد أن حطمه في مجال الفكر الاسلامي نفسه .

فاذا أردنا ان نبين فكر أرسطو وجدناه يقول بالنظام العبودي اليوناني ويرى أن (نظام الرق) هو أصلح نظام للبشريــة وان العبد اذا تحرر من عبوديته فهو عبد الأمير اذا استعبد فهو أمير ، ومفهومه عن الله تبارك وتعالى ناقص وضال .



الفارابي وابن سينا

الرد على ما جاء في كتابات طه حسين والعقاد وعاطف العراقي وغيرهم



■ الفــــارابي :



● ابن ســـــــينا ●

● ماذا وراء محاولات إعادة الحياة لأفكار ألفارابي وابن سينا

●● نظرية الفيض :

● كشف علماء المسلمين عن زيفها وبعدها عن الاسلام

هناك محاولات كثيرة تعمل على أن تعيد الحياة لأفكار الفارابي وابن سينا الفلسفية مرة أخرى بعد أن هزمت وكشف فسادها . منذ معركة التصحيح والأصالة الاسلامية التي قامت في القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية بعد ترجمة الفلسفة اليونانية واستشراء مفاهيمها المسمومة واتجاه بعض هؤلاء الفلاسفة الى أن يكونوا امتدادا لها بمحاولات التأويل وليّ أعناق النصوص لربطها بالاسلام على اختلاف (الارجانون) أو المنهج الفكري لحضارة ومجتمع الاسلام القائم على التوحيد ، وحضارة ومجتمع اليونان القائم على علم الأصنام . وقد شارك في دحض هذه المحاولات كبار علماء

المسلمين : الشافعي وابن حنبل وابن تيمية والغزالي وابن حزم وابن القيم وكثيرون .

وهناك اليوم كتابات جديدة عن الفارابي وابن سينا كتبها كثيرون منهم العقاد ، وعمر فروخ ، وعاطف العراقي في محاولة لاعطاء هذين الفيلسوفين أبعادا جديدة في تاريخ الفكر الاسلامي يتجاوز الحقيقة مع تجاهل ما ووجهت به مترجمات الفلسفة اليونانية الى الاسلام من مقاومة ودحض وكشف عن اخطائها وذلك قد جرى ضمن خطة التغريب القائمة على بعث التراث اليوناني والوثني والباطني القديم .

وفي المقدمة نقول وبكل الصدق والاخلاص ونحن نتحدث في إطار المنهج الاسلامي الأمين لالقاء النظرة على هذه الفلسفات المتجددة اليوم : أننا نفرق بين رجلين : الفارابي العالم في مجال العلوم التجريبية وابن سينا الطبيب والباحث التجريبي فإن هذه الكتابات لكليهما هي موضع تقدير جميع المسلمين أما كتاباتهما عن الفلسفة فهذه هي موضع النظر والنقد والمراجعة لأنها تتصل بالعقائد والمفاهيم الاسلامية القائمة على التوحيد الخالص .

في مدخل البحث عن هذه الفلسفات المترجمة من اليونانية نجد المحاذير الآتية :

أولا : لقد تبين بالدليل الأكيد أن ماترجمه النساطرة من الفلسفة اليونانية لم يكن صحيحا ولكنه كان مدخولا ، كان فيه هوى إقحام المفاهيم النصرانية ومن ثم اضطربت مفاهيم الفلسفة اليونانية فوق اضطرابها الأصلي .

ثانيا : إن هذا الخلط في المترجمات بعد أرسطو وأفلاطون أدى الى فساد المفاهيم التي تقدم بها هؤلاء الفلاسفة فالمعروف أن أفلاطون كان مثاليا في نظراته وأن أرسطو كان ماديا ، ومن هنا فإن الكتب التي ترجمت ترجمة زائفة باسم أحدهما وهي ليست له كان من نتيجتها أن ما قرر بشأنها كان خطأ وكانت أكبر محاولة خاطئة هي محاولة ضم فلسفة أرسطو وأفلاطون تحت لواء المفاهيم الاسلامية .

ثالثا : ان مترجمات الفلسفة هي التي أفسدت الفكر الاسلامي وأثرت في الفكر المعتزلي من ناحية ، كما أسهمت لمن أندس على التصوف – والتصوف الحق هو الاسلام – فخرقوا فيه أفكارا مسمومة خبيثة ، خرج منها فريق من الصوفية عن الاسلام ، كما أبعدت المعتزلة عن جادة الصواب ، وهي التي كانت مصدرا لمفاهيم الباطنية واحياء مفاهيم المجوسية الفارسية ومحاولة وسم الأدب العربي والفقه الاسلامي والتاريخ الاسلامي بأنه قام على أساس المترجمات اليونانية ولم يكن ذلك صحيحا على إطلاقه .

فلسفة الفارابي

كان الفارابي متابعا للفكر الاغريقي بخلفية واضحة هي التبعية الباطنية ولقد رفض العلماء المسلمون نظرية (المدينة الفاضلة) وأعلن (ابن خلدون) انه لم يعقلها ، ومن الملاحظ أن الانتقادات الهامة للفارابي تظهر واضحة في كتب الفقهاء المالكية في شمال افريقيا وتظهر في (الاعتصام) للشاطبي وتظهر في (ذخيرة الاحكام) لابن فرجويه الذي رفض فكرة السياسة العقلية التي تسود فكرة المدينة الفاضلة عن الفارابي ، ولا شك أن الاتجاه السلفي من قبل عند ابن تيمية وعند ابن القيم في كتبهما السياسية قد سبقت مدرسة المغرب المالكية في هذا العمل ، وكذلك انتقده (ابن الأزرق) شمس الدين محمد علي في كتابه (بدائع السلك في طبائع الملك) المتوفى ٨٩٦ .

والمعروف الآن أن الفارابي ذهب في سن الخمسين الى بغداد حيث درس على (يوحنا ابن جلال) من قبائل التركمان . درس تراث (جندسابور) وحران وقرو والرهبان الذين انتقلوا الى بغداد ، وهو بذلك أول رجال المدرسة الاسكندرية ، أو شيخ الافلاطونية الحديثة في العالم الاسلامي ، وكان

افلاطوني المذهب على رأي سقراط وأفلاطون .

ولقد كانت (جند سابور) حيث عاش صابئة الحرانية هي الملهمة الكبرى للكندي . كما كان لهم أثر في الرازي (محمد بن أبي بكر) – وهو غير الرازي المفسر –.

هؤلاء الصـــابئة الحرانية كانوا فرقة أفلاطون أساسا ، وهم الذين يؤمنون بالدين اليوناني القديم فروا الى فارس بعد تنصير الملوك وأنشؤوا مدينة فاضلة احتذاها نظريا (الفارابي) وطبقها عمليـا (حمدان قرمط) الصابئي الحراني ونفذها أناس في مدينة (هجر) وهم الذين سرقوا الحجر الأسود وانتهكوا حرمة المسلمين وقتلوا الحجيج . وصابئة الحرانيين مشغولون بعلم الكيمياء وعلم الصنعة يزاولون السحر والتنجيم . وحران هي موطن (الفارابي) الأول فيها كل خصائص الفارابي وإخوان الصفا ومدرستها الاشراقية والفارسية عن السهروردي متأثرة بنظرية الفارابي في الفيض .

فلسفة ابن سينا

أما ابن سينا فهو كبير مقلدي أرسطو والمتمم لفلسفة المشائين الذين هم شيعة أرسطو قرأ الاسلام من خلال نظرية يونانية وجرى على طريقة أرسطو في كتابه (الشفاء) .

وقـد أخذ ابن سينا آراء الفارابي ووسعها وشرحها وفصل القول فيها . وكتابه (الاشارات والتنبيهـات) فيه عبارات كثيرة لا يعرفها أهل السنة مثل قولهم (اتصال بالعالم العلوي هو عشق وشوق مستعران) أو أن الوسيلة لادراك السعادة هي الدراسة والبحث والنظر والتأمل أما الأعمال البدنية (كالصلاة) فهي في المرتبة الثانية ، وابن سينا أميل من أستاذه الفارابي الى زائفي متصوفة القرن أمثال الحلاج كما يتحدث عن الاتحاد المزعوم بين الخالق والمخلوق .

وتقارب ابن سينا والفارابي يوحي بالمصدر والحلقة التي ظهرت فيما بعد على أيدي الباحثين وهي الاتصال بالباطنية ، ويضاف اليها من ناحية (ابن ماجه وابن طفيل وابن رشد) في المغرب فابن طفيل في روايته (حي ابن يقظان) يحاول أن يثبت أن القوى الانسانية وحدها تستطيع الاتصال بالله بدون النبوة والفلاسفة المتابعون للفلسفة اليونانية أو الباطنية يرون ذلك ، ولا ريب أن هذه المعاني مخالفة للتوحيد الخالص ولمفهوم أهل السنة والجماعة .

وقـد تكشفت هذه الحقـائق لعلماء المسلمين منذ وقت باكر وإن كانت قد خفيت على كتابنا العصريين أو حاولوا تجاهلها فقد أشار الى هذه المؤامرة الخطيرة ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان من مصـايـد الشيطان) ج٢ ص٢٦٢ ، قال : لقد قرب ابن سينا مذهب سلفه الملاحدة من دين الاسلام بجهده ، وغاية ماأمكنه أن يقربه من أقوال الجهمية الغالية في التجهم وفي مقدمتهم أرسطو ، ويشير الى تخليط ابن سينا في محاولة تقريب هذه المذاهب من الشرائع .

فأرســطو لم يثبت صانعا للعالم ألبته ، فالرجل – ابن سينا – معطل مشرك جاحد للنبوات والمعاد ، لا مبدأ عنده ولا معاد ، ولا رسول ، ولا كتاب .

وكان أفلاطون يقول إن للعالم صانعا مبدعا أزليا ، وقد حكى أرسطو عنه ذلك وخالفه فزعم أنه قديم أي العالم وتبعه على ذلك ملاحدة الفلاسفة حتى انتهت النوبة الى (ابن سينا) فرام بجهده تقريب هذا الرأي من قول أهل الملة .

قال ابن سينـا : «أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم فكلانا من القرامطة (الباطنية) الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد ولا رب ولا خالق ولا رسول مبعوث» وكان هؤلاء الزنادقة يبشرون بالرفض ويبطنون الالحاد المحض ، وينتسبون الى أهل بيت الرسول لا يحرمون حراما ولا يحلون حلالا وفي زمنهم ولخواصهم وضعت رسائل (إخوان الصفا) وهم لا يعرفون الملائكة ولا يؤمنون بهم ، (انتهى ما قاله ابن القيم) .

أما (الشهر ستاني) فقد صارع ابن سينا في كتابه (المصارعة) فأبطل قوله بقدم العالم وانكار المعاد (البعث) فقام له نصير الالحاد ونقضه بكتاب سماه (مصارعة المصارعة) قال فيه ان الله تعالى لم يخلق السموات والأرض في ستة أيام وانه لا يعلم شيئا وانه لا يفعل شيئا بقدرته واختياره ولا يبعث من في القبور» .

ويقول ابن القيم لقد درجت الملاحدة على مفاهيم أرسطو (المعلم الأول) الباطلة حتى انتهت نوبتهم الى معلمهم الثاني (أبو النصر الفارابي) الذي توسع في صناعة المنطق وبسطها وشرح فلسفة أرسطو وهذبها وبالغ في ذلك وكان على طريقة سلفه في الكفر بالله تعالى سبحانه وتعالى عما يقولون ، وهو عندهم – كما قرره أفضل متأخريهم ولسانهم وقدوتهم الذي يقدمونه على الرسل (أبو علي بن سينـا) – هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق ، وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به ولا يفعل شيئا باختياره ألبتة ، ولا يعلم شيئا عن الوجود أصلا ، ولا يعلم عدد الافلاك ولا شيئا من المغيبات ، ولا له كلام يقوم به ولا صفة (تعالى الله عما يقولون علواً عظيما) عن (إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان) .

هذا هو أرسطو والفارابي وابن سينا الذي حشدت له قوافل التغريب أقلامها وأولته اهتماما زاد عن اهتمامهم بأعظم العظماء ، فكتب عنه طه حسين ولطفي السيد وغيرهم بالاضافة الى من ذكرنا ، وأولته المدرسة العلمانية اهتماما كبيرا ، بينما حملت حملة ضارية على الغزالي وابن تيمية ، بل لقـد بلغ الفجـور ببعض التغريبيين أن يقول : (ان ابن سينا مؤمن بدين الاسلام عن حمية واقتناع ، وانه ليس تابعا لأفلاطون) والحقيقة أننا في أمر الفارابي وابن سينا والرازي نستفيد من جوانب الطبيب والعالم ، أما الفيلسوف فهي مضطربة اضطرابا شديدا ولا نأخذ بها بل نكشف عن زيفها .

الباطنية و إخوان الصفا

ولقد أثبتت الوثائق ان ابن سينا والفارابي كانا على طريق الباطنية واخوان الصفا ، وان ابن سينا أودع كتاباته تلك الأسرار والرموز التي يعرفها اصحاب المخططات السرية لقلب دولة الاسلام .

وبالرغم من أن ابن سينا حاول الدفاع عن نفسه ونفى تهمة اتصاله بالمؤامرة الباطنية فإن وقائع حياته تكشف هذا الانتماء ، كما تؤكد المصادر الاسماعيلية على باطنيته ، وقد تأثر بفلسفة المعتزلة التي انكمشت على نفسها شرقي فارس بصورة خاصة اثر الضربة التي تلقتها على يد المتوكل .

ويتحدث الاستاذ ابراهيم الخال عن باطنية ابن سينا فيشير الى أنه أضاف الى الفلسفة نظرية الأفلوطينية التي ورثها من الفارابي واخوان الصفا ويقول : إن فلسفة ابن سينا كانت ثمرة شجرة غرسها مؤسس الدعوة الاسماعيلية في أرض يونانية ، ويفصل القول في هذا الصدد فيقول : إن الذي يظهر من سيرة ابن سينا (٣٧٠ – ٤٢٨) انه رجل دين وسياسة كما كان فيلسوفا في عصر كانت فيه السياسة والدين وجهين متلازمين للدولة والحكم ، تولى الوزارة لبعض الأمراء البويهيين وكان هؤلاء زيدية ، وتعرض للسجن والقتل غير مرة ، لأسباب سياسية ، وأصبح طبيبا ونديما لعلاء الدولة الذي اتهم بالزندقة لملازمته إياه ، وكان الناس في أصبهان ينظرون الى ابن سينا كزنديق ، لحياة اللهو التي كان يحياها ، فقد كان من أصحاب الكأس والطاس ، وكان ينزع في حياته الشخصية نزعة ابيقورية مغرقة في اللذة والحس والشهوة وقد وصفه ابن خلكان في أيام حياته الأخيرة بالافراط في الشهوات والأكل ، ولقد كان ابن سينا من أكبر أعداء السلطان محمود الغزنوي وكان الغزنويون أعداء الاعتزال والباطنية والفلسفة الالهية ، ولو كان السلطان عثر عليه في (الري) لقتله على وجه التحقيق ، وقد هرب

ابن سينا من الري قبل وصول السلطان وكان دائم الهروب من كل أرض تمتد اليها يد الغزنويين وكان الغزنويون موالين للدولة العباسية ومسنودين من دار الخلافة ، وكان ابن سينا بذلك من أعداء الدولة العباسية ، ولم يكن ابن سينا من الشيعة الاثني عشرية اذ كان والده باطنيا اسماعيليا ، كما أن البيت الذي نشأ فيه كان مفتوحا للدعاة الاسماعيليين ، أي لرسل الفاطميين الذين يحكمون مصر ويطمحون الى حكم الشرق الاسلامي وكان ولاء ابن سينا للفاطميين الاسماعيليين شرا ، وكان ابن سينا قد وجه منذ مطالع صباه وجهة اسماعيلية باطنية صرفة عندما دفعه أبوه الى دراسة الرياضيات والفلسفة ، وكان ذلك بوجه عقائدي من أبيه ومن القاعدة الأساسية للعقيدة الاسماعيلية ، وقد ورث ابن سينا (نظرية الفيض) من الفارابي ومن إخوان الصفا وهي تعود بالأصل الى أفلوطين ومدرسة الاسكندرية . وخلاصتها عن ابن سينا : «ان الله – تبارك وتعالى . جل وعلا عما يقولون – عقل محض وانه يعقل ذاته ، دائم التأمل فيها ، ولما كان التعقل هو علة الوجود فقد فاض عن الله بالضرورة موجود واحد هو العقل الأول وعنه فاض ثان .. الى العقل العاشر وهو العقل الفعال الذي فاض عنه عالمنا الأرضي الذي نعيش فيه) .

والنظرية زائفة وفاسدة وقد كشف علماء المسلمين عن زيفها واضطرابها وبُعدها تماما عن مفهوم الاسلام وقد ذكر الفارابي مع أسماء الدعاة الاسماعيلية ، ويرى ابن سينا ان الله يعلم الكليات دون الجزئيات وانه اذا علم الجزئيات فانه يعلمها بمعانيها وليس بأعيانها وشخوصها وهذا يخالف مفهوم الاسلام الصحيح ومنطق القرآن نفسه (ماتسقط من ورقة إلا يعلمها) .

وغاية القول أن ابن سينا كشف في نهاية كتابه (الارشادات والتنبيهات) عن هويته التي أخفاها كثيرا عن الناس في أبحاثه محاولا أن يصور نفسه بصورة العالم المتخصص فهو يسجل في الوصية التي يوصي بها اتباعه روحا باطنية واضحة ويقدم منهجا باطنيا صريحا شبيها بمنهج إخوان الصفا والفلسفة الاسماعيلية ويوصي أتباعه ألا يذيعوا أسرار الحكمة الشرقية الا لمن يثقون بنقاء سريرتهم وطلب من خلصائه أن يقرؤوه في حلقة مغلقة وأن يدرسوا الحالة النفسية لمن يريدون ضمهم الى مذهبهم مع أخذ العهد على المريدين أن يسلكوا مسلكهم مع الذين سيوكل اليهم فيما بعد مهمة جذبهم الى هذا المذهب السري الباطن ، وهذه الوصايا تشبه وصايا الباطنية وقد تحدث الدكتور محمود قاسم عن ابن سينا في بحث مطول وكشف القناع عن حقيقته فقال انه حرص على تأويل النصوص الدينية تأويلا باطنيا حتى يجعلها على وفاق مع فلسفة الخاصة ، وهي فلسفة اشراقية في المقام الأول ، وانه خصص أمسياته للسمر والشراب والسماع وطلب المتعة ، وكان مسرفا على نفسه فلم يعن بعلاج المرض الذي أصابه ولم يتحفظ في شرابه وطعامه فمات في السابعة والخمسين وقال إن نظريته في الفيض مأخوذة مما أورده بطليموس عن العقول كما تأثر في قصيدة النفس بآراء أفلاطون .

كذلك فقد ذكر الباحثون أن الفارابي ، فسر النبوة في كتابه (المدينة الفاضلة) على أساس تعاليم الباطنية .

وبعد فهذا ما أردت أن أوجهه الى شباب الاسلام المثقف الذي تقع في يده دراسات كتاب كبار ، وأسماء لامعة عن الفارابي وابن سينا فيخدعون بها ولا يعرفون ما وراء الصورة البراقة التي يقدمها هؤلاء ، ولقد كُتبت في السنوات الأخيرة ، مقالات كثيرة عن الفارابي وابن سينا في المجلات الاسلامية بالذات كلها خلط وزيف وافتراء ولكن هذه هي الحقيقة خالصة لوجه الله تعالى والله من وراء القصد .

●

مقدمة في فقه اللغة العربية
للدكتور لويس عوض

- **محاولات لويس عوض حلقة جديدة من حلقات الحرب المعلنة ضد اللغة العربية الفصحى**
- **وليس له دليل علمي أو تاريخي أو حتى مجرد افتراض يؤيده في دعواه الباطلة**

ما تزال المؤامرة على (الفصحى لغة القرآن) مستمرة منذ قدم النفوذ الاجنبي الى العالم الاسلامي وحاول السيطرة عليه ، ومنذ ذلك الوقت ما تزال المعاول تضرب في جدار اللغة العربية بهدف ادخال (الفصحى) الى المتاحف كما دخلت اللغات اليونانية واللاتينية والسريانية والفرعونية وعشرات من اللغات ولكن هيهات فإن اللغة العربية الفصحى خالدة باقية لأنها تحمل على جناحيها آيات القرآن الكريم التي لاتزول .

والمؤامرة في هذه المرة تلبس ثوب البحث العلمي وتحاول أن تعتمد على بعض النصوص ، التي وردت في كتابات الباحثين المسلمين في فترة من الفترات التي غلبت فيها الفلسفة اليونانية وتأثر بها بعض العلماء أو بعض الشعراء على النحو الذي نراه في كتابات المعتزلة عن قضية (خلق القرآن) على النحو الذي كتبه القاضي عبدالجبار أو من تأثر بالمفاهيم اليونانية الفلسفية من الشعراء أمثال أبي العلاء المعري ، وحتى هذه النصوص التي حشدها الدكتور لويس عوض لم يؤت القدرة على فهمها كما أراد أصحابها ، وكان قد أعدها للاستشهاد بها – أو أعدت له – بفكر مسبق واضح لتوجيهها وجهة تتناسب مع الطعن على القصيدة واللغة .

ونحن نعرف أن قضية الفلسفة اليونانية وترجمتها الى اللغة العربية وتأثيراتها ليست قضية مستقلة ، وانما هي موجة من موجات هذا الفكر . وقد واجهها العلماء المسلمون بالرد الواضح الحاسم الذي زيف هذه الآثار التي بثتها بعض أقلام الفلاسفة أو الكتاب أو الشعراء .

وقد كان واضحا وضوحا لاشك فيه : أن علوم فقه اللغة والنحو والتاريخ قد نشأت نشأة طبيعية وترعرعت وتكامل مفهومها الاسلامي قبل ترجمة الآثار اليونانية ، وهي علوم اسلامية أصيلة ، لم تتأثر بالفكر اليوناني وانما الذي تأثر به هو علم الكلام والبلاغة وهي تأثرات لم تستمر كثيرا ، فإن المحاولات التي قام بها بعض الباحثين للتأثير بها على المضامين الاسلامية الاصيلة قد لفظتها اللغة والآداب العربية كما يلفظ الكيان القوي أي جسم غريب يحاول اختراقه ، ولذلك فانه سرعان ما ارتفعت (صيحة الاصالة) التي حررت الفكر الاسلامي كله من هذه التأثيرات وبرز مفهوم السنة

الجامعة الذي استصفى وصهر في أعماقه كل ايجابيات فرق المعتزلة والشيعة والخوارج ، ولم تبق هذه الكتابات الا بمثابة وثائق تاريخية ، ولكن التغريب والاستشراق يحاولان اعادة هذه القضايا الجزئية خارجة عن اطارها في المعركة العامة بين الفلسفات اليونانية وبين أصالة الاسلام التي ردت كل ما يتعارض مع التوحيد الخالص ، وقضية (خلق القرآن) هي احدى القضايا التي جرت حولها أبحاث كثيرة وانتهى الرأي فيها الى مفهوم أهل السنة وهو أن كلام الله غير مخلوق . ومن هنا فإن كتابات أمثال القاضي عبد الجبار التي جعلها لويس عوض شعاره في دعاويه الباطلة ليست مقبولة تماما في نظر الدارسين الاسلاميين لأنها ارتبطت بالتبعية للفكر اليوناني .

ومن هنا فإن هذه المحاولة التي يقدمها الدكتور لويس عوض في كتابه : (مقدمة في فقه اللغة العربية) ليست الا حلقة جديدة من حلقات الحرب المعلنة المتصلة ضد اللغة العربية الفصحى التي يقودها التغريب والغزو الفكري والاستشراق والتبشير والتي كان الدكتور لويس عوض من أكبر خدامها منذ ظهر ديوانه (بلوتولاند) الذي طبعه عام ١٩٤٧ . وأعلن فيه الحرب على الفصحى وما يتصل بذلك من دعوته الى العامية وكسر عامود الشعر ، وكان قد ادعى من قبل ان استخدام العامية سيؤدي بعد قرنين الى ترجمة القرآن الى العامية ، وقد أراد الدكتور لويس عوض في كتابه الجديد : الدخول الى هذا الموضوع بأسلوب جديد ، ومن ذلك دعاوي زائفة منها دعواه الباطلة بأن العرب لم يكونوا الا قوما من القوقاز هاجروا الى الجزيرة العربية وقد ادعى هذه الدعوى المعارضة لطبائع الاشياء ولمختلف صور الهجرات التي تأكد أنها تخرج دائما من الارض الجافة الى الارض الخصبة ، معارضا الحقيقة الواضحة من أن الجزيرة العربية هي التي كانت منطلقا لهجرات كثيرة منها الى خارجها ، ولكن الدكتور لويس عوض يعارض كل نواميس الكون والحضارة من أجل أن يصل الى غرض خبيث بعيد المدى ، هو الادعاء بأن اللغة العربية ليست الا فرعا من فروع الشجرة التي خرجت منها المجموعة الهندية الاوروبية وأن هناك من الادلة ما يشير الى وجود علاقة بين العربية وبين القوطية والجرمانية القديمة .

وبدلا من أن يقال : ان اللغة العربية قد دخلت اليها عشرات أو مئات الكلمات من اللغات الاجنبية يجيء الدكتور لويس عوض ليعلن هذا الرأي الفطير الذي لم يقدم له أي دليل علمي أو تاريخي أو حتى مجرد افتراض افترضه باحث قبله فهو يحاول القاء هذه الشبهة على نحو غريب لم يعهده البحث من العلماء الذين يقدمون بين يدي أبحاثهم الوثائق والاسانيد ويقول في جراة غريبة :

«ولقد انتهيت من أبحاثي أن اللغة العربية هي احدى فروع الشجرة التي خرجت منها اللغات الهندية الاوروبية» .

ثم يصل بعد الى أن تعتبر اللغات اليونانية فرعا من هذه الشجرة ، واللغات العامية فرعا آخر ، فيقول :

فالامر إذن لايتجاوز أن يكون مجرد اقتباس اللغة العربية لمئات الالفاظ أو آلاف الالفاظ من اللغات الهندية الاوربية المحيطة بها كاليونانية واللاتينية والهندية وأكثرها من الفاظ الحضارة كما كان يظن بعض فقهاء اللغة ، لأن اللغة العربية كغيرها من اللغات السامية ليست في صلبها وسمتها الاصلي الا تطورا طبيعيا من نفس الجذور التي خرجت منها السنسكريتية وايرانية الزند واليونانية واللاتينية والمجموعة التيوتونية وان ما نجده من أسماء الاعداد والحيوانات والنباتات مشتركة في الجذور يشتبه في أن هذا التواتر ليس نتيجة للتأثير والتأثر وانما هو نتيجة لوحدة في الاصول .» .

ولا ريب أن هذه النظرية باطلة تماما ومرفوضة أساسا لانها لايقوم عليها أي دليل علمي ولا سند واضح وانها ليست سوى فرضية تحيطها كلمات الاحتمال المغرض الذي يطوي من ورائه غرضا مبيتا وهدما مقصودا لايخرج عن الخط الذي سار عليه الدكتور منذ مطالع حياته .

ولقد ترددت محاولات الدكتور لويس عوض بين امتعاض اللغة العربية والغض من قدرها أو محاكمتها الى فهم علم اللغات الغربي الذي وضع تحت ضوء تطور اللغات الاوربية بعد انفصالها عن اللاتينية وتحولها من لهجات محلية الى لغات ، هذه الظاهرة التي تختلف فيها عن اللغة العربية التي حماها القرآن من التحول الى لغة تاريخية كما تطمح أهواء الاستشراق وكما جرت المحاولات المتعددة لاعلاء العاميات العربية بهدف القضاء عليها دون جدوى ، وان محاولة إخضاع اللغة العربية لعلم اللغات الاوربية هي محاولة فاسدة ومضللة .

واذا كان الدكتور لويس عوض يحاول ان يغض من شأن العرب واللغة العربية لأنها من نتاج الالف الاولى قبل الميلاد وقد سبقتها أمم وحضارات كأشور وبابل والبطالمة ويونان ومملكة سبأ ومعين وفينيقيا فأين هي الآن هذه كلها من العرب الذي خلد ملكهم باللغة العربية التي اتخذها القرآن الكريم أداة له وهي اللغة التي لم يقل العرب – قبل الاسلام – يوما انها مقدسة وإنما كرمها نزول القرآن بها وأعطاها هذه الميزة التي تعلو بها وتختلف عن اللغات التي نزلت بها التوراة (العبرانية) والانجيل (الارامية) وهي لغات انطوت وانتهت بالرغم من محاولة إحياء الصهيونية لغة جديدة عبرية تختلف عن لغة التوراة الاولى .

والدكتور لويس عوض يعرف كيف سيطرت اللغة العربية بفضل حملها رسالة القرآن على اللغات المختلفة التي كانت تعيش في هذه المنطقة كالارامية والقبطية وغيرها وكيف قطع القرآن الامتداد التاريخي في هذه المنطقة بين ألف سنة من حكم الرومان والفراعنة وبين ظهور الاسلام ، وكيف انتهت وثنية فارس والهند والرومان عن هذه المنطقة العربية ، هذا الانقطاع التاريخي الذي تحدث عنه المؤرخون المنصفون من غير ذوي الاغراض والاهواء .

والدكتور لويس عوض يعرف أن هذه «السامية» المدعاة هي زيف من الزيف وأنها ليست حقيقة تاريخية ، وانما هي من مبتكرات أحد المتزلفين الى اليهود حتى تنسب اليها أمجاد التاريخ العربي القديم وتسلب من أصحابه الحقيقيين وخاصة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وأبناءه وأحفاده واضافة ذلك كله الى مصدر غامض ليس له سند علمي وان كان يستمد مصدره الاساسي من التوراة التي كتبها اليهود بأيدي الأحبار وليست التوراة الحقيقية المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وذلك بهدف اشراك اليهود مع العرب في هذه الامجاد بينما لايوجد لليهود أي اتصال بانشاء هذه الحضارة .

ذلك أن (الابراهيمية الحنيفية) هي أم هذه الحضارة الحقيقية ولما كان مطمح اليهود هو طمس هذه الحقيقة فقد ابتكر (شلوسر) هذه الدعوى السامية اعتمادا على ما جاء في التوراة المحرفة بأيدي الاحبار في بابل ، بينما لم يرد هذا المصطلح مطلقا في كتابات العرب والمسلمين على مدى التاريخ ، وهذا (شلوسر) الذي اتكأ عليه الدكتور لويس عوض في دعاواه هو موضع الشبهة نتيجة لهذه الخطة الواضحة الهدف .

وقد برز هذا المعنى في ظل تقسيم مستحدث ظهر في أوربا في ابان استعلاء نزعة العنصرية الاوربية التي قسمت العالم الى ساميين وآريين لتضع العرب والمسلمين في قائمة موازية للجنس الآري غير ان المحاولة التي رمت الى ترويج مصطلح (السامية) في دراسات اللغة في الجامعات إنما كان يرمي الى حجب الابراهيمية الحنيفية الام الحقيقية للعرب والعربية وهي محاولة ماكرة خطيرة تهدف الى نسبة أمجاد التاريخ الاسلامي الى اسم قديم لايعرف التاريخ له مصدرا واضحا أو صحيحا .

وقد عرف الغربيون اليوم وبأكثر من دليل علمي أن التوراة التي في أيدي الناس اليوم هي توراة مكتوبة بأيدي الاحبار ، وقد تطور الفكر الاستشراقي مرحلة أخرى هي التي يقدمها لنا اليوم الدكتور لويس عوض بدعواه ان اللغة العربية فرع من شجرة واحدة مع اللغات اليونانية .

تتـركز دعوى لويس عوض على : أن العرب بصفة خاصة والساميين بصفة عامة منذ فجر التاريخ كانوا يقطنون مكانا آخر غير الجزيرة العربية وأن الجزيرة العربية لم تكن مهدهم الاول بل قدموا اليها من مكان آخر ، وهو مكان مشترك نزل فيه الساميون والاريون جميعا ، وأنه لايوجد جنس يسمى بالساميين الا في إطار الشجرة العامة الهندية الاوربية ويضيف الى ذلك قوله : ان السكان العرب لم يهاجروا من داخل شبه الجزيرة بل على العكس كانت الهجرة من خارج الجزيرة الى داخلها» .

وهذه مغالطة واضحة وادعاء باطل لاهد ف له الا الغض من شأن مكانة اللغة العربية والقول بأنها واحدة من اللغات التي نزلت بها الكتب المقدسة من ناحية وأن ما يقال عن اعجاز القرآن لايعدو أن يكون في صرف الله قلوب العرب عن محاولة الاتيان بمثله وهو ما يقول به فريق من المعتزلة وقد كذبه الاصوليون المسلمون .

وقد التقط الدكتور لويس عوض بعض العبارات من كتب فقه اللغة ليثير بها الشبهات حول اعجاز القرآن ، وهاجم الدكتور لويس عوض ما أسماه تطرف الاحساس بشرف اللغة العربية وعلوها على غيرها من اللغات بعد نزول القرآن بها .

ويسـوق الدكتور عبدالغفار حامد تسعة أدلة علمية يثبت بها أن اللغة العربية ذات طريقة خاصة تختلف في جوهرها عن اللغات الهندية الاوربية التي يزعم لويس عوض أن العربية جزء منها أو نتـاج للتفاعل معها وتتلخص الادلة التي ساقها في بيان طريقة التعبير في العربية : الجملة في العـربية نوعان : اسمية وفعلية ففي الاسمية يوضع المسند اليه (المبتدأ) في الصدر وتكون بقية الجملة مسندا يخبرنا بشيء من ذلك المسند اليه – المبتدأ أو الخبر – ولا توجد رابطة بينهما من فعل مسـاعد أو غيره To be **كما هو الحال في مجموعة اللغات الهندية الاوربية ، وهذا الاختلاف الجوهري يعد دليلا على تهافت رأي الدكتور لويس .**

كذلك يحاول ان يتخذ من القول بقدم القرآن سلّماً يصل فيه الى تأثر المسلمين بالنصارى الذين قالوا بقدم الكلمة في زعمهم ، والدكتور لويس يلجأ في هذا الى طريقة المشبهة والمجسمة الذين تناسوا قول الله تعالى (ليس كمثله شيء) ولهذا وقع الدكتور في خطأ يسره له وسهله في نظره ايمانه بالثالوث المزعوم وبأن لله ولدا سبحّانه وتعالى ، وفي الاسلام كلام الله النفسي قديم ليس بمخلوق أما حروف القرآن وكلماته المنطوقة فهي حادثة .

ويزعم الدكتور لويس أن الخوارج والشيعة والمعتزلة كلها كانت ثورات مضادة لشرف قريش وسيادتها ، وكان الهدف منها اسقاط قريش من هذه المنزلة ، وبالتالي ينسحب هذا على العرب من وراء ذلك كله على لغتهم وهذا كلام ساقط ، فالامر ليس كما زعم . ولا يتورع الدكتور عن اتهام العلماء العرب بالتعصب بل والتطرف في العصبية وهو ما لم يقم عليه دليل ، اللهم الا اذا كان الحقد قد أضيف الى قوائم الادلة العلمية ويكشف الدكتور لويس عوض عن حقيقة نواياه فيقول :

إن نظرية التعصب للغة العربية يجعلها لاتقبل الالفاظ الدخيلة هو السبب في دخول العربية في مأزق شطرها الى لغتين : لغة الكتاب المقدسة ولغة الكلام الدارجة ولو أننا أخذنا بمبدأ التعريب والامتصاص والتمثيل اللغوي السائد في جميع اللغات لتغيرت حال معاجمنا ولجرت قوانين الصيرورة على النحو العربي والصرف العربي بما يقرب اللغة الفصحى من اللغة العامية .

نعم هذا ما يريده لويس عوض للعربية لغة القرآن : يريد لها الفناء بالانصهار مع الزمن في غيرها ليصير القرآن أبعد عن التأثير في حياة المؤمن ، وهذا شبيه بما عرف من أن اليازجي

كان قد شرع في تصحيح لغة الانجيل مما يشوبها من ركاكة الا أنهم أشاروا عليه بالكف عن ذلك حتى لايكون فيه تدعيم للعبارة القرآنية أو لغة القرآن ، ويأتي لويس عوض هنا ليهدم العبارة القرآنية بالمكر والدهاء فهو يتمنى أن يرى اللغة العملاقة التي صرعت غيرها صريعة قلمه الواهي ولكن انّى له ولأمثاله .

ويقـول الدكتـور محمد عبدالرحمن خوض : وفي الحقيقة أن علماء العرب لم يكونوا متعصبين وكانوا في دراستهم موضوعيين الى ابعد الحدود فلا مجال لما يقوله لويس عوض وغيره مما لايقوم عليه دليل صحيح وبرهان ناضج .

وتشير وجهة الدكتور لويس الى هدف خفي يرمي اليه : هو هدم التوحيد في الاسلام وان أمر الربط بين الالفاظ العربية وألفاظ اللغات الأخرى لايمكن أن يتم على تلك الصورة التي حاولها لويس عوض بين كلمتي (خمت) و (صمد) لاينبغي أن يتم على تلك الصورة التي تخرج من نطاق المقـارنات المبنية على علم الاصوات الحديثة وهي محاولة عرجاء بل عمياء اذ لم يحاول صاحبها ان يرجع الى الاصول اللغوية الشرعية بل ساق الشبهة بلا دليل .

ولا ريب أن الربط بين كلمة خمت المصرية وصمد العربية في محاولة ليقول أن الصمدية تعني الثالوث أو الثلاثة وقد حاول الدكتور لويس بجرأة وحقد غريبين أن يجعل كلمة (صمد) الاسلامية تساوي كلمة (خمت) المصرية التي تعني (ثلاثة) ومحاولة الدكتور في الربط بين كلمـة خمت المصرية وصمد العربية حيث لايوجد بينهما أي تشابه هي وسيلة من وسائل المستشرقين في الاستنتاج بما يخالف الاسس العلمية من أجل اثارة الاهواء والاحقاد والطعن على القرآن الكريم فضلا عما يصل بذلك الى تشكيك في وحدانية الله الخالصة من شوائب الشرك ولم يقدم لويس عوض أي دليل مقنع للارتباط بين الكلمتين الا محاولات ضالة لاغراق القارىء في متاهات وليس في التشابه بين الكلمتين ما يدعو الى أن يكون مدلولهما واحدا ، ذلك أن الربط بين حرف الخاء الحلقي وحرف الصاد الصفيري لايعني الا العبث والافساد المقصود كما يقول الدكتور ابراهيم عوضين .



● الأغاني كتاب شعوبي مؤلفه عدو للاسلام ؟
● ألف ليلة كتاب لقيط ليس له مؤلف !!

ركز التغريب والغزو الثقافي على كتابي (الاغاني وألف ليلة) تركيزا شديدا ، بهدف رفعهما الى مرتبة المراجع الأساسية التي يعتمد عليها في تصوير المجتمع الاسلامي مع تجاهل عيوب الكتابين التي تحول دون اعتمادها في المصادر الموثوق بها ، أما الأول فكاتبه شعوبي عدو للاسلام وأما الثاني فهو كتاب (لقيط) ليس له مؤلف !.

أمـا كتاب الأغاني فهو موسوعة في بضع وعشرين مجلدا وضعها (أبو الفرج الأصفهاني) ليسامر بها الأمراء والفارغين من المترفين في أسمار الليل ولم يقصد بها الى العلم أو التاريخ ، وكان الأصفهاني في نفسه إنسانا رافضا لمجتمع المسلمين والعرب وله ولاء بالمولد والفكر جميعا الى خصوم المسلمين والباطنية والرافضة وغيرهم ، ولم يكن عمله هذا الا نوعا من الحرب العنيفة التي شنتها الشعوبية على الاسلام والمسلمين ، رغبة في هدم فكرهم كوسيلة الى هدم مجتمعهم .

ولقد حرص التغريب وأصحاب نظرية النقد الادبي الغربي الوافدة على إلقاء الأضواء الساطعة على هذا (الكتـاب واحيـائـه) واعتبـاره مرجعـا في الدراسات الأدبية ، ومصدرا لتصوير المجتمع الاسلامي . وكان الدكتور طه حسين جزاه الله بما هو أهله من أبرز من دعوا الى ذلك وألحوا عليه فقد عمد الى «الأغاني» نفسها فأصدر اعتمادا على قصصها أحكاما زائفة على مجتمع المسلمين وتاريخهم أراد بها المساهمة في عملية التغريب الضخمة والتي كانت تجري في الثلاثينات من هذا القرن .

الأصفهاني ... شعوبي :

على أن أقل مواجهة لسيرة الأصفهاني تكشف عن أنه كان من الشعوبيين وقد عرف بالتحايل والاغراق وأثبت كثير من الباحثين والمؤرخين أنه لم يكن مؤرخا ، وأكدوا أن كتابه لا يصلح لأن يكون مادة تاريـخ ، وانما هو جماع لقصص وجدها في الكتب والأسواق وأراد بها أن يسجل للاغاني ، والمغنين ، وهو جانب واحد من حياة المجتمع الاسلامي الحافل بالجوانب السياسية والاجتماعية والفقهية والصوفية .

● لماذا يركز التغريب على كتاب الاغاني ويعتبره مرجعا للدراسات الأدبية ؟

● كتاب الاغاني حافل بأخبار الخلاعة والمجون وسقطات الشعراء وهفوات الكتاب .

وقد شهد عليه الكثير من معاصريه ومؤرخيه بالانحراف ودمغه المؤرخ اليوسفي بشهادة هي في نظر العلماء كمصدر موثوق به إذ قال :

«ان أبا الفرج أكذب الناس لأنه كان يدخل سوق الوراقين وهي عدة من الدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري منها شيئا كثيرا من الصحف ويحملها الى بيته ، ثم تكون رواياته كلها منها» .

وذكر عنه صاحب معجم الادباء (ج٥ ص١٥٣) قوله : (كان شأنه في معاقرة الخمر ، وحب الغلمان ووصف النساء شأن الشعراء والأدباء الذين كانوا في عصره أو قبله ، حيث يقدم دقاهين الخمارين وجلهم من النصارى واليهود والصابئين والمجوس وقد عرف بمعاقرته للخمر ولم تكن له عناية بتنظيف جسمه وثيابه) .

وقال عنه الصابي في كتابه الذي ألفه في أخبار الوزير المهلبي : (وكان أبو الفرج الأصفهاني وسخا قذرا لم يغسل له ثوبا منذ فصله الى أن قطعه ، وكان الناس يحذرون لسانه ويتقون هجاءه ، ويصدون عن مجالسته ومعاشرته على كل صعب من أمره لأنه كان وسخا على نفسه وثوبه ونعله) .

وحكى القاضي أبو علي المحسني التنوخي في كتابه (نشوار المحاضرة) أن أبا الفرج كان أكولا نهما وكان اذا أطال الطعام وثقل على معدته تناول خمسة دراهم فلفلا مدقوقا فلا تؤذيه ولا تدمع له عيناه وبعد ساعة أو ساعتين يفصد . أي يعرق .

ولست أدري كيف يصلح مثل هذا الكتاب مرجعا في نظر الباحثين ، أو يمكن أن يؤتمن على رأي أو قول ، ولقد عودتنا مناهج الفكر الاسلامي أن ننظر الى كاتبه فان وجدناه أمينا كريما موضع تقدير الناس بالصدق والحق قبلنا منه والا رفضنا ما يقدمه ، ولو كان صادقا في بعضه .

وقد أشار الدكتور زكي مبارك في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع الهجري) الى مكانة الاصفهاني وكتابه الأغاني في بحث مطول نجتزىء منه : (وشهرة الأصفهاني وكتابه مستفيضة وانما أريد هنا أن أنص على ناحيتين في الأصفهاني وكتابه لم أجد من تنبه لهما من الباحثين ، ولهاتين الناحيتين أهمية عظيمة في فهم الحياة الأدبية وسيكون لهما أثر عظيم في دعوة المؤلفين الى الاحتياط حين يرجعون الى كتاب الأغاني يلتمسون الشواهد في الأدب والتاريخ :

(كتاب مجون .. وخلاعة)

(الناحية الأولى) : خاصة بالأصفهاني ، تلك الناحية هي خلقه الشخصي . فقد كان الأصفهاني مسرفا أشنع الاسراف في الملذات والشهوات وقد كان لهذا الجانب في تكوينه الخلقي أثر ظاهر في كتابه فان كتاب الأغاني احفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون . وهو حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة في أخلاقهم الشخصية ويهمل الجوانب الجدية اهمالا ظاهرا يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجد والرزانة والتجمل والاعتدال . وهذه الناحية من الأصفهاني أفسدت كثيرا من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه ، ونظرة فيما كتبه جرجي زيدان في

● كتاب ألف ليلة وليلة تراث هندي ايراني سابق للاسلام ويتخذ كوسيلة من وسائل الترف .
● أول من اهتم بألف ليلة كان جاسوسا انجليزيا

كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) وما كتبه الدكتور طه حسين في (حديث الأربعاء) تكفي للاقتناع بأن الاعتماد على كتاب الأغاني جر هذين الباحثين الى الحط من أخلاق الجماهير في عصر الدولة العباسية وحملها على الحكم بأن ذلك العصر كان عصر فسق وشك ومجون .

ولا شك ان إكثار الأصفهاني من تتبع سقطات الشعراء وتلمس هفوات الكتاب جعل في كتابه جوا مشبعا بأوزار الاثم والغواية وأذاع في الناس فكرة خاطئة هي اقتران العبقرية بالنزق والطيش . أما (الناحية الثانية) هي خاصة بكتاب الأغاني : تلك الناحية هي نظم ذلك الكتاب ففي مقدمته عبارات صريحة في الدلالة على أن مؤلفه قصر اهتمامه أو كاد على امتاع النفوس والقلوب والأذواق ، فهو كتاب أدب لا كتاب تاريخ ، وأريد بذلك أن المؤلف أراد أن يقدم لأهل عصره اكبر مجموعة تغذى بها الأندية ومجامع السمر ، ومواطن اللهو وانه ليحدثنا في المقدمة بأنه أتى في كل فصل من كتابه بفقرة اذا تأملها قارؤها لم يزل متنقلا بها من فائدة الى مثلها ، ومتصرفا فيها بين جد وهزل ، وأخبرنا بعد ذلك بأنه اهتم بالغناء الذي عرف له قصة تستفاد وحديثا يستحسن وعلل ذلك بقوله : «إذ ليس لكل الأغاني خبر تعرفه» .

احذروا «الأغاني» :

وقال زكي مبارك : والخطر كل الخطر أن يطمئن الباحثون الى أن لروايات الأغاني قيمة تاريخية ، وأن يبنوا على أساسها ما يثيرون من حقائق التاريخ ، ولا سيما أن صاحب الأغاني يصارحنا بأن «في طباع البشر الانتقال من شيء الى شيء ومن معهود الى مستجد» .

ولقد كان من أخطر أعمال التغريب هو توجيه الباحثين الى اتخاذ الأغاني ، مصدرا لدراسة المجتمع الاسلامي بينما قصر عند جانب واحد هو جانب اللهو ، ولم يتعرض للجوانب الأخرى الجادة في المجتمع وهي متعددة ومن هنا يوحي حين الاعتماد عليه كمصدر أن الحياة الاسلامية في القرن الثاني الهجري كانت لهوا وهو ماصرح به طه حسين ورده الكثيرون وكشفوا زيفه ..

كذلك اعتمد المستشرق لامنس على كتاب الأغاني في كتابه تاريخ بني أمية , وكذلك ما أورده المستشرق فلهو زن في كتابه (الدولة العربية وسقوطها) بل ان بعض من نقدوا زكي مبارك من دعاة التغريب لما اعتبروه جرأة على مصادرهم أمثال (صاحب الاغاني) قرروا فيه ما قررنا ، يقول جبرائيل جبور رئيس الدائرة العربية في جامعة بيروت الامريكية (أريد أن أذهب الى أبعد من هذا فازعم أن في الأغاني كثيرا من الأخبار الملفقة التي ربما تكون قد جازت على أبي الفرج فأوردها) .

ويحاول جبور عبد النور أن يدافع عن الأصفهاني فيسأل : «أمن الضروري ان كان المؤرخ فاسقا أو مسرفا يتتبع الاسراف في اللذات والشهوات ، أن لا يكون مؤرخا وألا يكون صادقا فيما يروي أو يقول أو يكتب» .

ونحن نقول له نعم : في فكرنا الاسلامي فان لم يكن في الفكر الغربي كذلك فهذا أمر آخر ، ان فكرنا الاسلامي وضع قواعد البحث والنقد والعلم على أساس الارتباط الجذري بين علم الباحث وشخصيته فان كان منحرفا في حياته مضطربا في شخصيته بعيدا عن الأخلاق والدين فنحن نرفضه

مصدرا علميا ولا نقبل له شهادة والأصفهاني بشهادة الجميع من أنصاره وخصومه على السواء مهدور الرأي ساقط الشهادة ، وأن فسقه الشخصي قد أدخل كثيرا من هواه على ما أورده فضلا عن انحرافه الفكري والعقائدي والاجتماعي مما يفسد اراءه إفسادا ، بالاضافة الى أن كتاب الاغاني ليس مرجعا علميا ولكنه من كتب التسلية والسمر التي كتبت لتزجية فراغ بعض المترفين ، ومن هنا فانه لا يصلح أساسا كمصدر للعلم أو مرجعا للبحث في الأدب والتاريخ .

ألف ليلة وليلة :

أما كتاب ألف ليلة وليلة فهو كتاب ملفق ولقيط ولا مؤلف له وقد جمع في عصور مختلفة وأغلب ما فيه مما يصور البيئات الاجتماعية قبل الاسلام ، في فارس والهند وبلاد الوثنية ، ومن هنا كانت خطورة المحاولات المتعددة التي جرت وتجري لاعتبار القصص الذي يضمه ممثلا لحياة المسلمين بصفة عامة بينما تكشف أقل مراجعة لمصادر ألف ليلة عن أنه تراث ايراني هندي سابق للاسلام وانه لا يمثل بحال صورة المجتمع الاسلامي العربي أو مفاهيم الفكر الاسلامي .

وقد حكى المؤرخ الكبير المسعودي المتوفي ٩٥٦م (القرن الثالث الهجري) في كتابه (مروج الذهب) عن وجود كتاب قديم بالفارسية أو بالفهلوية يحكي عن ملك وعن بنت وزيره (شهرزاد) وخادمتها (دين زاد) وقد أشار اليه ابن النديم مؤلف الفهرست المتوفى ٩٠٥هـ مجملا . وقال انه كتاب الحماقة والسيئات ، كما أشار اليه المؤرخ القرطبي وقد كانت كل اشارات المؤرخين المسلمين اليه اشارات تحمل طابع الرفض والامتهان ، والنص على أنه مصدر ساقط في أنظار العلماء والباحثين على حد عبارة (دكتور سنيتي كمار جترجي) في مجلة ثقافي الهند (يناير ١٩٦٣) .

أساطير هندية وفارسية :

ومعنى هذا أن لكتاب ألف ليلة وليلة أصلا كان سابقا للاسلام وان مصدره أساطير هندية وفارسية وقد ظل العرب يتناقلونه بعد ترجمته كوسيلة من وسائل الترف ويضيفون اليه حكايات جديدة ، كما أضيفت اليه في العهود المختلفة وآخرها عهد دولة المماليك مسامرات أهل بغداد والقاهرة ، ومن هنا ترى خطر الاستعانة به كمصدر لدراسة المجتمع الاسلامي ، بل على حد اتجاه بعض المستشرقين ودعاة التغريب من اعتباره مصدرا وحيدا في رسم صورة زائفة .

ومما يذكر أن أول من أبدى اهتماما إزاء ألف ليلة وليلة ، هو جاسوس انجليزي مغامر يدعى (ريتشارد بيرثون) عام ١٨٨٣ وهو واحد من أولئك الذين كانوا يتخفون في زيارتهم للبلاد العربية ويلبسون العباءة العربية أمثال لورنس وفيلبي وكان يطلق على نفسه في دمشق (الحاج عبدالله) والمعروف أنه تصرف في النقل على النحو الذي يخدم أهدافه .

ومن الحق أن يقال انه مهما تكن صورة الحياة التي ترسمها ألف ليلة فهي ليست قطعا صورة المرأة العربية أو المسلمة ، فقد غير الاسلام نظرة المرأة الى الحياة كما غير واقعها تماما فلم تكن في مفهومه ولا في مجتمعه الأصيل أداة جنس أو مصدر غايات حسية (كما يصورها الزنادقة رواة هذا الكتاب) وكما كانت في مفهوم المجتمع الوثني أو الجاهلي ، وحتى بعد أن اضطربت الحياة في المجتمع الاسلامي فقد ظل هناك فارق واضح وحاضر كبير بين من كانوا يسمونها (الغانية) وبين صاحبة الدين ذات الصون والعفاف .

صور مشوهة :

وقـد حوى كتاب ألف ليلة صورا مشوهة عن المجتمع العربي الاسلامي يزيد في زيفها أن قصصه كانت تمثل أمما مختلفة وعصورا متباينة وأن الجانب الأكبر منه كان موجودا قبل الاسلام ، وقد أضاف المترجمون الغربيون بالقصد العمد القائم على التعصب والخصومة ، أضافوا الى بشاعة الصورة التي يحملها الكتاب اضافات زادته فسادا ، فقد أشار (غالان) المستشرق الفرنسي الذي ترجم ألف ليلة لأول مرة عام ١٧٠٤م بأنه «فرنج» الكتاب ليلائم ذوق قارئه ، وأنه ركز على صور الرفاهية والترف وأنه عمد الى رسم ماأسماه «صورة الشرق الحيواني» فأي جريمة هذه .

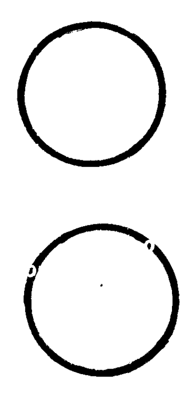
وكان ان استقى من هذه الترجمة مستشرق آخر هو (لين) أرضية كتابه (شمائل المصريين المحدثين) المليء بالزيف والفساد ، وكذلك ألف كثيرون عن المجتمع الاسلامي دراسات اعتمادا على هذه الصـور المضللة ، وقال ريتشارد بيرثون (الانجليزي) في مقدمة ترجمته لألف ليلة : انه انما يتعـرف مواطنـوه بمـا فيـه الكفاية على طباع المسلمين وعاداتهم وأخلاقهم ليكون لديهم الحنكة الضرورية لحكم المسلمين الواقعين ضمن امبراطوريتهم .

وقد أخطأ هذا المستشرق في تقديم هذه الصورة للمستعمرين لأنها زائفة ، لا تمثل حقيقة المجتمع الاسلامي ولا النفس العربية الاسلامية من قريب أو بعيد ، هذه النفس التي بناها القرآن الكريم والسنة المشرفة بالكرامة والغيرة على العرض والسمو فوق الفحشاء ، وكذلك أخطأ المستعمرون في الاعتماد عليها كأساس لمعرفة أخلاق المجتمع الاسلامي المختلف عن ذلك اختلافا كبيرا .

وقد قامت معاهد الارساليات ومطابع الشيوعيين في بيروت بالاحتفال بهذا الكتاب اللقيط ، وطبعوه بالألوان وجعلوه ميسرا في أيدي الناس كما فعلت دار الهلال في مصر العهد السابق .

وقد اتكأ أكثر من مستشرق على كتاب ألف ليلة وليلة بهدف استخراج صورة لما أسموه (الحب في الشرق) مستنتجا اياها من خلال القصص الذي اختلقه الرواة والذي لا يمثل الواقع العربي والاسلامي وجاء التغريبيون الجدد أمثال (توفيق الحكيم وطه حسين) فكتبوا عن شهرزاد مزيدا من القصص الخيالي رغبة في صرف الناس عن واقع الحياة الى خيالات وأوهام» ..

وبعد فليحذر شبابنا المسلم الاعتماد على هذه المراجع الزائفة .



فجر الاسلام

● الفكر الاستشراقي يفتن الاستاذ فيضمنه مؤلفاته دون اسناد لأصحابه حتى ينسب اليه .. ويفوت على القراء كما فات على الأزهر وعلمائه نصف قرن من الزمان

ان كتـابي (فجـر الاسـلام) و (ضحى الاسلام) للاستاذ أحمد أمين (عميد كلية الآداب بالجـامعة المصرية) ١٩٤٠م ، من أشهر الكتب الحديثة المؤلفة في تاريخ العلم والثقافة في عصور الاسلام الاولى .

ومع أن المؤلف معروف لدى الاوساط العلمية بغزارة العلم ودقة البحث وحب التأليف ، فقد وقعت له في هذين الكتابين أخطاء ، لا أحب أن أصفها ، حتى لا أتهم بالمبالغة ، وحسبي أن أقول : انها مما لا يجوز السكوت عليها بحال من الاحوال .

السكوت جريمة :

ولما رأيت أن السكوت عن تلك الأخطاء والتحريفات جناية في حق الدين والعلم ، فقد أسرعت بكتـابة هذا البحث ، في نقد فصل واحد من كتاب فجر الاسلام وهو فصل «الحديث» .. وسيرى القارىء أن الاستاذ أحمد أمين :

أولا : تأثر الى درجة كبيرة ببحوث المستشرقين وكتاباتهم في علم الحديث .

ثانيا : تأثر بآراء رؤوس المعتزلة وطوائف الشيعة ممن يتشيع لبعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم .

ثالثا : استنتج من عنده بعض آراء ليس لها أساس علمي ولا مستند تاريخي صحيح .

رابعا : لم يلتزم الامانة ولا الدقة فيما نقله من النصوص والآثار .

خامسا : لم يعتمد في تاريخ الحديث على كتب علوم الحديث ، بل اعتمد على كتب الاصول ، وخاصة كتاب (مسلم الثبوت) وشرحه ، ومن هنا أورد كثيرا من الاحاديث ، منها ما لم يعثر له على أصل في كتب السنة ، ومنها ما جاء بأسلوب مغاير لما في تلك الكتب .

وقد كان يستطيع الرجوع في معرفة هذه النصوص الى مراجعها الحقيقية ، لولا أنه يسعى الى غرض معين فهو يتصيد الادلة من هنا وهناك من غير تحقيق ولا تدقيق .

الهوى لا يصلح أساسا للبحث العلمي :

وللأستاذ أحمد أمين أسلوب خاص في بث آرائه التي يخالف بها الجمهور ، متبعا فيها بعض ذوي الاهواء من المسلمين أو ذوي الاغراض من المستشرقين ، ومن خصائص هذا الاسلوب أنه يأتي بالفكرة فلا يلقيها اليك في كتابه دفعة واحدة ، ولا يظهرها لك على أنها رأي لمبتدع أو لمستشرق ، ولكنه يوزع شيئا منها هنا وشيئا هناك : متلطفا في الاسلوب ، متظاهرا بالبحث والتحقيق ، ولا ينسى أن

● اختلاف الصحابة حول رأي معين .. نقاش علمي مبـنـي على تفـاوت مراتبهم في الاستنبـاط أو الاجتهاد دون شك أو ريبة أو تكذيب واحد لآخر



الاستاذ أحمد أمين

يستند في خلال ذلك الى نص محرف أو حديث ضعيف أو رأي هزيل ، أو ينسب الى العلماء قولا لم يقولوه ، والى بعض المذاهب آراء لم يذهبوا اليها ، فلا يكاد ينتهي من بحثه حتى يكون قد أحكم بث الفكرة في ثنايا كتابه من غير ازعاج للقارىء ، ولا استفزاز لشعوره .

وبهذا الاسلوب استطاع الاستاذ أن ينجو مما لحق بزملائه من سخط الجمهور ، وأن ينال ثقته باخلاصه وتجرده للحق والعلم .

براعة التشكيك :

وكم كان الاستاذ أحمد أمين بارعا في التشكيك في أحاديث السنة ، مما يدل دلالة قوية على أنه يشك فيها جملة – كما يقول كثير من المستشرقين – وكما قال من قبل بعض رؤساء المعتزلة والفرق الضالة والمبتدعة .

ومما يؤكد هذه الدلالة أن أحد المنتسبين الى الاسلام في مصر ، ممن تلقوا علومهم في جامعات روسيا الشيوعية (يقصد : اسماعيل أدهم أحمد) قام منذ سنين بوضع رسالة عن تاريخ السنة ، انتهى به البحث فيها الى أن هذه الاحاديث التي بين أيدينا ، مشكوك في صحتها على العموم ، ومن مزاعمه أن ما ذهب اليه قد وافقه عليه : فلان وفلان ، والاستاذ أحمد أمين بكتاب أرسله اليه .

وانتـظرنا من الاستاذ أن يكذب هذا الاتهام الفظيع الذي نسبه اليه تلميذ الشيوعيين فلم يفعل ، بل قرأنا له في بعض المجلات الاسبوعية ما يفيد تألمه مما حصل لصاحبه ، وعد ذلك محاربة لحرية الرأي ، وحجر عثرة في سبيل البحوث العلمية الخالية من كل تعصب وهوى ؟؟

نشأة الوضع :

قال أحمد أمين : ويظهر أن الوضع في الاحاديث حدث في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فحديث «من كذب علي عامدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» يغلب على الظن أنه انما قبل لحادثة زور فيها على رسول صلى الله عليه وسلم أ. هـ .

ويقول الاستاذ مصطفى السباعي : ان هذا الذي استظهره أحمد أمين لا سند له في التاريخ ، ولا في سبب الحديث المذكور ، أما التاريخ فقاطع بأنه لم يقع في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن أحدا من الناس زور عليه كلاما ، ورواه على أنه حديث من أحاديثه عليه الصلاة والسلام ، ولو وقع مثل هذا لتوافر الصحابة على نقله لشناعته وفظاعته ، كيف وقد كان حرصهم شديدا على أن ينقلوا لنا كل ما يتصل به صلى الله علبه وسلم .

أما الحديث المذكور فقد اتفقت الكتب والسنة على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) انما قاله حين أمرهم بتبليغ حديثه الى من بعدهم ، وظاهر من الروايات أن النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد علم أن الاسلام سينتشر ، وسيدخل فيه أقوام من أجناس مختلفة فيه بصورة قاطعة حث على وجوب التحري في الحديث عنه ، وتجنب الكذب عليه بما لم يقله .

وليس في هذه الروايات اشارة قط الى أن هذا الحديث قيل لوقوع تزوير على الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

دليل الوضع :

قال أحمد أمين : وحسبك دليلا على مقدار الوضع ، أن أحاديث التفسير التي ذكر عن أحمد بن حنبل أنه قال : لم يصح عنده منها شيء ، قد جمع فيها آلاف الحديث . وان البخاري وكتابه يشمل على سبعة آلاف حديث ، منها نحو ثلاثة آلاف مكررة ، قالوا انه اختارها وصحت عنده من ستمائة الف حديث كانت متداولة في عصره . أ. هـ .

ويقول الاستاذ مصطفى السباعي : ان كثرة الوضع في الحديث مما لا ينكره أحد ، ولكنه عندما أراد أن يستدل على مقدار الوضع فاستشهد بشيئين : أحاديث التفسير وأحاديث البخاري : وظاهر عبارته في أحاديث التفسير أنه يشك فيها كلها . اذ ينقل عن الامام أحمد أنه قال : (لم يصح منها شيء) . مع أنهم قد جمعوا فيها آلاف الاحاديث .

والامام أحمد لا تخفى مكانته في السنة ، فاذا قال في أحاديث التفسير (لم يصح منها شيء) كان ما روى فيها مشكوكا بصحته ان لم يحكم عليه بالوضع ، أليست هذه نتيجة منطقية لكلام الاستاذ !!

الصحيح صحيح دون شك :

أما أحاديث التفسير ، فلا يخفى على كل من طالع كتب السنة أنها أثبتت شيئا كثيرا منها بطرق صحيحة لا غبار عليها ، وما من كتاب في السنة الا وقد أفرد فيه مؤلفه بابا خاصا لما ورد في التفسير عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو الصحابة أو التابعين .

وقد اشترط علماء التفسير على من يفسر كتاب الله عزوجل أن يعتمد فيه على ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك .

وقد جعلوا التفسير بين منقول وغير منقول ، وأوجبوا على المفسر أن يرجع الى الاول ويعرفه . فلو لم يصح منه شيء ، بل لو لم يصح منه شيء كثير ، لما فعلوا ذلك .

أما ما نقله عن الامام أحمد ، فهو يشير بذلك الى ما روي عنه من قوله «ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي» والكلام في هذه العبارة من وجوه :

أولا : أن في النفس من صحتها شيئا ، فان الامام أحمد نفسه قد ذكر في مسنده أحاديث كثيرة في التفسير ، فكيف يعقل أن يخرج هذه الاحاديث ، ويثبتها عن خيرة شيوخه في مسنده .. ثم يحكم بأنه لم يصح في التفسير شيء ؟؟

وأيضـا فمقتضى هذه العبارة : أن يكون كل ما روي عن أخبار العرب ، ومغازي المسلمين مكذوبا من أصله ، وليس هناك من يقول بهذا .

ثانيا : ان نفي الصحة لايستلزم الوضع ، والضعف ، وقد عرف عن الامام أحمد خاصة نفي الصحة عن أحاديث وهي مقبولة ، وقالوا في تأويل ذلك أن هذا اصطلاح خاص به .

ثالثا : ان الامام أحمد لم يقل أنه لم يصح في أحاديث التفسير شيء ، وانما قال «ثلاثة ليس لها أصل» ولا يخفى ما بين العبارتين من فرق ، اذ يحتمل أن يكون مراده نفي أن يكون للتفسير كتاب مأثور ، ولا يلزم فيه نفي صحة شيء من أحاديث التفسير .

رابعا : يحتمل أن يكون مراد الامام أحمد ما صح من التفسير قليل بالنسبة لما لم يصح .

والكلام في أحاديث البخاري :

وننتقل الى أحاديث البخاري وقد زعم الاستاذ أحمد أمين أنهم قالوا : ان البخاري اختار أحاديث كتابه وصحت عنده من ستمائة الف حديث ، ولا أدري من قال هذا القول ؟؟

أما علماء الحديث ورجال المصطلح ، فقد ذكروا أن البخاري لم يجمع في كتابه كل ما صح عنه ، فاذا كان العلماء يقرون أن البخاري لم يخرج كل ما صح عنده ، يكون ما نقله الاستاذ أحمد أمين عنهم نقلا غير صحيح .

التشكيك في الصحابة :

وحاول الاستاذ أحمد أمين التشكيك في عدل الصحابة فقال : الذي جرى عليه العمل من أكثر نقاد الحديث – وخاصة المتأخرين منهم – على أنهم عدلوا كل صحابي ولم يرموا أحدا منهم بكذب ولا وضع وانما جرحوا من بعدهم .

ويقـول الاستـاذ مصـطفى السباعي : مما اتفق عليه التابعون ومن بعدهم ، من جماهير المسلمين ونقاد الحديث قاطبة : (تعديل الصحابة) وتنزيههم عن الكذب والوضع ، هذا هو الواقع والمعروف في هذه المسألة .

ولكن المؤلف لغرض في نفسه – سبق التنبيه اليه – يريد أن يشكك في هذه الحقيقة فزعم أولا أن (أكثر) النقاد عدلوا الصحابة . مع أن النقاد قاطبة عدلوهم لم يشذ في ذلك أحد .

وزعم ثانيا : ان قليلا منهم من أجرى على الصحابة ما أجري على غيرهم ، مع أن هؤلاء الذين تكلموا في الصحابة ليسوا من نقاد الحديث ، ولكنهم من ذوي الاهواء والفرق المعروفة عند المسلمين ، بالتعصب لبعض الصحابة على البعض الآخر .

وزعم المؤلف ثالثا : أن هذا التعديل كان من أكثر نقاد الحديث ، وخاصة المتأخرين منهم ، مع أنه لم يؤثر عن أحد من المتقدمين من أهل العلم – من التابعين فما بعدهم – أنه طعن في صحابي أو ترك الحديث عنه ، أو وضعه في ميزان الجرح والتعديل .

لماذا هذا الزعم ؟

ثلاثة مزاعم يأتي بعضها أثر بعض ، ليس من ورائها الا تهوين القول بعدالة الصحابة على الاطلاق ، وتجرىء ذوي الاهواء في حقهم ، اذا روى عن أولئك الاصحاب ما يخالف أهواءهم ، مع أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم حماة الدين ونقلة السنة وأمناء الشريعة .

ولم يكتف المؤلف بهذا ، بل زاد على ذلك زعما آخر تأكيدا لما رمى اليه ، وتقريرا له في نفس القارىء ، حيث قال بعد ما تقدم :

(ويظهر أن الصحابة انفسهم في زمنهم كان يضع بعضهم بعضا موضع النقد وينزلون بعضهم منزلة أسمى من بعض ..) .

وحاصل كلامه في هذا الموضوع أن الصحابة كان يشكك بعضهم في صدق بعض ، ويضع بعضهم بعضا موضع النقد ..وما ذكره أحمد أمين من أن الصحابة كان بعضهم يضع بعضا موضع النقد ، مع أن كل ما كان يقع من الصحابة من رد بعضهم على بعض ، انما هو نقاش علمي محض مبني على اختلاف أنظارهم وتفاوت مراتبهم في الاستنباط أو الاجتهاد ، أو على نسيان أحدهم حديثا وتذكر الآخر له ، وليس ذلك ناشئا عن شك أو ريبة أو تكذيب واجد لآخر .

توجيه المطاعن الى أبي هريرة :

ويقول الاستاذ مصطفى السباعي : ان الاستاذ أحمد أمين كان لبقا في توجيه المطاعن نحو (أبي هريرة) – رضي الله عنه – ومجاراة المستشرقين والنظام ومن شايعه من المعتزلة في التحامل على هذا الصحابي الجليل ، فقد وزع طعونه في مواضع متفرقة من بحثه ، وكان حديثه عنه حديث محترس متلطف ، يحاذر أن يجهر بما يعتقده في حقه من سوء .

ولكن أسلوب الاستاذ وتحريفه لبعض الحقائق في تاريخ أبي هريرة ، وحرصه على التشكيك في صدقه وتصديق الصحابة له ، كل ذلك قد نم على سريرة الاستاذ ، وأزاح الستار عن خبيئة نفسه (قال صلى الله عليه وسلم) «من أسر سريرة ألبسه الله رداءها» .

ومن الانصاف ان نقول أن الاستاذ أحمد أمين لم يكن أول من أساء الظن بهذا الصحابي الجليل . ولا أول من حرف تاريخه ، بل هو مقلد لاساتذته من المستشرقين ، المتعصبين الذين دأبوا على تشويه الحقائق .

وعندما ترجم أحمد أمين لابي هريرة : اقتصر على ذكر نسبه وأصله وتاريخ اسلامه وأشار الى ما روي من دعابة أبي هريرة ومزاحه .

وكان من حق الامانة العلمية عليه : أن يذكر لنا مكانته بين الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، وثناءهم عليه واقرارهم له جميعا بالحفظ والضبط والصدق .

الطعن المستور :

ولكن الاستاذ أحمد أمين لم يفعل شيئا من هذا بل تعرض لامور يسيء ظاهرها لابي هريرة جد الاساءة فكانت محاولة مستورة للطعن فيه تمشيا مع جولد زيهر وأضرابه من المستشرقين .

وقد اقتصر المؤلف على ذكر اشك في حفظ أبي هريرة من بعض الصحابة ، دون أن يذكر لنا إقرار جمهورهم بحفظه وتثبيته ، ودون أن يذكر لنا ثناء أهل العلم عليه من التابعين فمن بعدهم ، واعترافهم له بأنه أحفظ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرواهم للحديث ، وهذا دليل واضح على أنه لم يقصد بمقالته الا الطعن الخفي في صدقه والتشكيك القوي في أحاديثه ومروياته وقد اعتمد المؤلف على دائرة المعارف الاسلامية في هذا الاتجاه .

ويقول الأستاذ مصطفى السباعي :

اذا تذكرت أن الاستاذ أحمد أمين تابع جولد زيهر (اليهودي) في تجريح أبي هريرة – رضي الله عنه – واتهامه ، علمت السر في توخي الاستاذ لهذه المسألة هنا ، وتتبع خطوات جولد زيهر ، ثم رأيت الى أي حد يكون التلاعب بالحقائق في سبيل الاهواء .

ماذا يضر أبا هريرة أن ينحله الواضعون أحاديث كثيرة ، ثم كيف يكون الكذب عليه داعيا

للشك في أحاديثه كلها ، لو أن العلماء لم يميزوا الثابت عنه من المنتحل ، لكان هناك عذر في التشكيك بأحاديثه كلها ، أما وأن أئمة الاحاديث ميزوا الصحيح من الموضوع وبينوا ما ثبت عن أبي هريرة مما لم يثبت ، بطرق هي غاية في الدقة والتحري ، فلا عذر لاحد أن يتشكك أو يشكك في أحاديثه جملة ، الا أن يكون صاحب هوى وغرض يلتمس لنشر هواه كل طريق ملتو معوج .

ولعل القارىء أدرك من كل ما كتبنا ، أن الاستاذ أحمد أمين تابع المستشرقين المتعصبين في التحامل على ذلك الصحابي الجليل ومنزلته في الحديث .

بماذا يفتخرون :

والاستاذ مغرم جدا بمحاكاة المستشرقين ونقل أقوالهم ، ومن ذلك قول زكي مبارك عنه :

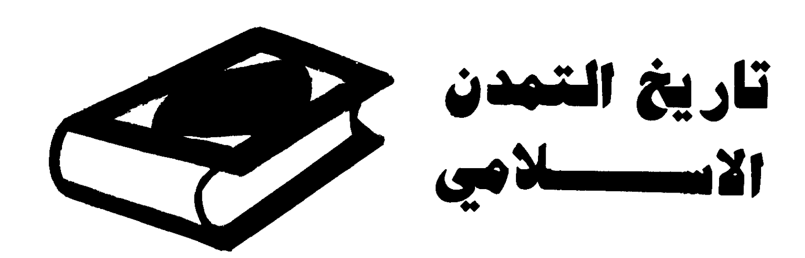
ان أحمد أمين لايهمه أن يرد الحقوق الى أربابها الا في موطن واحد ، هو الموطن الذي يقول فيه : انه استأنس بآراء المستشرقين ليقال أنه يطلع على أقوال المستشرقين .

والغرض الاول من نشر هذا البحث هو لفت أنظار الباحثين وخاصة علماء الازهر الشريف الى ما في كتاب (فجر الاسلام) ، (وضحاه) من أخطاء يعتبر السكوت عليها بعد الاحاطة بها جناية في نظر الدين والعلم ، وحتى لاينصحوا تلاميذهم باتخاذ هذا الكتاب وغيره مرجعا أساسيا(١) .

---

(١) لخصنا هذا عن بحث مطول للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي نشره عام ١٩٤٠/١٩٤١ في مجلة الفتح تحت عنوان (تحريف الحقائق الاسلامية) في كتاب (فجر الاسلام) وقد كان مقدمة لاعداد أطروحته عن الدكتوراه عن «السنة ومكانتها في الاسلام» .

تاريخ التمدن الاســـــلامي



● جورجي زيـدان .. زيّف الوقـائع والمراجع وذم العرب وروى الاسرائيليات والروايات غير الصحيحة

● حريق مكتبة الاسكندرية حدث غير صحيح

يقول العلامة «شبلي النعماني» المصلح الشهير مؤسس جمعية ندوة العلماء في لكهنو بالهند (نشر النقد في مجلة المنار والتي كان يصدرها الشيخ رشيد رضا رحمه الله على حلقات . المجلد ١٥ «١٣٣٠هـ - ١٩١٢م») :

«ان الدهر دار العجائب ، ومن احدى عجائبه أن رجلا من رجال العصر (جرجي زيدان صاحب الهلال) يؤلف في تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه تحريف الكلم ، وتمويه الباطل وقلبَ الحكاية والخيانة في النقل وتعمد الكذب ، ما يفوق الحد ويتجاوز النهاية .

وينشر هذا الكتاب في مصر وهي غرة البلاد وقبة الاسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشارا في بلاد العرب والعجم ، مع هذا كله فلا يتفطن أحد لدسائسه .

جرأة بالتدرج :

ولم يكن ليجترىء على مثل هذه الفظيعة في مبتدأ الامر ، ولكنه تدرج الى ذلك شيئا فشيئا ، فانه أصدر الجزء الاول من هذا الكتاب ، وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وعواطفها ، ولما لم يتنبه لذلك أحد ، ولم ينبض لاحد عرق ، ووجد الجو صافيا ، أرخى العنان وتمادى في الغي ، وأسرف في النكاية على العرب عموما ، وخلفاء بني أمية خصوصا .

«ان الغاية التي توخاها المؤلف ليست الا تحقير الامة العربية وابداء مساويها ، ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة ، غير مجرى القول ولبس الباطل بالحق» .

تقسيم مسموم :

بيان ذلك أنه جعل لعصر الاسلام ثلاثة أدوار : دور الخلفاء الراشدين ، ودور بني أمية ، ودور بني العبـاس ، فمدح الدور الاول ، وكذلك الثالث ولما غر الناس بمدحه الخلفاء الراشدين ، وهم

سادتنا وقدوتنا في الدين ، وبمدحه لبني العباس وهم أبناء عم النبي صلى الله عليه وسلم وبهم فخارنا في ثبت التمدن وأبهة الملك ، ورأى أن (بني أمية) ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم ، ولا مدافع عنهم ، تفرغ لهم وحمل عليهم حملة شنعاء ، فما ترك سيئة الا وعزاها اليهم وما خلى حسنة الا وابتزها منهم .

ثم لو كان هذا لاجل أنهم من آل مروان أو لكونهم من سلالة أمية لكنا في غنى عن الذب عنهم والحماية لهم ولكن ذنبهم أنهم «العرب» على صرافتهم ما شابتهم العجمة مطلقا . وقد حصر الباحث أخطاءه في عدد من الاصول العامة :

أولا : عصبية العرب على العجم :

أطال المؤلف وأطنب في اثبات هذه الدعوى ، وقال ان العرب يعاملونهم معاملة العبيد ، في عديد من المواضع (العنوان العام في الجزء الرابع صفحة ٥٨) .

وأعلم أن للمؤلف في انفاق باطله أطوارا شتى :

منها تعمد الكذب ، ومنها تعميمه لواقعة جزئية ، ومنها الخيانة في النقل وتحريف الكلم عن مواضعه ، ومنها الاستشهاد بمصادر غير موثوقة ، مثل كتب المحاضرات والفكاهات ، وغير خاف على من له المام بتاريخ الفرس والعرب ، أن الفرس كانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدريهم ، ولما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الى كسرى العجم ، اشمأز وقال : عبدي يكتب لي ؟ وكتب يزدجرد الى سعد بن أبي وقاص فاتح القادسية أن العرب على شرب ألبان الابل وأكل الضب بلغ بهم الحال الى أن تمنوا دولة العجم فأف لك أيها الدهر الدائر .

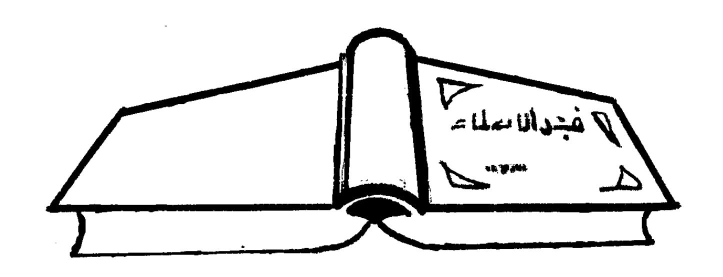
ثم لما شرف الله العرب بالاسلام ، انتصفت العرب من العجم ، واستنكفوا من سيادتهم عليهم وجاءت الشريعة الاسلامية ماحية لكل فخر ونخوة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته الاخيرة في حجة الوداع :

«أن لا فضل للعربي على العجمي ولا للعجمي على العربي ، كلكم أبناء آدم» حينئذ ارتفع التمايز وتساوى الناس ، ولكن مع ذلك بقيت في بعض الناس من كلا الطرفين حزازات كامنة في صدورهم ، كانت سببا لحدوث حزبين متكاملين يسمى أحدهما :

الشعوبية : وهي التي تحتقر العرب وترميهم بكل معيبة ، والثاني : المتعصبون للعرب وقد عقد ابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد) بابا في حجج كل من الطرفين وصدر هذه الاقوال بقوله (قال أصحاب العصبية من العرب) وأنت تعلم أن هذه العصبية ليست كل العرب ولا أكثرها ولا عشر معشارها ، فهؤلاء شرذمة مغمورون في الناس ، ولكن المؤلف ما اقتنع بذلك ، بل ربما نسب قول رجل معين معلوم الاسم الى العرب عامة .

وقد مضى جرجي زيدان في دعواه متابعا كتابات المستشرقين في اتهام العرب بانتقاص الموالي فقال انهم منعوهم من المناصب الدينية المهمة (الجزء الرابع ص ٦) .

فقال الشيخ النعماني : ان البلاد التي كانت عواصم الاقاليم وقواعدها في عصر بني أمية ، كان كل أئمتها من الموالي ففي مكة عطاء ، وفي اليمن طاووس ، وفي الشام مكحول ، وفي مصر يزيد بن أبي حبيب ، وفي خراسان ضحاك بن مزاحم ، وفي البصرة الحسن البصري . وكل هؤلاء كانوا من الموالي ، ومع كونهم أعجاما وكونهم أولاد الاماء ، كانوا سادة الناس وقادتهم . تذعن لهم العرب ويحترمهم خلفاء بني أمية وولاة الامور .



التجني والظلم التاريخي :

وقد عالج هذه النقطة بما عرض مطولا بما يؤكد أن الموالي كانوا في أيام بني أمية بأعلى محل من الشرف والمكانة وان كل ما أورده جرجي زيدان وسابقوه من المستشرقين افتئات ظاهر وتجن وظلم .

تزييف المراجع :

استند جرجي زيدان على نص حاول فيه الادعاء بأن عمال بني أمية كانوا يفرضون نوعا من الجور والشدة . يقول «واذا أتى أحدهم بالدراهم ليؤديها في خراجه يقطع الجابي منها طائفة ويقول : هذا رواجها وصرفها واستند في هذا على كتاب الخراج لابي يوسف .

ويقول الشيخ النعماني :

أيها المؤلف الفاضل : أليس لك وازع من نفسك ؟ أليس لك رادع من ديانتك ؟ أتجرؤ على مثل هذا الكذب الظاهر ، والمين الفاحش جهرة ، فان أبا يوسف ما تكلم في شأن عمال بني أمية ببنت شفة ، وانما ذكر عمال هارون الرشيد واساءتهم العمل في جباية الخراج .

وكتاب الخراج لابي يوسف بين أيدينا . وان ما استند اليه عن عمال هارون الرشيد ، فكيف يأخذ المؤلف أقواله وينقلها من حيث أنها هي الطرق التي كان عمال بني أمية يجمعون الاموال بها .

ثانيا : مساوىء بني أمية :

ويقول الشيخ النعماني : ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام ؟ فأي متعلق في ذلك لابداء مساوىء بني أمية .

ولعلك تقول لابد في تاريخ تمدن الاسلام من بيان منهج السياسة ، وأنها هل كانت مؤسسة على الاستبداد والجور أو العدل والنصفة ، فجر ذلك الى كشف عوار بني أمية عرضا . أناشدك الله أما كان لاحد منهم مأثرة تذكر ومنقبة تنقل ، وسياسة تنفع البلاد ، وعدل يعم الناس ، نعم ان خلفاء بني أمية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين ، وليس هذا عارا عليهم ، ولا فيه حط لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم أمر خارج على طوق البشر ، وليس فيه مطمع لاحد ، ولا موضع رجاء لمجتهد .

ولكن التوازن والتطايل بين الاموية والعباسية ، وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسيء والعادل والجائر بل الذي أعدلهم سيرة وأوفاهم ذمما لا يخلو من عثرات لا تقال وهنات لاتنكر .

فلو لزم المؤلف جادة الصواب ، ووفى لكل أحد قسطه وأعطى كل ذي حق حقه ، لاستراح واسترحنا ، ولكنه مال الى واحد فأطرى في مدحه (العباسي) ونال من الآخر فأسرف في تهجينه وذمه (الاموي) .

ثم أنه لم يفارق في مدحه وذمه عمود الكتاب أي ذم العرب والحط من شأنهم فانه ذم بني أمية

لأنهم العرب ، ومدح العباسيين لا لانهم العرب ، ولا لانهم من سلالة بني هاشم أو من أقرباء النبي صلى الله عليه وسلم بل لامر واحد : لأن دولتهم دولة أعجمية .

ثالثا : حريق خزانة الاسكندرية :

عقد المؤلف بابا لاثبات أن حريق خزانة الاسكندرية كان بأمر عمر بن الخطاب ، وأطال وأطنب في ذلك واستدل عليه بستة دلائل (الجزء الثالث) أهمها رغبة العرب في صدر الاسلام في محو كل كتاب غير القرآن .

وقد كشف الشيخ النعماني أن هذا غير صحيح ، وأن المسلمين نظروا في كل الكتب ، ونقلوا في تفاسيرهم روايات مختلفة ، فيها الغث والثمين مما نقل اليها من الاديان الاخرى ، فلو كان أهل القرون الاولى يبغضون ما سوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم – كما يدعي المؤلف – فمن روى الاسرائيليات وأقاصيص التلمود والتوراة وحشاها في التفسير ؟؟

ثانيا : أورد ما جاء في تاريخ مختصر الدول لأبي الفرج ثم نقل رواية الاحراق برمتها وأطال في اثبات أن أبا الفرج ليس بأول من روى هذه الرواية ، بل ذكرها عبداللطيف البغدادي عرضا في ذكره عمود السواري وذكرها القفطي في تاريخ الحكماء .

ولا ننازع المؤلف في أن أبا الفرج مسبوق في ذكره هذه الرواية بالقفطي والبغدادي ، ولكن ماذا ينفعه ذلك ، فان البغدادي وهو أقدمهما من أهل القرن السادس للهجرة ، قد ذكر الرواية من غير اسناد ومن غير احالة على كتاب .

ويقول : لقد تعود المؤلف من صباه قبول مختلفات أهل الكتاب وأوهامهم وسبب ذلك أنه يزن التاريخ الاسلامي بميزان غير ميزاننا ، ولذلك يصغي الى كل صوت ويستمع لكل قائل ، ولكل فن أصول وقواعد ، وما لم تكن الرواية مطابقة لهذه الاصول اليقينية لايلتفت اليها أصلا .

ومنهـا أن النـاقل للرواية لابد أن يكون شهد الواقعة ، فان لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها ، حتى تتصل الرواية الى من شهدها بنفسه .

ومنها أن يكون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم ، وأنت تعلم أن البغدادي والقفطي من رجال القرن السادس والسابع ، فأي عبرة برواية تتعلق بالقرن الاول يذكرانها من غير سند ولا رواية ولا احالة الى كتاب .

خبر مقطوع لم يذكره الثقات :

أمـا كتب القـدمـاء الموثوق بها ، فليس لهذه الرواية فيها أثر ولا عين وهذا تاريخ الطبري واليعقوبي والمعارف لابن قتيبة ، والاخبار الطوال للدينوري ، وفتوح البلدان للبلاذري ، والتاريخ الصغير للبخاري وثقاة ابن حبان والطبقات لابن سعد ، قد تصفحناها وكررنا النظر فيها ، ومع أن فتح الاسكندرية مذكور فيها بقضها وقضيضها فليس لحريق الخزانة ذكر .

وشهد شاهد :

والحاصل أن محققي أهل أوربة قضوا بأن الواقعة غير ثابتة أصلا ، منهم (جيبون) المؤرخ الشهـير الانجليزي و (دريبر) الامريكاني و (سيديو) الفرنسي و (كارليل) الالماني والمعلم (رينان) الفرنسي وعمدتهم في إنكار ذلك أمران :

الاول : أن الواقعـة ليس لها عين ولا أثر في كتب التاريخ الموثوق بها كالطبري وابن الاثير والبلاذري وغيرها مما ذكرنا .

والثاني : ان الخزانة كانت قد ضاعت قبل الاسلام ، اثبتوا ذلك بدلائل لايمكن انكارها .

رابعا : الضغوط على أهل الذمة :

ادعى المؤلف أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كتب عهدا لنصارى الشام ، وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشي واعترف بأن فيه ضغطا على النصارى ، ثم اعتذر لعمر بأن نصارى الشام كانوا يميلون الى قيصر الروم ، وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج الى الشدة بهم والتضييق عليهم .

يقول الشيخ النعماني : كل من له أدنى مسكة في التاريخ يعرف أن الطرطوشي ليس من رجال التاريخ ، وكتابة كتاب أدب وسياسة ، وهو من رجال القرن السادس ، وانما المعول على المصادر القديمة الموثوق بها : كتاريخ الطبري والبلاذري واليعقوبي وابن الاثير وغيرها ، وهذا ما كان يخفى على المؤلف ولكن لاجل هوى في نفسه أعرض عن كل هذا ، وتشبث برواية وأهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها . وقدم الشيخ النعماني رواية القاضي (أبو يوسف) في كتابه الخراج ، وهي تكشف عن اعتراف أهل الذمة بوفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم .

خاتمة :

وقد أشار السيد رشيد رضا – رحمه الله – في دراسة له عن جرجي زيدان(١) «صاحب الهلال» بعد وفاته ، كشف فيها وجه هذا الشعوبي ، فقال :

انه أظهر بعد الانقلاب العثماني (١٩٠٩) نزعة جديدة ، هي احياء لمذهب الشعوبية ، ذلك أنه زار الاستانة ولقي فيها بعض زعماء الاتحاد والترقي ثم عاد متشعبا بالنهضة التركية الزائفة ، مستنكرا عدم مجاراة العرب لاخوانهم الترك في الانضمام على خطة الاتحاديين التى ترمي الى تتريك العناصر وادغام العرب في الترك .

وقد كتب في الهلال ما يشعر بهذه النزعة من مطاعن في العرب ، أودعها بعد ذلك في كتاب تاريخ التمـدن الاسـلامي ، وفطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها ، وزادهم التفاتا اليها ترجمة جريدة (اقدام) التركية لتاريخ التمدن الاسلامي ونشره بالتتابع ، وهذا ما حفز الشيخ شبلي النعماني الى الرد عليه ودحض شبهاته .

الأستاذ والتلميذ :

وكان الاب لامنس(٢) اليسوعي قدوته في نقد العرب وبني أمية ، كما كان سوفان فلهوزن دليله في الحديث عن ما أسماه الحملة على الموالي ، وهو من أكبر متعصبي المستشرقين ، ولجرجي زيدان سموم أخرى في كتابه عن أدب العرب موعدنا بها ، حلقة قادمة : ان شاء الله .

---

(١) ديانة المؤلف جورجي زيدان وهو من سلالة المارون تبيح له الكذب أو ما هو أكثر من ذلك .

(٢) أنشأ الاب لامنسي (معقلا) للاستشراق المستعرب الحاقد ، على هيئة دير يعتزل فيه الرهبان الدارسون ، وما زال هذا المعقل في أطراف حي الدراسة خلف أسوار القاهرة العتيقة فهل يتنبه لهذا الازهر وعلماؤه والغيورون على الاسلام وثقافته ؟ .

رسائل إخوان الصفا مؤامرة على الاسلام

صدرت هذه الرسائل إبان القرن الرابع الهجري ، وكانت ثمرة لترجمة الفلسفة اليونانية الى اللغـة العربية ودخول مفاهيمها الى الفكر الاسلامي في تلك الجولة الضخمة من تحديات فلسفة الاغريق والفرس والهنود وغيرهم القائمة على مفاهيم الوثنية وعلم الاصنام .

وهي ٥٢ رسـالة مقسمة الى أربعة أقسام : الرياضيات والطبيعيات والعقليات والالهيات . طبعت في القاهرة أول مرة ١٨٨٧ ثم جددها الدكتور طه حسين ١٩٢٩ تقريبا من بين الأعمال التي خطط لها من أجل إشاعة هذا الفكر الشعوبي .

إخوان الصفا والحركة الباطنية :

وتعد رسائل إخوان الصفا إحدى ثمار الحركة الباطنية للجماعة السرية التي مزجت الفلسفة اليـونـانية والعقيدة الباطنية لتخرج للناس مذهبا جديدا يمزج إلهيات اليونان ونظريات أفلاطون وأرسطو وأفلوطين وفيثاغورس وغيرهم بالعقيدة الاسلامية في خليط مضطرب فاسد .

وكتموا أسماءهم :

وقـد أنتـج هؤلاء العشرة (رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا) التي أذاعوها بعد أن كتموا أسمـاءهم واستتـروا وراء تلك الرمـوز الخفيـة التي وضعـوها هنا وهناك من فصول كتاباتهم ، واستهدفوا منها وضع برنامج للعمل السري الذي يستهدف القضاء على الاسلام ودولته وتأسيس دولة أخرى على انقاض الدولة الاسلامية تضم العقائد الوثنية والمجوسية والاباحية التي نسقوها في جماع ركام الفكر البشري الزائف الممتد من فارس الى الهند الى اليونان والذي اختلطت فيه «الهلينية الاغريقية» بـ «الغنوصية الشرقية» .

مع أبي حيان التوحيدي :

وصفهم (أبو حيان التوحيدي) في كتابه «الامتاع والمؤانسة» بأنهم (عصابة تألفت بالعشرة وتصادقت بالصداقة فوضعوا مذهبا زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله وذلك أنهم قالوا : ان الشريعـة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال . ووضعوا رسالة (٥١ رسالة) في جميع أجزاء الفلسفة علميـا وعمليا وأفردوا لها فهرسا وسموها (رسائل اخوان الصفا) وكتموا فيها أسماءهم وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والأمثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق الموهمة .

● في كيدهم للاسلام يخلطون القيم والأديان والعقائد في جماع زائف ، وهي دعوة اليهودية التلمودية

محتويات الرسائل :

«وتشتمل على الطبيعيات والرياضيات والالهيات والعقليات يعوزها التعمق والنظام ويظهر فيها الاغراق في الخيال والاعتماد على الأفكار اليونانية من غير فحص ولا انتقاد ، وبحث في كل علم من غير اشباع واقناع ، فهي مبثوثة في كل قيد بلا إشباع ولا كفاية ، ينكرون فيها البعث بالأجساد ويفسرون الآخرة والجنة والنار خلافا لما تواتر عند المسلمين وفهم من النصوص الدينية القطعية ، وينكرون الشياطين على الصورة التي يفهمها معظم المسلمين ويقولون : هي النفوس الشريرة الهائمة في فلك القمر مع اخواتها من النفوس التي جهلت ذواتها في الحياة الدنيا . ويفسرون الكفر والعذاب تفسيرا باطنيا فلسفيا ، ويشتمل على كثير من الآراء الخيالية وبعضها ملفق من اليونان وبعضها وليد الاذهان وبعضها تراث الكهان كأسرار الاعداد والتنجيم والفال والزجر والسحر والعزائم والايمان بطوالع النجوم وتأثيرها ، وموسيقى الافلاك ونغماتها وتشتمل كذلك على عقيدة الوحي والامام المستور والتقية ، وفيها اعداد النفوس والقول بدولة جديدة تقوم على أهل البيت ، واخطار بانتهاء الدولة العباسية وزوالها ، وبالاختصار فهي مجموعة غريبة من الحكم والدبانة والشعوذة والكهانة السياسية ، وتقوم على أساس الفلسفة اليونانية الطبيعية والالهية ونظرياتها وأوهامها وتنهار بانهيارها وليست لها أهمية كبيرة ، ولولا الاضطراب الفكري الذي كاد يسود العالم في القرن الرابع والخامس وإجلال كل ما يظهر من الصنعة الفلسفية لما نالت هذا الاهتمام» .

مؤامرة خطيرة

وهكذا نرى بوضوح أن الرسائل كانت مقدمة لتحويل الدعوة الباطنية ، الى مؤامرة خطيرة لتدمير الدولة الاسلامية والفكرة الاسلامية معها ، أو كما قال أحد الباحثين : محاولة لوضع نظام جديد خلقي إلهي علمي يحل محل الشريعة الاسلامية التي يعتقد إخوان الصفا أنها بشكلها الحالي قد أصبحت عتيقة لا تؤدي رسالتها . وقد أخفقت هذه المحاولة اخفاقا تاما فلم تنتج نظاما علميا ولم تنشىء مجتمعا جديدا يقوم على أساسها ، وأصبحت في مدة قريبة من الآثار التاريخية التي لا تأثير لها في الحياة ولا محل لها الا في المتاحف والمكتبات .

ويرى الدكتور عبد اللطيف محمد العبد في بحثه التحليلي : ان إخوان الصفا وخلان الوفا يضعون السم في العسل لخدمة أهدافهم ، وان هذه الرسائل كانت سجلات لمحافلهم السرية وأنها تمثل المذهب الباطني الاسماعيلي في دور الستر ، لما تقوم عليه من تأويلات باطنية عديدة ، ولقد كان للمذهب الافلاطوني المحدث تأثير بالغ في هذه الرسائل فلم يختلف اخوان الصفا عن أفلوطين في القول بأن العالم وحدة حية متكاملة نابضة بروح سارية في كل أجزائه (وهو ما يسمى مذهب وحدة الوجود الذي ينكره الاسلام انكارا شديدا ويعارضه معارضة تامة) .

كذلك فهم في أبحاثهم عن الانسان (صديقا وفيلسوفا ونبيا ورسولا) يطبقون تعاليمهم الباطنية

● من أبــرز أعمال التغريب والغزو الثقافي اعادة طبع رسائل إخوان الصفا

● أبــو حيان التوحيدي يقول : رسائلهم خرافات وكنايات وتلفيقات

وينفثون سمومهم الهدامة .

وهم في مفهــومهم للامام يعارضون مفهوم الاسلام الصحيح ، حين يرون أن الامام (الهي الذات) وانه معصوم بينما لا يقر الاسلام عصمة الا للرسل عليهم الصلاة والسلام وآخرهم محمد بن عبد الله رسول الله وبذلك فقد كانت هذه الرسائل هدما للمفاهيم الاسلامية الأساسية وهدما للنبوة وحــربا للاسلام وطعنا في الصحابة . وقد استغل الباطنية (التشيع) في نشر دعوتهم كما استغلوا (التصوف الفلسفي وتستروا وراء أهل البيت والصوفية .

وكانت دعوتهم الى وحدة الأديان والغاء التعصب لدين ما علامة على انحرافهم وخروجهم على مفهوم الاسلام الأصيل ، كذلك فقد كان أشد آرائهم فسادا هو قولهم ان الخاصة لا حاجة لهم الى الشرائع ، ودعوتهم الى إسقاط التكليف والتحلل من الفرائض ، وقولهم ان الشرائع للعامة وحدهم ، ولا ريب في أن ماسموه علم الباطن ، انما يعني أن الرسول كتم شيئا من الوحي عن عامة الناس وحاشا لله أن يكتم صلى الله عليه وسلم شيئا .

اخوان الصفا .. والاسماعيلية

ويقــول أديب عباسي (الرسالة المصرية ١٩٣٤) معلقا إن أول ما يلحظ من أوجه الشبه بين الاسماعيلية واخوان الصفا هو الأسلوب الذي جروا عليه في نشر دعوتهم والدعاية لمذهبهم ، وهو أسلوب الاسمــاعيلية المعهود (أسلوب التدرج في بث الفكرة والتلطف في عرضها على الناس) ومن أبواب التشابه بين الجماعتين اتفاقهما اتفاقا كليا في مذهب الحلول فهو في رسائل إخوان الصفا كما في تعاليم الاسماعيلية (المحور) الذي تدور حوله هذه الرسائل والتعاليم» .

ووجــه آخــر : هو تفسير القرآن تفسيرا مغايرا لما يدل عليه ظاهر اللفظ وهذا هو الاسلوب الباطن ، ووجه ثالث : هو التشيع لآل البيت والدعوة الى الامام المنتظر أو المهدي ، ونرى أن المعنى في كلام إخوان الصفا للفاطميين ، وقرائن الأحوال تدل على أن لهم به الصلة .

ويقول المستشرق ماكدونالد : انه مما يثبت علاقة اخوان الصفا بالاسماعيلية ومن تفرع منهم وجود قسم من رسائلهم في كتب الحشاشين المقدسة . وقد ألقى بعض الباحثين أضواء أخرى على موقف إخوان الصفا تشير الى أن المثل الأعلى في رسائلهم ليس مثلا أعلى اسلاميا (وانما هو عبراني في مخبره مسيحي في منهجه ، يوناني في علمه) مجلة الرسالة الاسلامية العراقية ١٩٧٢ .

وأخطر ما يدمغهم هو أنهم لم يقفوا عند عقيدة واحدة وانما أخذوا من كل دين وعلم وفلسفة ومذهب دون إطار ثابت هو في حد ذاته دليل على مؤامرتهم ضد الاسلام ، وكونهم لم يعلنوا أسماءهم على أنهم دعــاة لا علماء ، كل هذا يكشف أن لهم غاية سياسية يخفونها كالوصول الى الحكم أو القضاء على الدولة القائمة ، ولذلك فهم يكثرون من ذكر رموز واشارات معينة لها تفسيرها الخاص ،

وهذه الظاهرة واضحة في كتابات ابن سينا الذي يستعمل الرموز والاشارات .

ولا شك أن عرضهم للاسـلام مخلوطا بالفلسفة اليونانية هو في حد ذاته خروج عن مفهوم الاسلام الصحيح ولو كانوا علماء حقا لما أخفوا أسماءهم ولما عرفت أسماؤهم تبين أنهم لا يملكون أي قدر من الشهرة في مجال العلم الصحيح وانهم جماعة من المتآمرين على الاسلام .

وقد ذكر السيد محب الدين الخطيب (الفتح م١٨ (١٢٦٧هـ) عن آغا خان في كتابه (نور مبين حبل متين) أن مؤلف إخوان الصفا من أئمة الاسماعيلية وهو أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق .

ويقول الدكتور حسين الهمزاني أحد دعاة الاسماعيلية البهرة : إن الاسماعيلية يرون القرآن كتاب العامة ورسائل إخوان الصفا كتاب الأئمة .

أبرز أعمال التغريب

ولقد كان من أبرز أعمال التغريب والغزو الثقافي في العصر الحديث ، ممثلا في الاستشراق والتبشير ، إعادة طبع وإحياء رسائل إخوان الصفا من جديد بعد أن دفنت وماتت وكشف زيفها منذ أكثر من ألف سنة فقامت المطبعة الكاثوليكية في بيروت بإعادة طبع هذه الرسائل . ثم جاء الدكتور طه حسين من أوربا ١٩٢٩ ليعيد طبع رسائل إخوان الصفا ويقدم لها ، وليس هذا عيبا في ذاته إذا ما روعي فيه أصول البحث العلمي ووضعت هذه الرسائل في موضعها الحقيقي من حيث أن جماعة إخوان الصفا ظهرت في القرن الرابع الهجري في البصرة على هيئة جماعة سرية من الباطنية والمجوس والزنادقة الحاقدين على الاسلام واللغة العربية وقد كان هدفهم من كتابة هذه الرسائل وضع مخطط لتقويض المجتمع الاسلامي ، ولو أن الدكتور طه كشف عن هذا الهدف لكان صادقاً في النصح لقومه ، ولكن الدكتور طه كذب على الناس وادعى أن اخوان الصفا قوم مجددون مصلحون ، قدموا للمجتمع الاسلامي الفلسفات الهندية والفارسية واليونانية لانشاء ثقافات جديدة وهي الثقافة التي يجب على الرجل المستنير أن يظفر بها (على حد تعبيره) .

وهذا خداع طه حسين لقومه وهو يعلم في أعماق نفسه أنه إنما يعمل على هدم القيم الاسلامية باعادة اذاعة هذه الرسائل كجزء من مخطط التغريب والغزو الثقافي .

وينضم اليه زميله زكي مبارك ليقول : «من الذي يصدق أن رسائل إخوان الصفا هي أعظم ذخيرة أدبية وفلسفية» هكذا علّمهم المستشرقون .

أما المطبعة الكاثوليكية فهي تقول : إن من أسباب عظمة هذه الرسائل أن كتب عنها طه حسين وجبور والدسوقي وصليب والهمزاني والعوا وماسينيون ، ولكن هؤلاء جميعا لم يكونوا في درجة واحدة من الاعجاب برسائل اخوان الصفا ، وفيهم من كشف علاقة اخوان الصفا بالمؤامرة الباطنية .

ولقد كان حقا على هؤلاء جميعا أن يكشفوا حقيقة رسائل إخوان الصفا بالنسبة لمفهوم الاسلام الأصيل ، وان هذه الرسائل تعارض هذا المفهوم في عدة أصول أساسية :

أولا : انكار البعث بالأجساد .

ثانيا : تفسير الجنة والنار والآخرة مخالفا لما تواتر عند المسلمين .

ثالثا : تفسير الكفر والعذاب تفسيرا باطنيا معنويا .

رابعا : فساد نظريتهم القائلة بأن النبوة يمكن أن تكتسب عن طريق الرياضة وصفاء القلب .

خامسا : فساد قولهم بأن من ارتقى الى علم الباطن سقط عنه التكليف واستراح من أعبائه .

عمل فاسد وصور زائفة

ومن أشد فساد عملهم محاولتهم صهر الأديان والعقائد كلها في صورة زائفة ، ومن ذلك قولهم : الرجل الكامل يكون فارسي النسب ، عربي الدين عراقي الأدب عبراني المخبر مسيحي النهج شامي النسك يوناني العلم ، هندي البصيرة ، صوفي السيرة ملكي الأخلاق» .

وهذا يعني خلط القيم والأديان والعقائد في جماع زائف ضال وهي دعوة اليهودية التلمودية التي حاولت على مدى العصور أن تكيد للاسلام ، وهي دعوة تجدد في العصر الحديث حيث نرى دعاة التغريب يقولون بالتقاء الأديان والثقافات في وحدة الثقافة العالمية ، التي تستمد أصولها من الفكر التلمودي الذي احتوى الفكر الغربي والحضارة الأممية .

ولا يبعد هذا عما يقوله إخوان الصفا في رسائلهم حين يقولون :

«ينبغي لاخواننا ألا يعادوا علما من العلوم أو يهجروا كتابا من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم كلها» أما مفهومنا الاسلامي الأصيل فإن الاسلام له ذاتيته الخاصة وأصالته المقررة التي تجعله نسيج وحده مستمدا من طوابعه وقيمه وحدها ، ولا يقبل الانصهار في الفكر البشري أو الأممية والعالمية القائمة على الوثنية والمادية .

وقد وصف أبو حيان التوحيدي رسائلهم بأنها مبثوثة في كل فن بلا إشباع ولا كفاية وهي خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات حملتها الى شيخنا أبي سليمان المنطقي السجستاني محمد بن بهرام وعرضتها عليه فنظر فيها أياما وتبحرها طويلا ثم ردها علي وقال :

«تعبوا وماأغنوا ، ونصبوا وما أجروا ، وهاموا وماوردوا ، وغنوا وما أطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا ففلفلوا ، ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ، ظنوا أنهم يمكنهم أن يدرسوا الفلسفة التي هي علم النجوم والأفلاك والمجسطي والمقادير وآثار الطبيعة والموسيقى التي هي معرفة النغم والايقاعات والفقرات والأوزان والمنطق ، الذي هو اعتبار الأقوال بالاضافات والكميات والكيفيات في الشريعة وأن يضموا الشريعة للفلسفة وهذا مرام دونه حدود وقد توفر على هذا — قبل هؤلاء — قوم كانوا أحدَ أنيابا ، وأعظم أقدارا ، وأرفع اخطارا ، وأوسع قوى وأوثق عرى فلم يتم لهم ما أرادوه ، ولا بلغوا منه ما أملوه ، وحصلوا على لوثات قبيحة ولطخات ناضجة وألقاب موحشة وعواقب مخزية وأوزار مثقلة» .

ويقول أبو سليمان المنطقي بعد ذلك :

«وكما لم نجد في هذه الأمة من يفزع الى أصحاب الفلسفة في شيء من دينها فكذلك أمة عيسى عليه السلام وهي النصارى وكذلك المجوس ، ومما يزيدك وضوحا ويريك عجبا أن الأمة اختلفت في آرائها ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافا فيها ومزقا كالمرجئة والمعتزلة والخوارج فما فزعت طائفة من هذه الطوائف الى الفلسفة ولا حققت مقالتها بشواهدهم وشهاداتهم ولا اشتغلت بطريقتهم ولا وجدت عندهم ما لم يكن عندها بكتاب ربها وأثر نبيها ، وهكذا الفقهاء الذين اختلفوا في الأحكام من الحلال والحرام ، منذ أيام البذر الأول الى يومنا هذا لم نجدهم تظاهروا بالفلسفة فاستنصروهم . ولا قالوا لهم أعينونا بما عندهم أو اشهدوا لنا علينا بما قبلكم» .

وهكذا نجد بعد هذه المراجعة الواسعة لرسائل إخوان الصفا أن هذا العمل قد وجد من علماء المسلمين معرفة واعية لهدفه وكشفا لزيفه على مدى الأجيال بما أسقطه في نظر المثقفين . حتى جاء دعاة التغريب وتلاميذ المستشرقين فجددوه في هذا العصر وادعوا أنه علم وفهم وثقافة وما هو الا سموم عرفها أهل الأصالة الاسلامية ، وضلال كشفوا عنه وأبانوا فساده وكان خليقا بأهل عصرنا أن يعرفوا هذا فلا يترددوا في خطر النظر أو المتابعة لهذه الأعمال الضالة المضلة .

حديث الأربعاء لطه حسين

يمثل كتاب حديث الاربعاء مجموعة مقالات نشرها(١) الدكتور طه حسين في جريدة السياسة عام ١٩٢٤ تناول فيها عددا من الشعراء الاباحيين الغزليين أمثال : أبو نواس وبشار ووالبة والخليع ومن اليهم .

وقد حاول الدكتور طه في جماع هذه المقالات أن يفرض فرضا باطلا زائفا ، قوامه أن القرن الثاني للهجرة كان عصر شك واستهتار ومجون ، اعتمادا على وجود هؤلاء الشعراء فيه ، وأن هؤلاء الشعراء يمثلون عصرهم بأقوى وأعمق مما يمثله الفقهاء والعلماء والزهاد ، وقد اعتمد في ذلك على كتاب الاغاني الذي ليس مرجعا صحيحا يمثل العصر ، لأن صاحبه حدد هدفه ، وهو الحديث عن الاغاني ، ولا يجوز أن يحكم على المجتمع الاسلامي في العصر العباسي من قراءة كتاب الاغاني الذي ألف لاخبار المجان والشعران .

لماذا ؟؟

وقد عمد طه حسين في هذا الكتاب الى اشاعة الفاحشة اذ تكتمل فيه الرذيلة بأبشع مظاهرها ، على حد تعبير الدكتور عبدالحميد سعيد - رحمه الله -(٢) ، ويظهر فيه تسفيه الرجل بما يشرحه بعناية خاصة وأطناب من قصص المجون والفجور بأسلوب جذاب وبطريقة خلابة تؤثر في الناشىء المسكين ، وتزين له سبيل الفساد وتحبب له الانغماس في الشهوات بعد أن شوه له الدين وتعاليمه ، ومثّله أمامه تمثيلا لا يرغبه فيه وأعطاه صورة مشوهة منفردة عمن قاموا بالدعوة اليه ، ولم يترك مسبة الا نسبها اليهم فقد طعن في الخلفاء والعلماء من عظماء الامة الاسلامية يومئذ ، وشوه تاريخ الاسلام بحيث لم ينج من مطاعنه انسان ، ولم يخص بثنائه في عصر الدولة العباسية الزاهر الا هؤلاء الشذاذ من أهل المجون والفحش حيث جعلهم مرآة ذلك العصر أما أولئك المصلحون من أهل الفضل والرأي ، الذين أقاموا صروح المدنية في العالم ، ورفعوا أعلام الفضيلة وأقاموا معالمها في سائر الانحاء ، فلم يذكرهم بخير بل خلع عليهم من المساوىء والشتائم والسباب ما أثبت التاريخ أنهم بريؤون منه ، وما لا يصدقه فيهم انسان حتى ولو كان من أعداء الدين الألداء ..

ان عظمة التاريخ الاسلامي في عصوره الزاهرة لاينكرها الا جاحد في قلبه غل على الاسلام فطه حسين آلى على نفسه أن يشكك فيما يكاد يبصره من عظماء التاريخ الاسلامي المكتوب ، وأما الموضوع من أخباره الشاذة المطعون فيها فانه يبحث عنه في كل بؤرة ويلتقطه .

---

(١) أعاد الدكتور طه ترتيب هذه المقالات فقدم في الجزء الاول في الطبعة الاخيرة مقالات أخرى نشرها عن الادب الجاهلي في جريدة الجهاد (يناير ١٩٣٥) وما بعدها.واخر مقالاته الخاصة بشعراء الغزل الى الجزء الثاني وأبقى على المقدمة التي كتبها سنة ١٩٢٤ للفصول التي اخرها الى الجزء الثاني وقد استهدف من ذلك ازالة بعض آثار الطبعة الاولى من النفوس ، وقد كانت هذه الفصول هي الاساس فيما وجه اليه من نقد ومعارضة لآرائه الاباحية .

(٢) الدكتور عبد الحميد سعيد رحمه الله كان عضوا بمجلس النواب المصري في العشرينات وبداية الثلاثينات ، كما كان رئيسا عاما لجمعيات الشبان المسلمين في مصر حتى توفاه الله «المجلة» .

تعميم الفحش هدف :

هذا هو رأيه في العصور الزاهرة للاسلام التي نفخر بها كل الفخار ، ان هذا الكتاب – حديث الاربعاء – ليموج بالامثلة ، أمثلة الفسق والفجور والتهتك والاستهتار ويدعو اليها ويحض عليها ، وان ما ذكره من قصص أبي نواس وجماعته لينفر منه ذلك الادب الذي يدعي أنه يحترمه ويحميه ، فقد جاء في ذلك الكتاب من مخالفة الآداب والحض على الفجور والفسق ما يهدم الجبال الراسيات ، ويقوض أركان الفضيلة ويهدم صرح الادب .

ومن أمثلة ذلك قوله :

«كان أبو نواس وأصحابه على فسقهم ومجونهم يتدينون ويقيمون الصلاة ، ولكنهم كانوا يعبثون في هذا كما يعبثون في غيره ، وربما قضوا الوقت الطويل عاكفين على الفجر (بضم الفاء) ثم يذكرون الصلاة فيقيمونها ، ولعلهم أقاموا الصلاة في مثل هذه الحال يوما وأمهم أحد الندماء فغلط وهو يقرأ «قل هو الله أحد» فاستحالت الصلاة من خشوع لله الى استهزاء بهذا الامام الجاهل . الى أن قال : « واذا أردنا مثالا يختصر هذا العصر ويشخصه فهذا المثال هو أبو نواس الذي نتخذ من درسه سبيلا الى درس العصر كله» .

وقد عد مجاهرة أبي نواس بالمعصية ضربا من الصدق ، وعدم الجهر بالمعاصي نوعا من الكذب لأنه اخفاء للواقع .

مفهوم التجديد عند طه حسين :

ويقول الدكتور محمد أحمد القمراوي ان طه حسين لم يجد في الادب القديم ما يستحق أن يبعث وينشر الا أخبار المجونيين الذين ابتلي بهم الادب العربي كما ابتلي الادب الفرنسي بأمثال أوسكار وايلد وجان كوكتو ، نعني أبا نواس ووالبة والخليع ومن اليهم ، ممن نشر طه حسين أخبارهم في «حديث الاربعاء» ومن الغريب أن تلك الاخبار الآجنة والاشعار الماجنة قد عرضها صاحب الكتاب في ثوب البحث الادبي باسم التجديد ، كأن البحث والتجديد في الادب ستار تُحارب الفضيلة من ورائه ووسيلة للدخول الى النفوس بما لم يكن أولا لتلك الوسيلة تداخل عليها .

وصاحب الكتاب قد دل بكتاباته على أنه ممن يرى اخلاء الفن من قيود الفضيلة ، فلا يكون هناك على الفنان حرج في أن يصور الرذيلة كيف يشاء بريشته أو قلمه ما دام يصورها كما هي ، وهو مذهب تَنَزَّهَ عنه من أهل كل فن عظماؤهم وحاربه من أهل كل عصر زعماء الاصلاح فيه : أمثال كارليل ورسكن وماتيو ارنولد(٣) .

(٣) وحسبنا ان يلتزم المسلمون بادب القرآن «ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ...» وحديث : «ان أشد الناس عذابا يوم القيامة المجاهرون ...» معروف مشهور «المجلة» .

وان العربية وآدابها انما قاما حول جماع المكارم ومنبع الحياة والنور : القرآن والحديث ، وكنا نحس دائما أن ما في كتب «المحاضرات» كالأغاني والعقد التي استغل صاحبُ الكتاب والادباء جانبها المجوني ، كنا دائما نحس أن ما فيها من التظرف بهجر القول غريب عن روح هذه اللغة بعد الاسلام ، حقيق ألا يلحق بأدبها ، ولعلنا لو تتبعنا تاريخها من هذه الوجهة نجد روح الطهارة يغلب عليها في كل عصر يكون أهله أقرب منه الى القرآن ، وروح التمجيد والتهاتر تغلب من كل عصر على أكثرهم مجانبة للدين وأبعدهم عن القرآن ، هذا شيء لا غرابة فيه في لغةٍ مدينةٍ للقرآن بما لها من وجود وبما كان لها من قوة وبيان واعجاز .

كتاب الأغاني :

وقال الدكتور زكي مبارك : «ان الدكتور طه حسين وجرجي زيدان قد أساءا فهم العصر العباسي ، وأنهما زلا في الخطأ حين وصفاه بأنه عصر الحاد ومجون ، وأنهما في حكمهما قد قلدا الاصفهاني الذي لم يرسم للعصر العباسي الا لوحة خلق معدنها من الكذب والتمويه وصيغت مبادؤها من الضلال والبهتان .

وكما أن شهوة الاطلاع كانت في نفسه لاكتشاف الجوانب السيئة من حياة الشعراء والكتاب فقد خلفت في كتابه جوا من المجون» وقال : «ان الدكتور طه حسين يستقي آراءه في العصر العباسي من شيئين :

الاول : كتاب الاغاني و «الثاني» شعر الماجنين من الشعراء ..

أما شعر الاغاني فصاحبه يحدثنا في المقدمة بأنه قصد في كتابه اللهو والتسلية قبل أن يقصد العلم والتاريخ ، أما شعر الماجنين وحياتهم فلا ينهضان دليلا على فساد عقيدة العصر العباسي وأخلاقه .

والدكتور يناقض نفسه حين يقول : «وكان هؤلاء الزنادقة يعلمون سخط الكثرة المطلقة من الناس على زندقتهم ، وان كانت الكثرة تجهل حقيقة هذه الزندقة» .

عصر الفقهاء لا عصر المُجّان :

وقال الشيخ محمد عرفة : «لقد توصلت الى حكمك العام على العصر الثاني باستقراء حال طائفة من الادباء والشعراء والمترفين ، فرأيت فيهم الشاك والماجن فأخذت العصر بجريرة هؤلاء وحكمت بأن العصر : عصر شك ومجون وأن تصبح طائفة ووجدانها على صفة لايعطي منطقيا على عصرهم جميعا بأن فيه تلك الصفة ، ولو كان ذلك الاستقراء القليل منتجا لذلك الحكم العام ، لخرجنا بحكمين متناقضين على ذلك العصر وعلى غيره من العصور ، فاننا اذا تتبعنا سيرة الفقهاء والمحدثين والزهاد في هذا العصر ، وجدناهم على مرتبة عظيمة من اليقين والورع والاحتشام ففيهم الحسن البصري وعمرو بن عبيد ومحمد بن ادريس الشافعي ومالك بن أنس وأبو حنيفة النعمان ومالك بن دينار وعبدالله بن المبارك وربيعة الرأي ورابعة العدوية وابن سيرين والشعبي .

وما منهم الا من ملك نفسه وكان أنفع الناس للناس وسيرتهم في العلم والزهد والتقوى يعرفها من عني بدرس حياتهم .

فطائفة الفقهاء والمحدثين مؤمنون متحشمون وطائفة الشعراء والادباء فيهم شك واستهتار ، فاذا أردنا أن نحكم على العصر فسبيلنا أن نتعرف طائفة الفقهاء والزهاد والمحدثين وهم يمثلون عصرهم ويعطون صورة صحيحة عنه ، أم طائفة الشعراء ؟ ان القارىء للاغاني يخيل اليه من كثرة ما يذكره من مجون هؤلاء أنهم في جو يسيل فسقا والحادا ، ولكن لو تذكر أن صاحبه انما عني بتاريخ طائفة فقط ، هم الشعراء والمغنون وليس ذلك تاريخا لسائر العصر لحمى نفسه من التورط في الحكم ، وان هناك عوامل خاصة جعلت كثيرا من الشعراء المستهترين ماجنين ، ونقرأ فيما نقرأ أن هؤلاء الشعراء كانوا يرون أنفسهم غرباء بتخلفهم عن ذلك العصر وأنهم شذاذ فيه وكانوا يسعون بما لديهم من قوة لمحو القالة عنهم» .

الادب : يدرس لذاته أم لغيره ؟ :

حاول الدكتور طه حسين أن يثير نظرية خبيثة بادعائه أن الادب العربي يجب أن يدرس لذاته لا أن يدرس لغيره من فقه أو شرع ، وأن اتصال اللغة بالقرآن والدين يجعلها مقدسة مبتذلة في آن واحد ، مقدسة لانها لغة القرآن والدين ، ومبتذلة لانها لا تدرس في نفسها ولان درسها اضافي .

ويقول الدكتور محمد أحمد الغمراوي : «انه في هذا مخطىء محيل ، وأن الفريق الذي يصفه أنه يقدسها هو نفس الفريق الذي يدرسها كوسيلة للدين ، والتفقه فيه ، وتقديسه اياها يصونها من الابتذال عنده ، ويعلم أن الذين يدرسونها ممن لايشتغلون بالدين هي عنـدهم غاية لا وسيلة كجمهور الادباء ، فليس هناك من هؤلاء أيضا من يبتذلها اذن .

وكيف يتصور أن التوسل بشيء الى غرض ما هو من دواعي ابتذال ذلك الشيء ، فريق يدرسها لذاتها وهو فريق المشتغلين بالادب «وواضح أن هؤلاء لايبتذلونها» وفريق يدرسها وسيلة الى شيء آخر يرضاه ويكبره ، واتصالها بذلك الشيء الآخر يفيض عليها من الاكبار الذي يحيط به ويحول بينه وبين الابتذال كما هو مقتضى القانون النفسي : قانون الاهتمام Interest الذي غفل عنه صاحب الكتاب ، فليس هناك اذن خطر يتهدد الادب من هذه الناحية ، ناحية الابتذال ، أما ناحية الاكبار والتقديس كما يسميه ، فقد زعم أنها تحول بين اللغة وبين البحث العلمي الصحيح ، وتقديسها بهذا المعنى لم يقل به أحد غيره لأن الذين يفيضون عليها من التقديس لاتصالها بالقرآن والحديث ، لم يخـطر لهم على بال أن يحـظروا على أحد التفقه فيها عن أي طريق من طرق البحث الصحيح ، بل هم يرون مثل هذا التفقه ضروريا لهم وفرضا على فريق منهم ، والاسلام نفسـه يفسح للبحث الصحيح كل طريق ، فليس على صاحب الكتاب من حرج في أن يسلك في تحليـل اللغـة منـاهج البحث العلمي أو الادبي الصحيح ، ولكن عليه أن يحسنها قبل أن يسلكها ، أما أن يدعي أنه محسن اياها وهو غير محسن أو أن يأتي الى أقدس ما يقدس الناس من دين أو قرآن أو توراة فيعرض لذلك كله بالوهم والفرض ، فسيجد دائما من يؤاخذه على ذلك في العلم وفي الدين .

والقيود التي في القانون لم يرد بها تضييق حرية البحث ، وانما أريد بها صيانة الدين أن يجترىء عليه مجترىء أو يفسده على الناس مفسد ، وليس هناك غير صاحب

الكتاب وشيعته من يظن أن كرامة الدين تنافي حرية الادب أو حرية العلم . وما نظن صاحب الكتاب يتألم للادب والعلم ولكن لنفسه ، والا فقد اعترف نفسه أن العلم ذاته قد يكـون من أبغض الاشياء اذا أكره عليه ، وذلك قوله : «من ذا الذي يستطيع أن يكلفني أن أدرس الادب لأكون مبشرا بالاسلام أو هادما للالحاد» .

تناقض الاهداف :

هل اذا كانت دراسة الادب لهدم الالحاد تقييد للادب ، فهل دراسته لهدم الاسلام تحرير للادب ؟ ليدع صاحب الكتاب نصرة الاسلام اذا شاء ولكن ليدع معها أيضا نصرة الالحاد يسلم له الادب .

أما استناده في تحرير الادب العربي من سلطان الدين الى ملاءمة حاجات العصر العلمية والفنية فهو نوع من الكلام المبهم ، وفي رأيي أن حاجة العصر هي أشد ما تكون الى أدب شرقي نقي من أقذار وسموم الاباحة ، الى أدب يكون عونا للشرق عامة ولمصر خاصـة على نهضة خلقية قوية تأخذ بناصر هذه النهضة ، هذه اللغة التي أنهضها الدين وعاشت بالقرآن ثلاثة عشر قرنا لاتستطيع الآن أن تقطع ما بينها وبين الدين والقرآن من غير أن تقتل نفسها أو يقتلها أهلها وتصبح مكتوبا عليها الرق والذل لكل ما لا يمت اليها بمودة أو رحم ، وحاجة الشرق بل حاجة أي شعب الى لغة يصبح أدبها بابا يدخل على الشعب منه العدو ، وكأسا يتجرع الناس بها السموم» ..

يقول الدكتور طه حسين :

«لتكن قاعـدتنا اذن أن الادب ليس علما من علوم الوسائل يدرس لفهم القرآن والحديث فقط ، وانما هو علم يدرس لنفسه ويقـصد به قبل كل شيء الى تذوق الجمال الفني فيما يؤثر من الكلام» ويقول الدكتور محمد أحمد الغمراوي : «لو كان يريد بهذا الكلام ظاهره لما كان بينه وبين أحد من رجال العربية خلاف ، ولكن علمنا بالنزعة التي ينزع اليها صاحب الكتاب فيما كتب وفيما يكتب ، تجعلنا نخشى أن يكون أراد بهذا الكلام غير ظاهره وأنه قد رمى الى غرض آخر هو تحرير الادب من قيود الاخلاق فلا يكون هناك تحرج خلقي من معنى خسيس ما دام هذا المعنى يورده صاحبه في شكل فني يتذوقه ويلذه ، نتيجة لضعف أثر الاخلاق الفاضلة في نفسه ..

ولكن الادب ينبغي ألا يستقل قط عن الاخـلاق استقلالا يجعله لايبالي أوافق رذائلهـا أو خالف فضـائلهـا ، فان الله قد خلق الانسـان وحـدة متماسكة لا أوصالا مفصولة ، واذا كان الخلق الكريم والعاطفة النبيلة والدين الصحيح ضروريا للانسان فلن يكون لمن يهمه رقي الانسان بد من محاربة كل ما يضعف ذلك فيه ، فنا كان أو غير فن ، أدبا كان أو تمثيلا أو تصويرا أو ما تشاء أن تسمي من الفنون ، وليس يخالطنا شك بعد ما قرأنا لصاحب الكتاب في حديث الاربعاء وغيره أنه ليس بالرجل الذي يهدي هذه الامة الى أدب خاص بها ، يحتفظ بجميع عناصر القوة فيها ويتخلص من جميع عنـاصر الضعف ، فان هذا التخلص بعـد ذلك الاحتفاظ هو ميدان تقدم ذلك الادب الخاص الذي نريده لهذه الامة وهو معراج ترقيه» .

وهكذا نجد أن في كل كتاب من كتبه غاية مبيتة لهدم قيم هذه الامة .

وقد واجه العلامة المؤرخ الكبير «رفيق العظم» هذا الاتجاه الذي ابتدعه طه حسين ، وكشف عن زيفه وأبان أن مثل كتاب الأغاني لا يصلح كمرجع من مراجع التاريخ ، وأن ما ينسب الى الرشيد والمأمون من الاستمتاع باللذائذ أو المتاع يجب أن يحتاط في تقديره ، وعنده أن الحقائق التاريخية - لاسيما في تاريخ الاسلام - تشبه الدر بين أشواك ، يحتاج من يريد استخراجه من تلك الاشواك الى أناة وروية ونظر في وجوه السلامة من أذى الشوك ، ويرى أن كتب القصاصين «التي اعتمد عليها طه حسين في كتابه حديث الاربعاء» قد حفلت بأخبار كاذبة نسبتها شيع العباسيين الى خلفاء بني أمية وأخبار نسبتها شيع آل علي الى خلفاء بني العباس ، وهي من أحط ما ينسب الى خلفاء أو ملوك كانوا في مثل مرتبتهم من العزة والمنعة وبسطة الحياة والملك ، وكان من المحال أن يكونوا من انحطاط الاخلاق والسيرة الى المنزلة التي أنزلهم اليها الوضاعون ويدوم لهم طويلا ذلك الملك العريض والشهرة الذائعة في التاريخ .

وعنده «اننا لو سلمنا بكل ما جاء في تلك الكتب والاقاصيص واعتبرناها أخبارا صحيحة ليس فيها شائبة من شوائب الكذب والاختلاق والتلفيق لكان لنا أقبح مثال من أمثلة العصور الاسلامية الاولى التي نعتبرها من مفاخر تاريخنا الغابر المجيد» .

وأشار العلامة رفيق العظم الى ظاهرة القصّاص والقصص الذي استشرى في المجتمعات الاسلامية ، والتي كانت تشغل الناس في العصور المختلفة ، وكيف أن واضعيها وضعوها لاغراض وبواعث تجارية أو سياسية أو دينية :

«أما الاغراض التجارية فهي الكسب والانتفاع ، اذ من المعلوم أنه لم يكن في القرون الاولى للاسلام من وسائل التسلية وأماكن اللهو العامة ما يقضي فيه العامة أوقات الفراغ ، ومن هنا أخذ الاذكياء في وضع قصص تحكى في المجتمعات فيلهو بها العامة فكان منها المختصر المبعثر في ثنايا الكتب ، ومنها المطول المجموع في كتب على حدة ، ولما استطاب الناس أمثال هذه القصص والاخبار ، وأصبحت ضرورة من ضرورات الحياة تنافس الرواة والقصاصون في تدوين الاخبار ووضعها ، تارة مجموعة وتارة متفرقة في كتب الأدب كأخبار العشاق والشعراء والبخلاء والكرام وغير ذلك ، فكان منها الغث والسمين ومنها الملفق والقريب من الصحة ، وقد غالى بعض الاخباريين في ايراد أخبار المجون والتهتك والانغماس في الشهوات مغالاة تكاد تشهد على نفسها بالغلو والتلفيق لما فيها من العبث بالاخلاق والتجرد من معنى الادب الذي أخذ به الشعراء والادباء المنسوبة اليهم من أطراح رداء الحشمة والمروءة» .

هذا هو الحصاد الضخم الزائف الذي اعتمد عليه أمثال طه حسين(٤)وغيره في محاولة رسم صورة للعصر الاموي ووصفه بأنه عصر الشك والمجون ، وهو في تقدير رفيق العظم انما هو تلفيق قصص يراد به أحد أمرين : أما تشويه سمعة بعض الخلفاء العباسيين كالرشيد والمأمون ، وأما سد نهمات العامة الى أمثال هذه القصص المخزية والروايات الملفقة .

وهكذا نجد أن طه حسين يتميز بدعوته الى أمرين :

الى الشك والى الاباحية وأنه يعتمد في ذلك على مصادر تافهة لا قيمة علمية لها أساسا في اذاعة مذهبه وترويجه لدعوته التغريبية الضالة .

(٤) وطه حسين في هذا يناقض نفسه في مناهجه الادبية ، التي أملت عليه انكار الشعر الجاهلي في كتابه المعروف ، بدعوى أن الرواة قد وضعوها ، فلما جاء حديث الاربعاء ، ورواة الاخبار هم الرواة لم يتغيروا ، صاروا ليسوا وضاعا .. فعجبا لمنهاجه .. «المجلة» .

حفريات الكشوف الأثرية وألواح الطين تؤكد صدق نصوص القرآن وتدحض دعاوى مزيفي النصوص

«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم» .

«تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا» [الانعام] .

«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله» [البقرة] .

في كل يوم يكشف العلم آفاقا جديدة تضيء الطريق الى الله تبارك وتعالى وفي كل يوم تكشف الحفريات جديداً من باطن الأرض يؤكد حقائق القرآن ويدحض دعاوى ما كتبه الأحبار والرهبان بأيديهم ليقيموا دعاوى باطلة . ومع توالي السنوات تطرح الحفريات الأثرية حقائق كثيرة ، تؤيد ما جاء به القرآن الكريم وتكشف زيف ما كتبوه في بابل . وفي أكثر من موقع في جزيرة العرب وامتدادها الى الشام ومصر . هذه الاحداث الكبرى أصابت عادا وثمود وقوم لوط وما تزال آثارها باقية عبرة للاجيال المتوالية وتصديقا للقرآن وهي تحت أقدام العرب خلال رحلاتهم الى الشام والى اليمن .

لذلك كانت عبارة القرآن دقيقة وواعية حين قال (تمشون في مساكنهم) وفي السنوات الاخيرة تكشفت حقائق كثيرة .

وكانوا قد أنكروا قصة عاد وثمود ، وظنوا أن هذه القبائل لم يكن لها وجود تاريخي لأنها لم تذكر في أخبار العهد القديم فتبين انها مذكورة في تاريخ بطليموس ، وأن عاد إرم هي (عاد راميت) اليونانية وأن أخبارها كما أشار الأستاذ العقاد محفورة على آثار هيكل مدين التي عثر عليها المؤرخ التشيكي موزيل . ويقول الأستاذ عبدالحميد السحار : لقد حدد بطليموس في أطلسه موقع عاد وثمودوكشفت الحفريات عن مدائن صالح وعثر على بعض الخطوط الثمودية في ثمود وفي الطائف كذلك . فإن الدكتور أولبرايط استطاع أن يكشف موقع قريتي سدوم وعمورة وثلاث مدن اخرى وهي التي كان يقيم بها قوم لوط ودمرها عليهم الله تبارك وتعالى . وقد اختلف المؤرخون حول قصة سدوم وعمورة وحول موقعها حتى جاء الدكتور أولبرايط فاكتشف هذه المنطقة المجاورة للبحر الميت وقد مرّ عليها أربعة آلاف سنة . وتثبت الحفريات التي اجراها علماء الآثار أن تلك القصة حقيقة بكل تفاصيلها ، فقد قام الدكتور (أولبرايط) بمباحث واسعة النطاق في وادي الأردن وعلى سواحل البحر الميت وهما المكانان اللذان يظن أن (سدوم وعمورة) والمدن الثلاث الاخرى كانت فيها . وانتهى البحث الى ان الحادثة

ليست خرافة ولا رمزية بل هي تاريخية بكل تفاصيلها . وخلاصة القصة أنه حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد انحدر ابراهيم الخليل من بلاد النهرين الى فلسطين ومعه أهل بيته وابن أخيه لوط وأهل لوط وقد اختار لوط دائرة الاردن الى الوادي الذي كانت فيه سدوم وعمورة وأقام بسدوم واختار ابراهيم المرتفعات التي في الشمال وضرب خيامه في موقع يقال له (بلوطات معرا) .

ويقول الدكتور أولبرايط ان احداثا كثيرة وقعت فأزالت مدن طراودة وبابل وبعلبك وكرطاجة وبومباي وتدمر وغيرها ولكن هذه الاحداث لم تمح أي أثر من هذه الآثار محواً تاما بل لايزال لكل منها آثار تدل عليها وعلى ما كان لها من المجد والعظمة (ولقد تركناها آية فهل من مدّكر) وأن سنن الله في الامم والحضارات الذي كشفه القرآن الكريم يصور كيف أنه ما من أمة بغت أو أفسدت أو خرجت على أمر الله وحدوده ، الا دمرت ثم تركت منها بقايا لتكون عبرة للاجيال التالية .

وهكذا كشفت الحفريات عن قصة سدوم وعمورة وجاء الكشف الأثري ليؤكد ما أورده القرآن :

«ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها ...» .

مخطوطات كهف قمران تثبت أن المسيح نبي وليس إلهاً أو ابن الإله

وكان من أخطر هذه الاحداث ذلك الكشف الأثري الكبير الذي وقع عام ١٩٤٧ على شاطيء البحر الميت عندما عثر أحد البدو حينما ضلت عنزته فذهب يبحث عنها فاهتدى في أحد الكهوف على تلك الجرار الحجرية الغريبة التي تشتمل على مخطوطات دينية أذهلت العالم النصراني بأسره ، وقد أطلق عليها كشوف البحر الميت أو (خربة قمران) التي تقع جنوب مدينة (أريحا) بثمانية أميال وقد عرف من بعد أن هذه الكتابات مما لايقدر بثمن لأنها ألقت الضوء على مرحلة خطيرة من تاريخ النصرانية وتاريخ السيد المسيح نفسه والتي كتب بعضها قبل مولد السيد المسيح بسنين طويلة وقد أسرعت بعثات الجامعات والفاتيكان الى الحصول على هذه الملفات أو أجزاء منها وأنفقت الحكومة الاردنية خمسة عشر ألف دينار في سنة واحدة لشراء هذه المخططات الاثرية القيمة وقد أجريت فحوص دقيقة على هذه المخطوطات من قبل مؤتمر المستشرقين عقد في باريس أثبتت أنها وثائق حقيقية لازيف فيها ولا تلاعب وقد وصفها واحد من أعظم علماء الآثار من المتخصصين في آثار التوراة وهو الدكتور البرايت من الولايات المتحدة بقوله : إنها أعظم اكتشاف للمخطوطات في العصر الحديث وأفضل تاريخ يمكن أن تكون كتبت فيه وهو خلال مائة سنة قبل الميلاد (بالحساب التقديري المعروف الآن) .

وقد تبين كما يقول الدكتور صبحي الدجاني : أن هذه الملفات كتبت بأيدي كتبة في دير الاسينيين الذي ما زالت خرائبه وأطلاله وبقاياه بادية للعيان الى يومنا هذا على مقربة من الكهف الذي اكتشفت فيه أول مجموعة من هذه الملفات .

هؤلاء الاسينيون كانوا طائفة يعتقدون أنهم ورثة عهد النبوة وكانت ما عندهم من ملفات في الكهوف عندما فروا ليأمنوا شر الاضطهاد الروماني الذي كان واقعا عليهم في ذلك الحين . ويقول العلماء إن المسيح عليه السلام ربما يكون واحدا من هؤلاء

الاسينيين وأنه كان متأثرا الى حد بعيد بطقوسهم وعقائدهم وكان الاسينيون يعتبرون ثروتهم حصة مشتركة بينهم ، وأنهم يعتقدون بخلود الروح وتتحدث نصوصهم عن واحد منهم يعلو عليهم كثيرا ويسمونه (السيد الاكبر) المدهون بالزيت أو المسيح الذي اختاره الله تبارك وتعالى وتتحدث وثائق الاسينيين الذين كانوا يقومون في الدير على مقربة من البحر الميت أنهم كانوا يشعرون بتسام روحي له شكر موجه الى الله تبارك وتعالى الواحد الاحد .

وتتحدث الوثائق عن حياة هذا السيد بما يشبه حياة السيد المسيح وقد استقرت في الاذهان فكرة مؤداها أن هذا السيد أو المعلم كان ينزل عليه وحي الله . ويقول (ج. ل. تيتشر) أحد أساتذة كمبردج إن أحد المراجع الاساسية في ملفات البحر الاسود أن معلم البر والتقوى الذي يتحدث عنه الاسينيون هو نفسه يسوع المسيح ولا أحد غيره . ويقول جون كلارك صاحب بحث ضاف عن الوثائق إنه من الممكن أن المسيح قد عاش قبل مائة سنة من التاريخ الذي أجمع الناس عليه حتى الآن وأن في ذلك جوابا مقنعا للذين طالما أعربوا عن شكوكهم في الادلة التاريخية الواردة عن مولد السيد المسيح لأنها قليلة ومليئة بالمتناقضات .

هذا وقد تجددت الدعوة في الغرب الى النظر في نصوص العهد القديم التي لاتتفق مع الحقائق التي قدمتها هذه المكتشفات .

كذلك فإن بعثة دولية للآثار اكتشفت في منطقة مناجم الملك سليمان بصحراء النقب : أن المصريين عاشوا في هذه المنطقة منذ ٣٢٧١ عاما وبناء على هذا صرح البروفسور بينور ونتبرج أحد علماء الآثار بأن هذا الكشف يتطلب اعادة النظر في العهد القديم ولم تمض على ذلك الا سنوات قلائل حتى ظهر القس النصراني (بابك) الذي نشرت صورته مجلة تايم الامريكية على غلافها في (١١ نوفمبر ١٩٦٦) مع بحث مطول تحت عنوان (انقلاب أو ثورة) أجراها القس بابك الذي أعلن أن السيد المسيح نبي وليس إلهاً ولا ابن الاله . ويبدو أنه اعتمد في بحثه على الوثائق التي ظهرت في مغارة قمران بدليل أنه قصد بعد ذلك الى هذه المنطقة فاقام بها فترة منقبا وباحثا حتى قضى نحبه وقد ألفت زوجته كتابا معروفا عن تجربته هذه .

القرآن المصدر الاساسي للتاريخ القديم

وهكذا نجد من عشرات الوقائع والحفريات الاثرية أنها تصادق القرآن الكريم هذه الحفريات التي جرت في هذه المنطقة الممتدة من بابل الى الشام الى مصر الى الجزيرة العربية وخاصة منذ عهد سيدنا ابراهيم عليه السلام وحيث انتشرت ذريته : اسماعيل واسحاق . وقد كشفت هذه الحفريات كثيرا من أخطاء تلك الكتب القديمة التي كتبت في **الأغلب وفق هوى خاص وفي محاولة خاصة لاعطاء جماعة معينة وضعا خاصا من أحداث التاريخ .**

كما ظهرت جماعة الارويسيين في الغرب الذين أعلنوا أن السيد المسيح هو نبي الله ، ورسوله وأنه لم يقتل ولم يصلب ولكن رفعه الله اليه وأنه حمل لواء الدعوة الى توحيد الله وله يدّع الالوهية وأنه بريء من التثليث . وكان القرآن قبل أربعة عشر قرنا

قد فصل في هذه القضية وانكر فكرة ما يسمى بالخطيئة الاصلية التي قالوا : إن عيسى جاء ليكفر عنها وهي ما نسب الى آدم عليه السلام وقد ابان القرآن الكريم ان آدم اخطا ثم تاب الله عليه وأنه ليس من شان خطيئة اي إنسان ان تصيب إنسانا آخر .. كما كشفت الابحاث التي أجريت على مومياء فرعون الموجودة بالمتحف المصري وجود كسور ورضوض في مناطق كثيرة من جسمه دلت على انه مات غريقا وذلك مصداق قوله تعالى (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) كذلك كشف القرآن عن زيف النظرية التي وضعها التلموديون بالادعاء بأن البشرية كانت وثنية ثم وحدت ، فالقرآن يؤكد أن البشرية كانت موحدة منذ يومها الاول وأن العهود المختلفة واجهت رسالات الانبياء بالتوحيد وموجات الوثنية .

واليوم وقد جاءت كشوف الباحثين وعلماء الآثار والنباتات القديمة وعلم السلالات وأصول الشعوب جميعها مؤكدة لحقائق القرآن ناقضة ومزيفة لما ورد في بعض الكتب القديمة فقد اثبت البحث العلمي ان ما جاء في القرآن لم يكن يعرفه احد في فترة نزوله ولذلك فإنه لابد أن يكون من مصدر أعلى من الرسول الذي بلغه للناس .

وهنا منطلق البحث : كيف يمكن أن تظل التوراة مصدرا للبحوث بعد أن ثبت فسادها وزيّف العلم التجريبي والكشوف الأثرية ما أوردته من نظريات عن بدء الخليقة وعن تاريخ الامم وقد تبين أن ما جاء بها اشتات من تراث الامم القديمة وأساطيرها .

لقد آن الأوان لأن يعلن علماء المسلمين في مؤتمر عالمي يوم الحج الاكبر : ان القرآن وحده هو المصدر الاساسي للتاريخ القديم ومنطلق البحث للعلوم التجريبية والعلوم الانسانية جميعا .

